تاريخ ابن خلدون

المجلد الرابع – تاريخ ابن خلدون

من ص 268 حتى صفحة 435

وخرج الحسن للقائهم فأصابته الحمى من الفرح فمات، وحزن الناس عليه وولي ابنه أحمد باتفاق أهل صقلية بعد أن ولى المعز عليهم يعيش مولى الحسن فلم ينهض بالأمر ووقعت الفتنة بين كتامة والقبائل، وعجز عن تسكينها. وبلغ الخبر إلى المعز فولى عليها أبا القاسم علي بن الحسن نيابة عن أخيه أحمد. ثم توفي أحمد بطرابلس سنة تسع وخمسين، واستبد بالإمارة أخوه أبو القاسم علي، وكان مدلًا محباً. وسار إليه سنة إحدى وسبعين ملك الفرنج في جموع عظيمة، وحصر قلعة رمطة وملكها، وأصاب سرايا المسلمين. وسار الأمير أبو القاسم في العساكر من بليرم يريدهم، فلما قاربهم خام عن اللقاء ورجع، وكان الفرنج في الأسطول يعاينونه فبعثوا بذلك للملك بردويل فسار في اتباعه، وأدركه فاقتتلوا، وقتل أبو القاسم في الحرب. وأهم المسلمين أمرهم فاستماتوا، وقاتلوا الفرنج فهزموهم اقبح هزيمة. ونجا بردويل إلى خيامه برأسه، وركب البحر إلى رومة. وولى المسلمون عليهم بعد الأمير أبي القاسم ابنه جابر فرحل بالمسلمين لوقته راجعاً، ولم يعرج على الغنائم. وكانت ولاية الأمير أبي القاسم اثنتي عشرة سنة ونصفاً. وكان عادلاً حسن السيرة. ولما ولي ابن عمه جعفر بن محمد بن علي أبي الحسن، وكان من وزراء وندمائه استقامت الأمور، وحسنت الأحوال. وكان يحب اهل العلم ويجزل الهبات لهم. وتوفي سنة خمس وسبعين، وولي أخوه عبد الله فاتبع سيرة اخيه إلى أن توفي سنة تسع وسبعين، وولي ابنه ثقة الدولة أبو الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي الحسن، فأنسى بجلائله وفضائله من كان قبله منهم إلى أن أصابه الفالج، وعطل نصفه الأيسر سنة ثمان وثمانين. وولي ابنه تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة يوسف فضبط الأمور، وقام بأحسن قيام، وخالف عليه أخوه علي سنة خمس وأربعمائة مع البربر والعبيد، فزحف إليه جعفر فظفر به وقتله، ونفى البربر والعبيد، واستقامت أحواله. ثم انقلبت حاله واختلت على يد كاتبه ووزيره حسن بن محمد الباغاني فثار عليه الناس بسببها،

وجاؤوا حول القصر، وأخرج إليهم أبو الفتوح في محفة فتلطف بالناس، وسلم إليهم الباغاني فقتلوه، وقتلوا حافده أبا رافع، وخلع ابنه ابن جعفر، ورحل إلى مصر، وولى ابنه ابن جعفر سنة عشرة ولقبه بأسد الدولة بن تاج الدولة. ويعرف بالأكحل فسكن الاضطراب واستقامت الاحوال، وفوض الأمور إلى ابنه ابن جعفر، وجعل مقاليد الأمور بيده

فأساء ابن جعفر السيرة، وتحامل على صقلية ومال إلى أهل إفريقية. وضج الناس وشكوا أمرهم إلى المعز صاحب القيروان، وأظهروا دعوته فبعث الأسطول فيه ثلاثمائة فارس مع ولديه عبد الله وأيوب، واجتمع أهل صقلية وحصروا أميرهم الأكحل، وقتل وحمل رأسه إلى المعز سنة سبع عشرة واربعمائة. ثم ندم أهل صقلية على ما فعلوه وثاروا بأهل إفريقية، وقتلوا منهم نحواً من ثلاثمائة واخرجوهم، وولوا الصمصام أخا الأكحل فاضطربت الأمور، وغلب السفلة على الأشراف. ثم سار أهل بليرم طى الصمصام وأخرجوه، وقدموا عليهم ابن الثمنة من رؤس الأجناد، وتلقب القادر بالله واستبد بمازر ابنه عبد الله قبل الصمصام، وغلب ابن الثمنة على ابن الأكحل فقتله واستقل بملك الجزيرة، إلى أن أخذت من يده. ولما استبد ابن الثمنة بصقلية تزوج ميمونة بنت الجراس فتخيل له منها شيء فسقاها السم. ثم تلافاها وأحضر الاطباء فأنعشوها، وأفاقت فندم واعتذر فأظهرت له القبول. واستأذنته في زيارة أخيها بقصريانة، وأخبرت أخاها فحلف أن لا يردّها، ووقعت الفتنة وحشد ابن الثمنة فهزمه ابن جراس فانتصر ابن الثمنة بالروم.

وجاء القمص وجاز ابن ينقر بن خبرة ومعه سبعة من إخوته، وجمع من الافرنج، ووعدهم بملك صقلية فداخل في بيع مية. وقصد قصريانة وحكموا على مروا من لمنازل، وخرج ابن جراس فهزمه ورجع إلى إفريقية عمر بن خلف بن مكي فنزل تونر، وولي قضاءها. ولم يزل الروم يملكونها حتى لم يبق إلا المعاقل. وخرج ابن الجراس بأهله وماله صلحا سنة أربع وستين واربعمائة، وتملكها رجار كلها، وانقطعت كلمة الإسلام مها، ودولة الكلبيين وهم عشرة، ومدّتهم خمس وتسعون سنة. ومات رجار في قلعة مليطو من أرض قلورية سنة أربع وتسعين، وولي ابنه رجار الثاني وطالت أيامه. وله ألف الشريف أبو عبد الله الإدريسى كتاب نزهة المشارق في أخبار الآفاق، وسماه قصار رجار علما عليه معروفاً به في الشهرة، والله مقدر الليل والنهار.

الخبر عن جزيرة اقريطش وما كان بها للمسلمين من الملك علي يد بني البلوطي إلى أن استرجعها العدو:

هذه الجزيرة من جزر البحر الرومي ما بين صقلية وقبرص، في مقابلة الإسكندرية على يد الجالية أهل الربض. وذلك أن أهل الربض الغربي من قرطبة، وكان محلة متصلة بقصر الحكم بن هشام فنقموا عليه، وثاروا به سنة إثنتين ومائتين فأوقع بهم الوقعة المشهورة، واستلحمهم وهدم ديارهم ومساجدهم، وأجلى الفلّ منهم إلى العدوة، ونزلوا بفاس وغيرها. وغرب آخرين إلى الإسكندرية فنزلوا وافترقوا في جوانبها. وتلاحى رجل منهم مع جزار من سوقة الإسكندرية فنادوا بالثأر، واستلحموا كثيراً من أهل البلد وأخرجوا بقيتهم، وامتنعوا بها وولوا عليهم أبا حفص عمر بن شعيب البلوطي ويعرف بأبي الفيض، من أهل قرية مطروح، من عمل فحص البلوط المجاور لقرطبة فقام برياستهم. وكان على مصر يومئذ عبد الله بن طاهر فزحف إليهم، وحصرهم بالإسكندرية فاستأمنوا له فأمنهم وبعثهم إلى جزيرة أقريطش فعمروها وأميرهم أبو حفص البلوطي. وتداولها بنوه من بعده مدة من مائة وأربعين سنة، إلى أن ملكها أريانوس بن قسطنطين ملك القسطنطينية من يد عبد العزيز بن شعيب من أعقابه سنة خمس وثلاثمائة، وأخرجوا المسلمين منها، والله يعيد الكرة ويذهب آثار الكفرة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

أخبار اليمن

أخبار اليمن والدول الإسلامية التي كانت فيه للعباسيين العبيديين وسائر ملوك العرب وإبتداء ذلك واتصاريفه علي الجملة ثم تفصيل ذلك علي مدنه وممالكه واحدة بعد واحدة

قد كنا قدّمنا في أخبار السير النبوية كيف صار اليمن في ملكة الإسلام بدخول عامله في الدعوة الإسلامية، وهو باذان عامل كسرى، وأسلم معه أهل اليمن. وأمره النبي صلى الله عليه وسلم على جميع مخالفيها، وكان منزله صنعاء كرسي التبابعة. ولما مات

بعد حجة الوداع قسم النبي صلى الله عليه وسلم اليمن على عمال من قبله. وجعل صنعاء لابنه شهربان بن باذان. وذكرنا خبر الأسود العنسي ، وكيف أخرج عمال النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن، وزحف إلى صنعاء فملكها. وقتل شهربان بن باذان، وتزوج إمرأته واستولى على أكثر اليمن، وارتد أكثر أهله. وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وعماله، وإلى من ثبت على إسلامه فداخلوا زوجة شهربان بن باذان التي تزوجها في أمره، على يد ابن عمها فيروز. وتولى كبر ذلك قيس بن عبد يغوث المرادي فبيته هو وفيروز وذاذويه بإذن زوجته فقتلوه. ورجع عمال النبي صلى الله عليه وسلم على أعمالهم، وذلك قبيل الوفاة.

واستبدّ قيس بصنعاء، وجمع الفل من جند الأسود فولى أبو بكر على اليمن فيروز فيمن إليه من الأبناء، وأمر الناس بطاعته فقاتل قيس بن مكشوح وهزمه. ثم ولى أبو بكر المهاجر بن أبي أمية فقاتل أهل الردة باليمن، وكذلك عكرمة بن أبي جهل، وأمره أن يبدأ بالمرتده. ثم دعته عائشة فسار معها وحضر حرب الجمل. وولي على اليمن عبيد الله بن عباس، ثم أخاه عبد الله. ثم ولى معاوية على صنعاء فيروز الديلمي، ومات سنة ثلاث وخمسين.

ثم جعل عبد الملك اليمن في ولاية الحجاج لما بعثه لحرب ابن الزبير سنة إثنتين وسبعين. ولما جاءت دولة بني العبّاس ولىّ السفاح على اليمن عمه داود بن علي حتى إذا توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وولى مكانه محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد الملك عبد الدار. ثم تعاقب الولاة على اليمن، وكانوا ينزلون صنعاء حتى انتهت الخلافة إلى المأمون، وظهرت دعاة الطالبين بالنواحي، وبايع أبو السرايا من بني شيبان بالعراق لمحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسمعيل بن إبراهيم أخو المهدي، النفس الزكية، محمد بن عبد الله بن حسن. وكثر الهرج وفرق العمال في الجهات، ثم قتل وبويع محمد بن جعفر الصادق بالحجاز. وظهر باليمن إبراهيم بن موسى الكاظم سنة مائتين، ولم يتم أمره، وكان يعرف بالجزار لسفكه الدماء. وبعث المأمون عساكره إلى اليمن فدوخوا نواحيه وحملوا كثيراً من وجوه الناس فاستقام أمر اليمن كما نذكره.

دعوة زياد بالدعوة العباسية:

ولما وفد وجوه أهل اليمن على المأمون، كان فيهم محمد زياد ولد عبد الله بن زياد

بن أبي سفيان فاستعطف المأمون، وضمن له حياطة اليمن من العلويين فوصله، وولاه على اليمن، وقدمها سنة ثلاث ومائتين. وفتح تهامة اليمن، وهي البلد التي على ساحل البحر الغربي. واختط بها مدينة زبيد، ونزلها وأصارها كرسياً لتلك المملكة. وولى على الجبال مولاه جعفراً، وفتح تهامة بعد حروب من العرب. واشترط على عرب تهامة أن لا يركبوا الخيل، واستولى على اليمن أجمع.

ودخلت في طاعته أعمال حضرموت والشحر وديار كندة، وصار في مرتبة التبابعة. وكان في صنعاء قاعدة اليمن بنو جعفر من حمير بقية الملوك التبابعة، استبدوا بها مقيمين بالدعوة العباسية، ولهم مع صنعاء سبحان ونجران وجرش. وكان أخوهم أسعد بن يعفر، ثم أخوه قد دخلوا في طاعة ابن زياد، وولي بعده ابنه إبراهيم ثم ابنه زياد بن إبراهيم، ثم أخوه أبو الجيش إسحق بن إبراهيم. وطالت مدته إلى أن أسن وبلغ الثمانين. وقال عمارة: ملك ثمانين سنة باليمن وحضرموت والجزائر البحرية. ولما بلغه قتل المتوكل وخلع المستعين، واستبداد الموالي على الخلفاء مع ارتفاع اليمن ركب بالمظلة شأن سلاطين العجم المستبدين.

وفي أيامه خرج باليمن يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن طباطبا بدعوة الزيدية، جاء بها من السند، وكان جده القاسم قد فر إلى السند بعد خروج أخيه محمد مع أبي السرايا، ومهلكه كما مرّ فلحق القاسم بالسند، وأعقب بها الحسين ثم ابنه يحيى باليمن سنة ثمان وثمانين، ونزل صعدة وأظهر دعوة الزيدية، وزحف إلى صنعاء فملكها من يد أسعد بن يعفر، ثم استردها منه بنو أسعد، ورجع إلى صعدة. وكان شيعته

يسمونه الإمام، وعقبه الآن بها. وقد تقدّم خبرهم.

في أيام أبي الجيش بن زياد أيضاً ظهرت دعوة العبيديين باليمن فأقام بها محمد بن الفضل بعدن لاعة وجبال اليمن إلى جبال المديحرة سنة أربعين وثلاثمائة. وبقي له باليمن من السرجة إلى عدن عشرون مرحلة، ومن مخلافة إلى صنعاء خمس مراحل. ولما غلبه محمد بن الفضل بهذه الدعوة امتنع أصحاب الأطراف عليه، مثل بني أسعد بن يعفر بصنعاء،

وسليمان بن طرف بعثر، والإمام الرسي بصعدة فسلك معهم طريق المهادنة. ثم هلك أبو الجيش سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة بعد أن اتسعت جبايته وعظم ملكه.

قال ابن سعيد: رأيت مبلغ جبابته وهو ألف ألف مكررة مرتين، وثلاثمائة ألف وستة وستون ألفاً من الدنانير العشرية ما عدا ضرابيه على مراكب السند، وعلى العنبر الواصل بباب المندب وعدن أبين، وعلى مغائص اللؤلؤ، وعلى جزيرة دهلك، ومن بعضها

وصائف. وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر يهادونه ويخطبون مواصلته. ولما مات خلف صبياً صغيراً إسمه عبد الله، وقيل إبراهيم وقيل زياد، وكفلته أخته ومولاه رشيد الحبشي، واستبد عليهم إلى أن انقرضت دولتهم سنة سبع وأربعمائة. ثم هلك هذا الطفل فولوا طفلاً آخر من بني زياد أصغر منه. وقال ابن سعيد: لم يعرف عمارة إسمه لتوالي الحجبة عليه، ويعني عمارة مؤرخ اليمن، وقيل هذا الطفل الأخير اسمه إبراهيم، وكفلته عمته ومرجان من موالي الحسن بن سلامة.

واستبد بأمرهم ودولتهم، وكان له موليان إسم أحدهما قيس، والآخر نجاح فجعل الطفل المملك في كفالته، وأنزله معه بزبيد. وولى نجاحاً على سائر الأعمال خارج زبيد، ومنها الكرارة واللجم. وكان يؤثر قيساً على نجاح، ووقع بينهما تنافر، ورفع لقيس أن عمة الطفل تميل إلى نجاح وتكاتبه دونه فقبض عليها بإذن مولاه مرجان، ودفنها حية واستبد وركب بالمظلة، وضرب السكة. وانتقض نجاح لذلك فزحف في العساكر، وبرز قيس للقائه فكانت بينهما حروب ووقائع، انهزم قيس آخرها، وقتل في خمسة آلاف من عسكره. وملك نجاح زبيد سنة عشر وأربعمائة. ودفن قيساً ومولاه مرجاناً مكان الطفل والعمة، واستبد وضرب السكة بإسمه. وكاتب ديوان الخلافة ببغداد فعقد له على اليمن. ولم يزل مالكاً لتهامة قاهراً لأهل الجبال، وانتزع الجبال كلها من مولاه الحسن بن سلامة. ولم تزل الملوك تتقي صولته إلى أن قتله علي الصليحي القائم بدعوة العبيديين على يد جارية بعث بها إليه سنة إثنتين وخمسين وأربعمائة فقام بالأمر بعده بزبيد مولاه كهلان. ثم استولى الصليحي على زبيد وملكها من يده كما يذكر.

الخبر عن بني الصليحي القائمين بدعوة العبيديين باليمن:

كان القاضي محمد بن علي الهمداني ثم الصليحي رئيس حران من بلاد همذان، وينتسب في بني يام، ونشأ له ولد إسمه علي، وكان صاحب الدعوة يومئذ عامر بن عبد الله الزوايي نسبة إلى زواية من قرى حران، ويقال إنه كان عنده كتاب لجفر من ذخائر أبيهم بزعمهم فزعموا أن علي ابن القاضي محمد مذكور فيه فقرأ على علي عامل

الداعي، وأخذ عنه. ولما توسم فيه الأهلية أراه مكان إسمه في الجفر وأوصافه. وقال لأبيه القاضي احتفظ بابنك فيملك جميع اليمن. ونشا فقيهاً صالحاً، وجعل يحج بالناس على طريق الطائف والسروات خمس عشرة سنة فطار ذكره، وعظمت شهرته، والقى على ألسنة الناس أنه سلطان اليمن. ومات الداعي عامر الزوايي فأوصى له بكتبه، وعهد إليه بالدعوة. ثم حج بالناس سنة ثمان وعشرين وأربعمائة على عادته، واجتمع بجماعة من قومه همدان كانوا معه فدعاهم إلى النصرة والقيام معه فأجابوه وبايعوه، وكانوا ستين رجلاً من رجالات قومهم فلما عادوا قام في مسار وهو حصن بذروة جبل حمام، وحصن ذلك الحصن، ولم يزل أمره ينمى.

وكتب إلى المستنصر صاحب مصر يسأله الإذن في إظهار الدعوة فأذن له، وأظهرها وملك اليمن كله. ونزل صنعاء واختط بها القصور، وأسكن عنده ملوك اليمن الذين غلب عليهم، وهزم بني طرف ملوك عثر وتهامة، وأعمل الحيلة في قتل نجاح مولى بني زياد ملك زبيد، حتى تم له ذلك على يد جارية أهداها إليه كما ذكرناه سنة إثنتين وخمسين. ثم سار إلى مكة بأمر المستنصر صاحب مصر ليمحو منها الدعوة العباسية والإمارة الحسنية. واستخلف على صنعاء ابنه المكرم أحمد، وحمل معه زوجته أسماء بنت شهاب، قد سباها سعيد بن نجاح ليلة البيات فكتبت إلى إبنها المكرم أني حبلى من العبد الاحول فأدركني قبل أن أضع، وإلا فهو العار الذي لا يمحوه الدهر فسار المكرم من صنعاء سنة خمس وسبعين في ثلاثة آلاف، ولقي الحبشة في عشرين ألفاً فهزمهم. ولحق سعيد بن نجاح بجزيرة دهلك. ودخل المكرم إلى أمه وهي جالسة بالطاق الذي عنده رأس الصليحي وأخيه فأنزلهما ودفنهما ورفع السيف، وولى خاله أسعد بن شهاب على أعمال تهامة كما كان، وأنزله بزبيد منها، وارتحل بأمه إلى صنعاء وكانت تدبر ملكه.

ثم جمع أسعد بن شهاب أموال تهامة، وبعث بها مع وزيره أحمد بن سالم ففرقتها أسماء على وفود العرب. ثم هلكت أسماء سنة سبع وسبعين، وخرجت زبيد من يد المكرم، واستردها سعيد بن نجاح سنة تسع وسبعين. ثم انتقل المكرم إلى ذي جبلة سنة ثمانين واربعمائة، وولى على صنعاء عمران بن الفضل الهمداني فاستبدّ بها، وتوارثها عقبه، وتسمى ابنه أحمد

باسم السلطان واشتهر به، وبعده ابنه حاتم بن أحمد، وليس بعده بصنعاء من له ذكر حتى ملكها بنو سليمان لما غلبهم الهواشم على مكة كما مر في أخبارهم. ولما

انتقل المكرم إلى ذي جبلة وهي مدينة اختطها عبد الله بن محمد الصليحي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وكان انتقاله بإشارة زوجه سيدة بنت أحمد التي صار إليها تدبير ملكه بعد أمه اسماء فنزلها، وبنى فيها دار العز، وتحيل على قتل سعيد بن نجاح فتم له كما نذكر في أخبار ابن نجاح. وكان مشغولاً بلذاته محجوباً بزوجته. ولما حضرته الوفاة سنة أربع وثمانين عهد إلى ابن عمه المنصور بن أحمد المظفر بن علي الصليحي صاحب معقل أشيح، وأقام بمعقله وسيدة بنت أحمد بذي جبلة، وخطبها المنصور سبا وامتنعت منه فحاصرها بذي جبلة، وجاءها أخوها لأمها سليمان بن عامر وأخبرها أن المستنصر زوجك منه، وأبلغها أمره بذلك، وتلا عليها: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ان تكون لهم الخيرة من امرهم " وأن أمير المؤمنين زوجك من الداعي المنصور أبي حمير سبا بن أحمد بن المظفر، على مائة الف دينار، وخمسين ألفاً من أصناف التحف واللطائف فانعقد النكاح، وسار إليها من معقل أشيح إلى ذي جبلة. ودخل إليها بدار العز، وبقال إنها شبهت بجارية من جواريها فقامت على رأسه ليلها كله، وهو لا يرفع الطرف إليها حتى أصبح فرجع إلى معقله. وأقامت هي بذي جبلة، وكان المتولي عليها المفضل بن أبي البركات من بني تام رهط الصليحي، واستدعى عشيرته جنيا. وأنزلهم عنده بذي جبلة فكان يسطو بهم وكانت سيدة تأتي التعكر في الصيف، وبه ذخائرها وخزائنها فإذا جاء الشتاء رجعت إلى ذي جبلة. ثم انفرد المفضل لقتال نجاح، فرتب في حصن التعكر فقيهاً يلقب بالجمل، مع جماعة من الفقهاء احدهم إبراهيم بن زيد بن عمر عمارة الشاعر فبايعوا الجمل، على أن يمحو الدعوة الإمامية فرجع المفضل من طريقه، وحاصرهم، وجاءت خولان لنصرتهم، وضايقهم المفضل، وهلك في حصارهم سنة أربع وخمسمائة، فجاءت بعده الحرة سيدة وأنزلتهم على عهد فنزلوا، ووف لهم به وكفلت عقب المفضل وولده، وصار معقل التعكر في يد عمران بن الذر الخولاني، وأخيه سليمان.

واستولى عمران على الحرة سيدة مكان المفضل. ولما ماتت استبد عمران وأخوه بحصن التعكر، واستولى منصور بن المفضل بن أبي البركات على ذي جبلة، حتى باعه من الداعي الذريعي صاحب عدن كما يأتي

واعتصم بمعقل أشيح الذي كان للداعي المنصور سبا بن أحمد. وذلك أن المنصور توفي سنة ست وثمانين وأربعمائة، واختلف أولاده من بعده. وغلب ابنه علي منهم على المعقل، وكان ينازع

المفضل بن أبي البركات، والحرة سيدة، وأعياهما أمره فتحيل المفضل بسم أودعه سفرجلاً أهداه إليه فمات منه، واستولى بنو أبي البركات علي بني المظفر في أشيح وحصونه. ثم باع حصن ذي جبلة من الداعي الزريعي صاحب عدن بمائة ألف دينار. ولم يزل يبيع معاقله حصناً حصناً حتى لم يبق له غير معقل تعز، أخذه منه علي بن مهدي بعد أن ملك ثمانين سنة، وبلغ من العمر مائة سنة، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

الخبر عن دولة بني نجاح بزبيد موالي بني زياد ومبادىء أمورهم وتصاريف أحوالهم:

ولما استولى الصليحي على زبيد من يد كهلان، بعد أن أهلكه بالسم على يد الجارية التي بعثها إليه سنة إثنتين وخمسين واربعمائة كما مرّ. وكان لنجاح ثلاثة من الولد معارك و سعيد وجياش: فقتل معارك نفسه، ولحق سعيد وجياش بجزيرة دهلك وأقاما هنالك يتعلمان القرآن والآداب. ثم رجع سعيد إلى زبيد مغاضباً لأخيه جياش، واختفى بها في نفق احتفره تحت الأرض ثم استقدم أخاه جياشاً فقدم وأقاما هنالك في الإختفاء ثم أن المستنصر العبيد في الخليفة بمصر، قطع دعوته بمكة محمد بن جعفر أميرها من الهواشم فكتب إلى الصليحي يأمره بقتاله، وحمله علي إقامة الدعوة العلوية بمكة فسار علي الصليحي لذلك من صنعاء، وظهر سعيد وأخوه من الإختفاء، وبلغ خبرهم الصليحي فبعث عسكراً نحواً من خمسة آلاف فارس، وامرهم بقتلهما. وقد كان سعيد وجياش خالفاً العسكر، وسارا في أتباع الصليحي وهو في عساكره فبيتوه في اللجم ، وهو متوجه إلى مكة فانتقض عسكره وقتل. وتولى قتله جياش بيده سنة ثلاث وسبعين واربعمائة ثم قتل عبد الله الصليحي أخا عليّ في مائة وسبعين من بني الصليحي، وأسر زوجته أسماء بنت عمه شهاب في مائة وخمس وثلاثين من ملوك القحطانيين الذين غلبوا باليمن. وبعث إلى العسكر الذين ساروا لقتل سعيد وجياش فأمنهم واستخدمهم، ورحل إلى زبيد، وعليها أسعد بن شهاب أخو زوجة الصليحي، ففرّ أسعد إلى صنعاء، ودخل سعيد إلى زبيد، وأسماء زوجة الصليحي أمامه في هودج، ورأس الصليحي وأخيه عند هودجها. وأنزلها بدارها

ونصب الرأسين قبالة طاقها في الدار. وامتلأت القلوب منه رعباً، وتلقب نصير الدولة، وتغلب ولاة الحصون على ما بأيديهم. ودس المكرم بن الصليحي بن سعيد بن نجاح بصنعاء على لسان بعض أهل الثغور، وضمن له الظفر فجاء سعيد لذلك في عشرين ألفاً من الحبشة. وسار إليه المكرم من صنعاء، وهزمه وحال بينه وبين زبيد فهرب إلى جزيرة دهلك، ودخل المكرم زبيد، وجاء إلى أمه وهي جالسة بالطاق، وعندها رأس الصليحي وأخيه فأنزلهما ودفنهما. وولى على زبيد خاله أسعد سنة سبع وتسعين اربعمائة وكتب المكرم إلى عبد الله بن يعفر صاحب حصن الشعر بأن يغري سعيداً بالمكرم، وانتزاع ذي جبلة من يده لاشتغاله بلذاته، واستيلاء زوجه سيدة بنت أحمد عليه. وأنه بلخ فتمّت الحيلة فسار سعيد في ثلاثين الفاً من الحبشة، وأكمن له المكرم نحت حصن الشعر فثاروا به هنالك. وانهزمت عساكره وقتل ونصب رأسه عند الطاق الذي كان فيها رأس الصليحي بزبيد. واستولي عليها المكرم، وانقطع منها ملك الحبشة. وهرب جياش ومعه وزير أخيه خلف بن أبي الظاهر المرواني، ودخلا عدن متنكرين. ثم لحقا بالهند وأقاما بها ستة أشهر، ولقيا هنالك كاهناً جاء من سمرقند فبشرهما بما يكون فرجعا إلى اليمن، وتقدم خلف الوزير إلى زبيد، وأشاع موت جياش، واستأمن لنفسه، ولحق جياش فأقاما هنالك مختفيين وعلى زبيد يومئذ أسعد بن شهاب خال المكرم ومعه علي بن القم وزير المكرم، وكان حنقاً على المكرم ودولته فداخله الوزير خلف، ولاعب ابنه الحسين الشطرنج. ثم انتقل إلى ملاعبة أبيه فاغتبط به، واطلعه على رأيه في الدولة وكان يتشيع لال نجاح.

وانتمى بعض الأيام، وهو يلاعب فسمعه علي بن القم، واستكشف أمره فكشف له القناع واستحلفه، وجياش اثناء ذلك يجمع اشياعه من الحبشة، وينفق فيهم الأموال، حش اجتمع له خمسة آلاف فثار بهم في زبيد سنة إثنتين وثمانين واربعمائة ونزل دار الإمارة ومنّ على أسعد بن شهاب وأطلقه لزمانة كانت به، وبقي ملكاً على زبيد يخطب للعباسيين، والصليحيون يخطبون للعبيديين والمكرم يبعث العرب للغارة على زبيد كل حين إلى أن هلك جياش على رأس المائة الخامسة، وكانت كنيته ابن

القطاي. وكان موصوفاً بالعدل. وولي بعده ابنه الفاتك صبياً لم يحتلم، ودبروا ملكه. وجاء عمه إبراهيم لقتاله وبرزوا له فثار عبد الواحد بالبلد، وبعث منصور إلى الفضل بن أبي البركات صاحب التعكر فجاء لنصره

مضمراً للغدر به، ثم بلغه انتقاض أهل التعكر عليه فرجع ولم يزل منصور في ملكه بزبيد إلى أن وزر له أبو منصور عبيد الله فقتله مسموماً سنة سبع عشرة وخمسمائة، ونصب فاتكأ ابنه طفلاً صغيراً. واستبد عليه، وقام بضبط الملك، وهان عليه التعرض لآل نجاح حتى هربت منه أم فاتك هذا، وسكنت خارج المدينة، وكان قرماً شجاعاً، وله وقائع مع الأعداء. وحاربه ابن نجيب داعي العلوية فامتنع عليه، وهو الذي شيد المدارس للفقهاء بزبيد، واعتنى بالحاج. ثم راود مفارك بنت جياش، ولم تجد بدّاً من إسعافه فأمكنته، حتى إذا قضى وطره مسحت ذكره بمنديل مسموم فنثر لحمه. وذلك سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

وقام بأمر فاتك بعده زريق من موالي نجاح. قال عمارة: كان شجاعاً فاتكاً قرماً ، وكان من موالي أم فاتك المختصين بها. قال عمارة: وفي سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة توفي فاتك بن المنصور، وولي بعده ابن عمه وسميه فاتك بن محمد بن فاتك، وسرور قائم بوزارته، وتدبير دولته، ومحاربة أعدائه. وكان يلازم المسجد إلى أن دس عليه علي بن مهدي الخارجي من قتله في المسجد، وهو يصلي العصر يوم الجمعة ثاني عشر صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. وثار السلطان بالقاتل فقتل جماعة من أهل المسجد، ثم قتل واضطرب موالي نجاح بالدولة، وثار عليهم ابن مهدي الخارجي، وحاربهم مراراً، وحاصرهم طويلاً واستعانوا بالشريف المنصور أحمد بن حمزة السليماني، وكان يملك صعدة فأغاثهم على أن يملكوه ويقتلوا سيدهم فاتك بن محمد فقتلوه سنة ثلاث وخمسين وملكوا عليهم الشريف أحمد فعجز عن مقاومة ابن مهدي، وفرّ تحت الليل، وملكها علي بن مهدي سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وانقرض أمر آل نجاح، والملك لله.

الخبر عن دولة بني الزريع بعدن من دعاة العبيديين باليمن و أولية أمرهم ومصايره:

وعدن هذه من أمنع مدائن اليمن، وهي على ضفة البحر الهندي. وما زالت بلد تجارة من عهد التبابعة، وأكثر بنائهم بالأخصاص، ولذلك يطرقها

لجار الحرير كثيراً. وكانت صدر الإسلام دار ملك لبني معن، ينتسبون إلى معن بن زائدة، وملكوها من

أيام المأمون، وامتنعوا علي بني زياد، وقنعوا منهم بالخطبة والسكة. ولما استولى الداعي علي بن محمد الصليحي رعى لهم ذمام العروبية، وقرر عليهم ضريبة يعطونها. ثم أخرجهم منها ابنه أحمد المكرم، وولّى عليها بني المكرم من عشيرة جسم بن يام من همذان، وكانوا أقرب عشائره إليه فأقامت في ولايتهم زمناً. ثم حدثت بينهم الفتنة، وانقسموا إلى فئتين بني مسعود بن المكرم وبني الزريع بن العباس بن المكرم. وغلب بنو الزريع بعد حروب عظيمة. قال ابن سعيد: وأول مذكور منهم الداعي بن أبي السعود بن الزريع، أول من اجتمع له الملك بعد بني الصليحي، وورثه عنه بنوه، وحاربه ابن عمه علي بن أبي الغارات بن مسعود بن المكرم صاحب الزعازع فاستولى على عدن من يده، بعد مقاساة ونفقات في الأعراب. ومات بعد فتحها بسبعة أشهر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. وولي ابنه الاغر، وكان مقيماً بحصن الدملوة المعقل الذي لا يرام، وامتنع عليه بعده ابن بلال بن الزريع من مواليه، وخشي محمد بن سبا على نفسه ففرّ إلى منصور بن المفضل من ملوك الجبال الصليحيين بذي جبلة. ثم مات الاغر قريباً فبعث بلال عن محمد بن سبا فوصل إلى عدن، وكان التقليد جاء من مصر باسم الأغر فكتب مكانه محمد بن سبا، وكان في نعوته الداعي المعظم المتوج المكنى بسيف أمير المؤمنين فوقعت كلها عليها، وزوجه بلال بنته ومكنه من الأموال التي كانت في خزائنه. ثم مات بلال عن مال عظيم، وورثه محمد بن سبا وأنفقه في سبيل الكرم والمروءات. واشترى حصن ذي جبلة من منصور بن المفضل بن أبي البركات كما ذكرناه. واستولى عليه وهو دار ملك الصليحيين، وتزوج سيدة بنت عبد الله الصليحي. وتوفي سنة ثمان وأربعين. وولي ابنه عمران بن محمد بن سبا. وكان ياسر بن بلال يدثر دولته. وتوفي سنة ستين وخمسمائة، وترك ولدين صغيرين وهما محمد وأبو السعود فحبسهما ياسر بن بلال في القصر، واستبد بالأمر. وكان ياسر محمد كثير العطية للشعراء. ومفن وفد عليه ومدحه ابن قلاقس شاعر الإسكندرية، ومن قصائده في مدحه:

 # سافر إذا حاولت قدراً سار الهلال فصار بدرا

وهو آخر ملوك الزريعيين. ولما دخل سيف الدولة أخو صلاح الدين إلى اليمن سنة ست وستين وستمائة، واستولى عليها جاء إلى عدن فملكها، وقبض على ياسر بن بلال، وانقطعت دولة بني زريع. وصار اليمن للمعز، وفيه ولاتهم بنو أيوب كما نذكر في

أخبارهم. وكانت مدينة الجدة قرب عدن اختطفها ملوك الزريعيين فلما جاءت دولة بني أيوب تركوها ونزلوا تعزمن الجبال كما يأتي ذكره.

أخبار ابن مهد ي الخارجي وبنيه وذكر دولتهم باليمن وبد ايتها وانقراضها:

هذا الرجل من أهل العثر من سواحل زبيد، وهو علي بن مهدي الحميري. كان أبوه مهدي معروفاً بالصلاح والدين. ونشأ ابنه على طريقته فاعتزل ونسك. ثم حج ولقي علماء العراق وأخذ الوعظ من وعاظهم ؛ وعاد إلى اليمن، واعتزل ولزم الوعظ. وكان حافظاً فصيحاً، ويخبر بحوادث أحواله فيصدق فمال إليه الناس، واغتبطوا به، وصار يتردد للحج سنة إحدى وستين، ويعظ الناس في البوادي. فإذا حضر الموسم ركب على نجيب له ووعظ الناس. ولما استولت أم فاتك علي بني جياش أيام ابنها فاتك بن منصور، أحسنت فيه المعتقد، وأطلقت له ولقرابته وأصهاره خرجهم فحسنت أحوالهم، وآثروا وركبوا الخيول. وكان يقول في وعظه: دنا الوقت! يشير إلى وقت ظهوره. واشتهر ذلك عنه، وكانت أم فاتك تصل أهل الدولة عنه فلما ماتت سنة خمس وأربعين جاءه أهل الجبال وحالفوه على النصرة. وخرج من تهامة سنة ثمان وثلاثين، وقصد الكودا فانهزم وعاد إلى الجبال، وأقام إلى سنة إحدى واربعين. ثم أعادته الحرّة أم فاتك إلى وطنه، وماتت سنة خمس وأربعين فخرج إلى هوازن، ونزل ببطن منهم يقال له حيوان في حصن يسمى الشرف، وهو حصن صعب ليس يرتقي على مسيرة يوم من سفح الجبل، في طريقه أوعار في واد ضيق عقبة كؤد. وأصحابه سماهم الأنصار، وسمى كل من صعد معه من تهامة المهاجرين.

وأمر للأنصار رجلاً إسمه سبا، وللمهاجرين آخر إسمه شيخ الإسلام، وإسمه النوبة. واحتجب عمن سواهما. وجعل يشن الغارات على أرض تهامة، وأعانه على ذلك خراب النواحي بزبيد فأخرب سابلتها ونواحيها، وانتهى إلى حصن الداثر على نصف مرحلة من زبيد وأعمل الحيل في قتل مسرور مدبر الدولة فقتل كما مرّ وأقام يخيف زبيد بالزحوف. قال عمارة: زاحفها سبعين زحفاً، وحاصرها طويلاً، واستمد الشريف أحمد بن حمزة السليماني صاحب صعدة فأمدهم وشرط عليهم قتل سيدهم فاتك

فقتلوه سنة ثلاث وخمسين. وملك عليهم الشريف، ثم عجز وهرب عنهم.

واستولى علي بن مهدي عليها في رجب سنة أربع وخمسين، ومات لثلاثة أشهر من ولايته. وكان يخطب له بالإمام المهدي أمير المؤمنين. وقامع الكفرة والملحدين، وكان على رأي الخوارج يتبرأ من على وعثمان ويكفر بالذنوب، وله قواعد وقواميس في مذهبه يطول ذكرها. وكان يقتل على شرب الخمر. قال عمارة: كان يقتل من خالفه من أهل القبلة، ويبيح نساءهم وأولادهم، وكانوا يعتقدون فيه العصمة، وكانت أموالهم تحت يده ينفقها عليهم في مؤنهم، ولا يملكون معه مالاً ولا فرساً ولا سلاحاً. وكان يقتل المنهزم من أصحابه، ويقتل الزاني وشارب الخمر وسامع الغناء، ويقتل من تأخر عن صلاة الجماعة، ومن تأخر عن وعظه يوم الاثنين والخميس. وكان حنفياً في الفروع. ولما توفي تولى بعده ابنه عبد النبي، وخرج من زبيد، واستولى على اليمن أجمع، وبه يومئذ خمس وعشرون دولة فاستولى على جميعها ولم يبق له سوى عدن ففرض عليها الجزية.

ولما دخل شمس الدولة تورشاه بن ايوب اخو صلاح الدين سنة ست وستين وخمسمائة، واستولى على الدولة التي كانت باليمن فقبض على عبد النبي وامتحنه ، وأخذ منه اموالاً عظيمة، وحمله إلى عدن فاستولى عليها. ثم نزل زبيد واتخذها كرسياً لملكه. ثم استوخمها، وسار في الجبال، ومعه الأطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء ليتخذ فبه سكناه فوقع اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة ونزلها. وبقيت كرسياً لملكه وبنيه ومواليهم بني رسول كما نذكر في أخبارهم. وبانقراض دولة بني المهدي انقرض ملك العرب من اليمن وصار للغز ومواليهم.

قواعد اليمن

(ولنذكر الآن)* طرفاً من الكلام على قواعد اليمن ومدته واحدة واحدة كما أشار إليه ابن سعيد* (اليمن)* من جزيرة العرب يشتمل على كراسي سبعة للملك تهامة والجبال، وفي تهامة مملكتان: مملكة زبيد ومملكة عدن. ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر من البرين من جهة الحجاز، إلى آخر أعمال عدن دورة

البحر الهندي. قال ابن سعيد: وجزيرة العرب في الإقليم الأول، ويحيط بها البحر الهندي من جنوبها، وبحر السويس من غربها، وبحر فارس من شرقها. وكانت اليمن قديماً للتبابعة، وهي أخصب من الحجاز، وأكثر أهلها القحطانية، وفيها من عرب وائل. وملكها لهذا العهد لبني رسول موالي بني أيوب، ودار ملكهم تعز، بعد أن نزلوا الحرة أولاً وبصعدة من اليمن أئمة الزيدية وبزبيد وهي مملكة اليمن شمالها الحجاز، وجنوبها البحر الهندي، وغربها بحر السويس اختطها محمد بن زياد أيام المأمون سنة أربع ومائتين، وهي مدينة مسورة تدخلها عين جارية، تحلها الملوك. وعليها غيطان يسكنونها أيام الغلة. وهي الآن من ممالك بني رسول، وبها كان ملك بني زياد ومواليهم. ثم غلب بنو الصليحي وقد مر خبرهم.

(عثر وحلى والسرجة)* من أعمال زبيد في شمالها، وتعرف بأعمال ابن طرف، مسيرة سبعة أيام في يومين من السرجة إلى حلى، ومكة ثمانية أيام. وعثر هي منبر الملك وهي على البحر، وكان سليمان بن طرف ممتنعاً بها على أبي الجيش ابن زياد. وكان مبلغ ارتفاعه خمسمائة. ألف دينار. ثم دخل في طاعته وخطب له وحمل المال. ثم صارت هذه المملكة للسليمانيين من بني الحسن من أمراء مكة، حين طردهم الهواشم عن مكة. وكان غالب بن يحيى منهم يؤدي الأتاوة لصاحب زبيد، وبه استعان محمد مفلح الفاتكي من سرور. ثم هلك بعدها. ثم عيسى بن حمزة من بنيه. ولما ملك الغز اليمن أخذ يحيى أخو عيسى أسيراً، وسيق إلى العراق فحاول عليه عيسى فتخلصه من الأسر. ورجع إلى اليمن فقتل أخاه عيسى، وولي مكانه المهجم من أعمال زبيد على ثلاثة مراحل عليها، وعربها من العسيرة من حكم وجغفر قبيلتين منهم. ويجلب منها الزنجبيل. (السرير): آخر أعمال تهامة من اليمن، وهي على البحر دون سور، وبيوتها أخصاص، وملكها راجح بن قتادة سلطان مكة أعوام الخمسين وستمائة. وله قلعة على نصف مرحلة منها.

(الزرائب)* من الأعمال الشمالية من زبيد، وكانت لابن طرف، واجتمع له فيها عشرون ألفاً من الحبشة الذين معه جميعاً. وقال ابن سعيد: في أعمال زبيد والأعمال التي في الطريق الوسطى بين البحر والجبال. وهي

في خط زبيد في شماليها، وهي الجادة إلى مكة. قال عمارة: هي الجادة السلطانية منها إلى البحر يوم أو دونه. وكذلك إلى الجبال. ويجتمع الطريقان الوسطى والساحلية في السرير ويفترقان. (عدن)* من ممالك اليمن في جوف زبيد، وهي كرسي عملها

، وهي على ضفة البحر الهندي. وكانت بلد تجارة منذ أيام التبابعة، وبعدها عن خط الاستواء ثلاث عشرة درجة، ولا تنبت زرعاً ولا شجراً، ومعاشهم السمك، وهي ركاب الهند من اليمن وأول ملكها لبني معن بن زائدة، استقاموا لبني زياد وأعطوهم الأتاوة. ولما ملك الصليحيون أقرهم الداعي. ثم أخرجهم ابنه أحمد المكرم، وولاها بني المكرك من جشم بن يام رهطه بهمدان، وصفا الملك فيها لبني الزريع منهم، وقنع منهم بالأتاوة، حتى ملكها من أيديهم شمس الدولة بن أيوب كما تقدم.

(**عدن أبين**) من بينات المدن وهي إلى جهة الشحر.

(الزعزاع) باودية ابن أيوب عدن، وكانت لبني مسعود بن المكرم المقارعين لبني الزريع.

(الجوة) اختطها ملوك الزريعيين قرب عدن، ونزلها بنو أيوب ثم انتقلوا إلى تعز.

(حصن ذي جبلة) من حصون مخلاف جعفر، اختطه عبد الله الصليحي أخو الداعي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وانتقل إليه ابنه المكرم من حصن صنعاء. وزوجه سيدة بنت أحمد المستبدة عليه، وهي التي تحكمت سنة ثمانين. ومات المكرم وقد فوض الأمر في الملك والدعوة إلى سبا بن أحمد بن المظفر الصليحي، وكان في معقل اشيح، وكانت تستظهر بقبيل جنب، وكانوا خاملين في الجاهلية فظهروا بمخلاف جعفر. ثم وصل من مصر ابن نجيب الدولة داعياً، ونزل مدينة جند، واعتضد بهمذان فحاربته السيدة بجنب وخولان إلى أن ركب البحر وغرق. وكان يتولى أمورها المفضل بن أبي البركات بعد زوجها المكرم، واستولى عليها.

(التعكر) من مخلاف جعفر، كان لبني الصليحي، ثم لسيدة من بعدهم، ثم طلبه

منها المفضل بن أبي البركات فسلمته إليه، وأقام فيه إلى أن سار إلى زبيد، وحاصر فيها بني نجاح، وطالت غيبته فثار بالتعكر جماعة من الفقهاء، وقتلوا نائبه، وبايعوا لإبراهيم بن زيدان منهم، وهو عمارة الشاعر. واستظهروا بخولان فرجع المفضل وحاصرهم كما ذكرنا ذلك من قبل.

(حصن خدد) كان لعبد الله بن يعلي الصليحي، وهو من مخلاف جعفر، وكان المفضل قد أدخل من خولان في حصون المخلاف عدداً كثيراً في بني بحر وبني منبه ورواح وشعب. فلما مات المفضل وفي كفالته سيدة كما مرّ، وثب مسلم بن الذر من خولان في حصن خدد، وملكه من يد عبد الله بن يعلى الصليحي، ولحق عبد الله بحصن مصدود، ورشحته سيدة لمكان المفضل، واستخلصته الدولة من مدينة الجند ومن اليمن بأمرها.

(حصن مصدود) من حصون مخلاف جعفر وهي

خمسة: ذو جبلة والتعكر وحصن خدد. ولما غلبت خولان على حصن خدد من يد عبد الله الصليحي، ولحق بحصن مصدود، واستولى عليه منهم زكريا بن شكير البحري، وكان بنو الكردي من حمير ملوكاً قبل بني الصليحي باليمن، وانتزع بنو الصليحي ملكهم، وكان لهم مخلاف بحصونة، ومخلاف مغافر، ومخلاف الجند، وحصن سمندان. ثم استقرت لمنصور بن المفضل بن أبي البركات، وباعها من بني الزريع كما مرّ.

(صنعاء) قاعدة التبابعة قبل الإسلام، وأول مدينة اختطت باليمن، وبنتها فيما يقال عاد، وكانت تسمى أوال من الأولية بلغتهم. وقصر غمدان قريب منها أحد البيوت السبعة، بناه الضحّاك بإسم الزهرة، وحجّت إليه الأمم، وهدمه عثمان. وصنعاء أشهر حواضر اليمن، وهي فيما يقال معتدلة، وكان فيها أول المائة الرابعة بنو يعفر من التبابعة، ودار ملكهم كحلان، ولم يكن لها نباهة في الملك إلى أن سكنها بنو الصليحي، وغلب عليها الزيدية، ثم السليمانيون من بعد بني الصليحي.

(قلعة كحلان) من أعمال صنعاء لبني يعفر من التبابعة، بناها قرب صنعاء إبراهيم، وكانت له صعدة ونجران. واعتصم بنو يعفر بقلعة كحلان وقال البيهقي: سيد قلعة كحلان أسعد بن يعفر، وحارب بني الرسي وبني زياد أيام أبي الجيش.

(حصن الصمدان) من أعمال صنعاء، كانت فيه خزائن بني الكردي الحميريين إلى أن ملكه على الصليحي، ورد عليهم المكرم بعض حصونهم إلى أن انقرض أمرهم على يد ابن مهدي. وكان لهم مخلاف جعفر الذي منه مدينة ذي جبلة، ومعقل التعكر وهو مخلاف الجند ، ومخلاف معافر مقر ملكهم السمدان، وهو أحصن من الدولة.

(قلعة منهاب) من قلاع صنعاء بالجبال ملكها بنو زريع، واستبدّ بها منهم الفضل بن علي بن راضي بن الداعي محمد بن سبا بن زريع نعته صاحب الجزيرة بالسلطان. وقال: كانت له قلعة منهاب، وكان حياً سنة ست وثمانين وخمسمائة، وصارت بعده لأخيه الأغر أبي علي.

(جبل الدبجرة) وهو بقرب صنعاء، وقد اختط جعفر مولى بني زياد سلطان اليمن مخلاف جعفر فنسب إليه.

(عدن لاعة) بجانب الدبجرة، أول موضع ظهرت فيه دعوة الشيعة باليمن، ومنها محمد

بن المفضل الداعي. ووصل إليها أبو عبد الله الشيعي صاحب الدعوة بالمغرب. وفيها قرأ على علي بن محمد الصليحي صبياً، وهي دار دعوة اليمن. كان محمد بن المفضل داعياً عهد أبي الجيش بن زياد وأسعد بن يعفر.

(بيجان) ذكرها عمارة في المخاليف الجبلية، وملكها نستوان بن سعيد القحطاني.

(تعمر) من أجَلّ معاقل الجبال المطلة، على تهامة، ما زال حصناً للملوك، وهو اليوم كرسي لبني رسول ومعدود في الأمصار. وكان به من ملوك اليمن منصور بن المفضل بن أبي البركات، وبنو المظفر، وورثها عنه ابنه منصور ثم باعها حصناً حصناً من الداعي بن المظفر والداعي الزريعي، إلى أن بقي بيده حصن تعمر فأخذه منه بن مهدي.

(معقل اشيح) من أعظم حصون الجبال، وفيه خزائن بني المظفر من الصليحيين، صارت له بعهد المكرم ابن عمه صاحب ذي جبلة، وقلده المستنصر الدعوة، وتوفي سنة ست وثمانين وأربعمائة. وغلب ابنه عليّ على معقل الملك أشيح. وأعيا المفضل أمره إلى أن تحتل عليه وقتله بالسم، وصارت حصون بني المظفر إلى بني أبي البركات. ثم مات المفضل، وخلف ابنه منصوراً. واستقل بملك أبيه بعد حين، وباع جميع الحصون، تباع ذا جبلة من الداعي الزريعي صاحب عدن بمائة ألف دينار، وحصن صنبر، بعد أن كان حلف بالطلاق من زوجته أنه يستبقيه، وطفق زوجته الحرة وتزوجها الزريعي، وطال عمره. ملك ابن عشرين، وبقي في الملك ثمانين، وأخذ منه معقل علي مهدي.

(صعدة) مملكتها تلو مملكة صنعاء، وهي في شرقيها، وفي هذه المملكة ثلاثة

قواعد: صعدة وجبل قطابة وحصن تلا وحصون أخرى، وتعرف كلها ببني الرسي، وقد تقدم ذكر خبره. وأما حصن تلا فمنه كان ظهور الموطىء الذي أعاد إمامة الزيدية لبني الرضا، بعد أن استولى عليهما بنو سليمان فأوى إلى جبل قطابة. ثم بايعوا لأحمد الموطىء سنة، خمس وأربعين وستمائة، وكان فقيهاً عابداً، وحاصره نور الدين بن رسول في هذا الحصن

سنة جمر عليه عسكراً للحصار. ثم مات ابن رسول سنة ثمان وأربعين، واشتغل ابنه المظفر بحصار حصن الدمولة فتمكن الموطىء، وملك حصون اليمن، وزحف إلى صعدة، وبايعه السليمانيون وإمامهم أحمد المتوكل كما مر في أخبار بني الرسي. وأما قطابة فهو جبل شاهق مشرف على صعدة إلى أن كان ما ذكرناه.

(حران ومسار) أما حران فهو إقليم من بلاد همدان، وحران بطن من بطونهم، كان

منهم الصليحي، وحصن مسار هو الذي ظهر فيه الصليحي

وهي من إقليم حران. قال البيهقي: بلادهم شرقية بجبال اليمن، وتفرّقوا في الإسلام، ولم يبق لهم قبيلة وفرقة إلا في اليمن، وهو أعظم قبائل اليمن، وبهم قام الموطىء، وملكوا جملة من حصون الجبال، ولهم بها إقليم بكيل، وإقليم حاشد، وهما إبنا جشم بن حيوان وأنوق بن همذان: قال ابن حزم: ومن بكيل وحاشد افترقت قبائل همذان انتهى. ومن همذان بنو الزريع أصحاب السلطنة والدعوة في عدن والجوة، ومنهم بنو يام من قبائل همذان انتهى. ومن همذان بنو الزريع سبعة، وهم الآن في نهاية من التشيع ببلادهم وأكثرهم زيدية.

(بلاد خولان) قال البيهقي: هي شرقية من جبال اليمن، ومتصلة ببلاد همذان،

وهي حصون خدد والتعكر وغيرهما. وهم أعظم قبائل اليمن مع همذان، ولهم بطون كثيرة. وافترقوا على بلاد الإسلام، ولم يبق منهم وبرية إلا باليمن.

(مخلاف بني وائل) مدينة هذا المخلاف شاحط، وصاحبها أسعد بن وائل، وبنو وائل بطن من ذي الكلاع. وذو الكلاع من سبا تغلبوا على هذه البلاد عند مهلك الحسن بن سلامة، حتى عادوا إلى الطاعة. واختط مدينة الكدد على مخلاف سهام، ومدينة المعقل على وادي دوال، ومات سنة إثنتين وأربعمائة.

(بلاد كندة) وهي من جبال اليمن مما يلي حضرموت، وجبال الرمل، وكان لهم بها

ملوك وقاعدتهم دمون ذكرها امرؤ القيس في شعره.

(بلاد مذحج) موالي جهات الجند من الجبال، وينزلها من مذحج عنس وزبيد ومراد. ومن عنس بإفريقية فرقة وبرية مع ظواعن أهلها، ومن زبيد بالحجاز بنو حرب بين مكة والمدينة. وبنو زبيد الذين بالشام والجزيرة فهم من طىء وليسوا من هؤلاء.

(بلاد بني نهد) في أجواف السروات. وتبالة والسروات بين تهامة والجبال ونجد من اليمن والحجاز كسوأة الفرس. وبنو نهد من قضاعة سكنوا اليمن جوار خثعم وهم كالوحوش، والعامة تسميهم السرو، واكثرهم

أخلاط من جبلة وخثعم. ومن بلادهم تبالة يسكنها قوم نهير وائل، ولهم بها صولة، وهي التي وليها الحجاج واستحقرها فتركها.

(البلاد المضافة

إلى اليمن) أولها الثمامة. قال البيهقي: هو بلد منقطع بعمله، والتحقيق أنه من الحجاز، كما هي نجران من اليمن. وكذا قال ابن حوقل وهي دونها في المملكة، وأرضها تسمى العروض لاعتراضها بين الحجاز والبحرين. وفي شرقيها البحرين، وغربيها أطراف اليمن والحجاز، وجنوبها نجران، وشمالها نجد من الحجاز. وفي أطرافها عشرون مرحلة، وهي على أربعة أميال من مكة. وقاعدتها حجر "بالفتح"

وبلد اليمامة كانت مقراً لملوك بني حنيفة. ثم اتخذ بنو حنيفة حجراً وبينهما يوم وليلة، وبظواهرها أحياء من بني يربوع من تميم، وأحياء من بني عجل. قال البكري: وإسمها جو، وسميت باسم زرقاء اليمامة، سماها بذلك تبع الآخر، وهي في الاقليم الثاني مع مكة وبعدهما عن خط الاستواء [*] واحد، منازلها توضيح وقرقرا. وقال الطبري: إن رمل عالج من اليمامة والشحر، وهي من أرض وبار. وكانت اليمامة والطائف لبني مزان بن يعفر والسكسك، وغلبتهم عليها طسم وجديس. ثم غلبتهم بنو مزان آخراً وملكوا اليمامة. وطسم وجديس في تبعهم، وآخر ملوك بني طسم عمليق. ثم غلبت جديس. ومنهم باليمامة التي سميت مدينة جو بها، وأخبارها معروفة. ثم استولى على اليمامة بعد طسم وجديس بنوحنيفة، وكان منهم هودة بن علي ملك اليمامة، وتتوج. ويقال إنما كانت خرزات هودة بن علي ملك اليمامة، على عهد النبوة، وأسر وأسلم وثبت عند الردة. وكان منهم مسيلمة وأخباره معروفة. قال ابن سعيد: وسألت عرب البحرين وبعض مذحج لمن اليمامة اليوم؟ فقالوا لعرب من قيس عيلان، وليس لبني حنيفة بها ذكر.

(بلاد حضرموت)* قال ابن حوقل: هي في شرقي عدن بقرب البحر، ومدينتها صغيرة ولها أعمال عريضة، وبينها وبين عمان من الجهة الأخرى رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وكانت مواطن لعاد. وبها قبر هود عليه السلام، وفي وسطها جبل بشام، وهي في الإقليم، الأول. وبعدها عن خط الأستواء إثنتا عشرة درجة، وهي معدودة من اليمن، بلد نخل وشجر ومزارع. وأكثر أهلها يحكمون بأحكام علي وفاطمة، ويبغضون عليا للتحكيم.

وأكبر مدينة بها الان قلعة بشام فيها خيل الملك، وكانت لعاد مع الشحر وعمان، وغلبهم عليها بنو يعرب بن قحطان. ويقال إن الذي دل عاداً على جزيرة العرب هو

رقيم بن إرم، كان سبق إليها مع بني هود فرجع إلى عاد، ودلهم عليها، وعلى دخولها بالجوار فلما دخلوا غلبوا على من فيها. ثم غلبهم بنو يعرب بن قحطان بعد ذلك، وولى على البلاد فكانت ولاية ابنه حضرموت على هذه البلاد، وبه سميت الشحر من ممالك جزيرة العرب مثل الحجاز واليمن. وكان معقلاً عن حضرموت وعمان، والذي يسمى الشحر قصبته، ولا زرع فيه ولا نخل، إنما أموالهم الإبل والمعز، ومعشهم من اللحوم والألبان، ومن السمك الصغار، ويعلفونها للدواب. وتسمى هذه البلاد أيضاً بلاد مهرة، وبها الإبل المهرية، وقد يضاف الشحر ألى عمان، وهو ملاصق لحضرموت، وقيل هو بسائطها. وفي هذه البلاد يوجد اللبان، وفي ساحله العنبر الشحري وهو متصل في جهة الشرق. ومن غربيها ساحل البحر الهندي الذي عليه عدن، وفي شرقيها بلاد عمان وجنوبها بحر الهند مستطيلة عليه، وشمالها حضرموت كأنها ساحل لها، ويكونان معاً لملك واحد. وهي في الإقليم الأول، وأشد حراً من حضرموت. وكانت في القديم لعاد، وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت أومن قضاعة، وهم كالوحوش في تلك الرمال، ودينهم الخارجية على رأي الإباضية منهم. وأول من نزل بالشحر من القحطانية مالك بن حمير، وخرج على أخيه مالك وهو ملك بقصر غمدان فحاربه طويلاً، ومات مالك فولي بعده ابنه قضاعة بن مالك فلم يزل السكسك يحاربه إلى أن قهره، واقتصر قضاعة على بلاد مهرة. وملك بعده ابنه أطاب ثم مالك بن الحاف، وانتقل إلى عمان وبها كان سلطانه. قال البيهقي: وملك مهرة بن حيدان بن الحاف بلاد قضاعة، وحارب عمه مالك بن الحاف صاحب عمان حتى غلبهم عليها، وليس لهم اليوم في غير بلادهم ذكر. ولبلاد الشحر مدينة مرياط وضفان على وزن نزال. وضفان دار ملك التبابعة، ومرياط بساحل الشحر، وقد خربت هاتان المدينتان. وكان أحمد بن محمود الحميري، ولقبه الناخودة، وكان تاجراً كثير المال يعبر إلى صاحب مرياط بالتجارة. ثم

استوزره، ثم هلك فملك أحمد الناخودة. ثم خرّبها وخرب ضفان سنة تسع عشرة وستمائة، وبنى على ساحل مدينة ضفا بضم الضاد المعجمة وسماها الأحمدية باسمه، وخرب القديمة لأنها لم يكن لها مرسى.

(نجران) قال صاحب الكمائم: هي صقع منفرد عن اليمن،

وقال غيره هي من اليمن. قال البيهقي: مسافتها عشرون مرحلة وهي شرقي صنعاء وشماليها، وتوالي الحجاز، وفيها مدينتان: نجران وجرش، متقاربتان في القدر والعادية غالبة عليها، وسكانها كالأعراب وبها كعبة نجران ينبت على هيئة عمدان كعبة اليمن وكانت طائفة من العرب تحج إليها وتنهر عندها وتسمى الدير. وبها قسق بن ساعدة، كان يتعبد فيها. ونزلها من القحطانية طائفة من جرهم، ثم غلبهم عليها حمير، وصاروا ولاة للتبابعة. وكان كل ملك منهم يسمى الأفعى. وكان منهم أفعى نجران، وإسمه القلمس بن عمرو بن همذان بن مالك بن شهاب بن زيد بن وائل بن حمير، وكان كاهناً، هو الذي حكم بين أولاد نزار لما أتوه حسبما هو مذكور. وكان والياً على نجران لبلقيس فبعثته إلى سليمان عليه السلام، وآمن وبث دين اليهودية في قومه وطال عمره. ويقال: إن البحرين والمسلل كانتا له. قال البيهقي ثم نزل نجران بنو مذحج، واستولوا عليها. ومنهم الحارث بنو كعب. وقال غيره: لما خرجت اليمانية في سيل العرم مرّوا بنجران فحاربتهم مذحج ومنها افترقوا. قال ابن حزم: ونزل في جوار مذحج بالصلح الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد. ثم غلبوا عليها مذحجاً وصارت لهم رياستها. ودخلت النصرانية نجران من قيمون، وخبره معروف في كتب السير وانتهت رياسة بين الحرث فيها إلى بني الريان. ثم صارت إلى بني عبد المدان. وكان يزيد منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم على يد خالد بن الوليد، ووفد مع قومه، ولم يذكره ابن عبد المؤمن، وهو مستدرك عليه. وابن أخيه زياد بن عبد الرحمن بن عبد المدان خال السفاح، ولاه نجران واليمامة، وخلف ابنيه محمداً ويحيى. ودخلت المائة الرابعة والملك بها لبني أبي الجود بن عبد المدان، واتصل فيهم. وكان بينهم وبين الفاطميين حروب. وربما يغلبونهم بعض الأحيان على نجران. وكان آخرهم عبد القيس الذي أخذ علي بن مهدي الملك من يده، ذكره عمارة وأثنى عليه. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

دولة بني حمدان

الخبر عن دولة بني حمد ان المستبدين بالدعوة العباسية من العرب

بالموصل والجزيرة والشام ومبادىء أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان بنو ثعلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار، ولهم محل في الكثرة والعدد، وكانت مواطنهم بالجزيرة في ديار ربيعة، وكانوا على دين النصرانية في الجاهلية، وصاغيتهم مع قيصر. وحاربوا المسلمين مع غسّان وهرَقْل أيام الفتوحات في نصارى العرب يومئذ من غسّان وإيّاد وقُضاعة وزَابِلة وسائر نصارى العرب. ثم ارتحلوا مع هرقْل إلى بلاد الروم، ثم رجعوا إلى بلادهم. وفرض عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجزية. فقالوا: يا أمير المؤمنين لا تذلنا بين العرب باسم الجزية، واجعلها صدقة مضاعفة ففعل. وكان قائدهم يومئذ حنظَلَة بن قَيس بن هرير من بني مالك بن بكربن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب وكان من رهطه عمرو بن بسطام صاحب السند أيام بني أمية. ثم كان منهم بعد ذلك في الإسلام ثلاثة بيوت :آل عمر بن الخطّاب العدويّ، وآل هارون المغمر، وآل حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان بن أسد. ولم يذكر ابن حزم هؤلاء البيوت الثلاثة في بطون بني ثعلب في كتاب الجمهَرَة. ووقفت على حاشية في هذا الموضع من كتابه فيها ذكر هؤلاء الثلاثة كالاستلحاق عليه. وقال في بني حمدان: وقيل إنهم موالي بني أسد. ثم قال آخر الحاشية إنه من خط المصنّف يعني ابن حزم. ولما فشا دين الخارجيّة بالجزيرة أيام مروان بن الحكم و فرّق جموعه، ومحا آثار تلك الدعوة. ثم ظهر في الجزيرة بعد حين أثر من تلك الدعوة. وخرج مساور بن عبد الله بن مساور البجليّ من السرات أيام الفتنة بعد مقتل المتوكّل، واستولى على أكثر أعمال الموصل، وجعل دار هجرته الحديثة. وكان على الموصل يومئذ عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي الذي ولّى المنصور جدّه محمداً على إفريقية، وعليه خرج مساور. ثم وليَ على الموصل أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب الثعلبي

سنة أربع وخمسين، واستخلف عليه ابنه الحسن فسار إلى مساور في جموع قومه، وفيهم حمدون بن الحرث فهزموا الخوارج وفرّقوا جمعهم. ثم وليَ أيام المهتدي عبد الله بن سليمان بن عمران الأزدي فغلبه

الخوارج، وملك مساور الموصل، ورجع إلى الحُديثَة. ثم انتقض أهل الموصل أيام المُعتمِد سنة تسع وخمسين، وأخرجو العامل وهو ابن أساتكين آلهيثم بن عبد الله بن المعتمد العدويّ من بني ثعلب، فامتنعوا عليه، وولّوا مكانه إسحق بن أيوب من آل الخطّاب، فزحف، ومعه حمدان بن حمدون وحاصرها مدّة. ثم كانت فتنة إسحق بن كنداجُق وانتقاضه على المعتمد، واجتمع لمدافعته عليّ بن داود صاحب الموصل، وحمدان بن حمدون، وإسحق بن أيوب فهزمهم إسحق بن كنداجق، وافترقوا فاتبع إسحق بن ايوب إلى نصيبين ثم إلى آمد. واستجار فيها بعيسى بن الشيخ الشيبانيّ وبعث إلى المُعزّ موسى بن زرارة صاحب أرزن فامتنع بأنجادهما. ثم ولي المعتمد ابن كنداجق على الموصل سنة سبع وستين فاجتمع لحربه إسحق بن ايوب، وعيسى بن الشيخ، وابو العزّ بن زرارة وحمدان بن حمدون في ربيعة و ثعلب فهزمهم ابن كنداجق، وحاصره هو ولجأوا إلى آمد عند عيسى بن الشيخ الشيباني، وحاصرهم بها، وتوالت عليهم الحروب. وهلك مساور الخارجيّ أثناء هذه الفتن في حربه مع العساكر سنة ثلاث وستين. واجتمع الخوارج بعده على هارون بن عبد الله البجليّ، واستولى على الموصل وكثر تابعه. وخرج عليه محمد بن خردان من أصحابه فغلبه على الموصل، فقصد حمدان بن حمدون مستنجداً به فسار معه وردّه إلى الموصل ولحق محمد بالحديثة، ورجع أصحابه إلى هارون. ثم سار هارون من الموصل إلى محمد فأوقع به وقتله، وعاث في الأكراد الجلاليّة أصحابه، وغلب على القرى والرساتيق، وجعل يأخذ الزكاة والعشر. ثم زحف بنو شيبان لقتاله سنة إثنتين وسبعين، فاستنجد بحمدان بن حمدون، وانهزم قبل وصوله إليه. ثم كانت الفتنة بين اسحق بن كنداجق ويوسف بن أبي الساج، وأخذ ابن أبي الساج بدعوة ابن طولون وكلب على الجزيرة والموصل، ثم عاد وملكها لابن كنداجق، وولّى عليها هارون بن سيما سنة تسع وسبعين ومائتين. فطرده أهلها، واستنجد ببني شيبان فساروا معه إلى الموصل، واستمدّ أهلها الخوارج وبنتي ثعلب فسار لامدادهم هارون الساري وحمدان فهزمهم بنو شيبان، وخاف أهل الموصل من ابن سيما. فبعثوا إلى بغداد، وولّى عليهم المعتمد علي بن داود الأزديّ. ولما بلغ المعتضد ممالأة حمدان بن حمدون

لهارون الساري، وما فعله بنو شيبان، وقد كان خرج لإصلاح الجزيرة، وأعطاه بنو شيبان رهنهم على الطاعة زحف إلى حمدان وهزمه فلحق بماردين، وترك

بها ابنه الحسين. وهرب فسار مع وصيف ونصر القسوري، ومروا بدير الزعفران وبه الحسين بن حمدان فاستأمن لهم، وبعثوا به إلى المعتضد. وأمر بهدم القلعة، ولقي وصيف حمدان فهزمه، وعبر إلى الجانب الغربي. ثم سار إلى معسكر، المعتضد، وكان إسحق بن أيوب الثعلبيّ قد سبق إلى طاعة السلطان، وهو في معسكره، فقصد خيمته ملقيا بنفسه عليه فأحصره عند المعتضد فحبسه. ثم سار نصر القسوري في اتباع هارون فهزم الخوارج، ولحق بأذربيجان. واستأمن آخرون إلى المعتضد، ودخل هارون البريّة. ثم سار المعتضد سنة ثلاث وثمانين في طلب هارون، وبعث في مقدمته وصيفا وسرّح معه الحسين بن حمدان بن يكرين، واشترط له إطلاق ابنه إن جاء بهارون فاتبعه وأسره وجاء به إلى المعتضد فخلع عليه وعلى إخوته وطوّقه، وفك القيود عن حمدان ووعده بإطلاقه. ومات إسحق بن أيوب العدويّ وكان على ديار ربيعة فولّى المعتضد مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمد.

مبدأ الدولة وولاية أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان علي الموصل:

ولما وليّ المكتفي عقد لأبي الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل وأعمالها، وكان الأكراد الهدبانيّة قد عاثوا في نواحيها ومقدمهم محمد بن سلّال فقاتلهم وعبر وراءهم إلى الجانب الشرقي، وقاتلهم على الخازر، وقتل مولاه سيما ورجع. ثم أمدّه الخليفة فسار في أثرهم سنة أربع وتسعين، وقاتلهم على أذربيجان، وهزم محمد بن سلال بأهله وولده، واستباحهم ابن حمدان. ثم استأمن صمد وجاءه إلى الموصل، واستأمن سائر الأكراد الحميدية، واستقام أمر أبي الهيجاء. ثم كانت فتنة الخلع ببغداد سنة ست وتسعين، وقتل الوزير العباس بن الحسن، وخلع المقتدر، وبويع عبد الله بن المعتز يوماً أو بعض يوم، وعاد المقتدر كما مرّ ذلك كله في أخبار الدولة العبّاسية. وكان الحسين بن حمدان على ديار ربيعة، وكان ممن تولّى كبر هذه الفتنة مع القوّاد، وباشر قتل الوزير مع من قتله فهرب. وطلبه المقتدر وبعث في طلبه القاسم بن سيما وجماعة من القوّاد فلم يظفروا به، فكتب إلى أبي الهيجاء وهو على الموصل فسار مع القاسم.

ولقيهم الحسين عند تكريت فانهزم واستأمن فأمّنه المقتدر، وخلع عليه، وولّاه أعمال قُمّ وقاشان. ثم ردّه بعد ذلك إلى ديار ربيعة.

انتقاض أبي الهيجاء ثم الحسين بن حمدان:

ولما كانت سنة تسع وتسعين خالف أبو الهيجاء بالموصل إلى سنة إثنتين وثلاثمائة، وكان الحسين بن حمدان على ديار ربيعة كما قدّمناه، فطالبه الوزير عيسى بن عيسى بحمل المال فدافعه فأمره بتسليم البلاد إلى العمّال فامتنع، فجهّز إليه الجيش فهزمهم. فكتب إلى مؤنس العجليّ، وهو بمصر يقاتل عساكر العلويّة، بأن يسير إلى قتال الحسين بعد فراغه من أمره، فسار إليه سنة ثلاث وثلاثمائة، فارتحل بأهله إلى أرمينية، وترك البلاد. وبعث مؤنس العساكر في أثره فأدركوه، وقاتلوه فهزموه، وأُسر هو وابنه عبد الوهاب وأهله وأصحابه، وعاد به إلى بغداد فأدخل على جمل وقبض المقتدر يومئذ على أبي الهيجاء وجميع بني حمدان فحبسهم جميعاً. ثم أطلق أبا الهيجاء سنة خمس وثلاثمائة بعدها، وقتل الحسين سنة ست، وولّى إبراهيم بن حمدان سنة وسبع على ديار ربيعة، وولّى مكانه داود بن حمدان.

ولاية أبي الهيجاء ثانية علي الموصل ثم مقتله:

ثم ولّى المقتدر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل سنة أربع عشرة وثلاثمائة، فبعث ابنه ناصر الدولة الحسين عليها، وأقام هو ببغداد. ثم بلغه إفساد العرب والأكراد في نواحيها، وفي نواحي عمله الاخر بخراسان. فبعث إلى أبيه ناصر الدولة فأوقع بالعرب في الجزيرة، ونكّل بهم. وجاءه في العساكر إلى تكريت فخرج ورحل بهم إلى شهرزور، وأوقع بالأكراد الجلاليّة حتى استقاموا على الطاعة. ثم كان خلع المقتدر سنة سبع عشرة وثلاثمائة بأخيه القاهر. ثم عاد ثاني يوم وأحيط بالقاهرة في قصره فتذمّم بأبي الهيجاء، وكان عنده يومئذ، وأطال المقام يحاول على النجاة به فلم يتمكن من ذلك. وانقض الناس على القاهر، ومضى أبو الهيجاء يفتّش عن بعض

المنافق في القصر يتخلّص منه فاتبعه جماعة وفتكوا به، وقتلوه منتصف المحرّم من السنة، وولّى المقتدر مولاه تحريراً على الموصل.

ولاية سعيد ونصر ا بني حمدان على الموصل:

ثم إن أبا العلاء سعيد بن حمدان ضمن الموصل وديار ربيعة، وما بيد ناصر الدولة فولاه الراضي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وسار إلى الموصل فخرج ناصر الدولة لتلقيه، وخالفه أبو العلاء إلى بيته، وفعد ينتظره، فأنفذ ناصر الدولة جماعة من غلمانه فقتلوه. وبلغ الخبر إلى الراضي فأعظم ذلك، وأمر الوزير ابن مقلة بالمسير إلى الموصل فسار إليها. وارتحل ناصر الدولة، واتبعه الوزير إلى جبل السن، ورجع عنه، وأقام بالموصل. واحتال بعض أصحاب ابن حمدان ببغداد على ابن الوزير، وبذل له عشرة آلاف دينار على أن يستحث أباه ففعل، وكتب إليه بأمور أزعجته فاستعمل على الموصل من وثق به من أهل الدولة. ورجع إلى بغداد في منتصف شوّال. ورجع ناصر الدولة إلى الموصل فاستولى عليها، وكتب إلى الراضي في الصفح، وأن يضمن البلاد فأجيب إلى ذلك واستقر في ولايته.

مسير الراضي إلى الموصل:

وفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة تأخر ضمان البلاد من ناصر الدولة فغضب الراضي، وسار ومدير دولته تحكم. وسار إلى الموصل، وتقدم تحكم إلى تكريت فخرج إليه ناصر الدولة فانهزم أصحابه، وسار إلى نصيبين، وأتبعه تحكم فلحق به. وكتب تحكم إلى الراضي بالفتح فسار في السفن يريد الموصل. وكان ابن رائق مختفياً ببغداد منذ غلبه ابن البريدي على الدولة، فظهر عند ذلك، واستولى على بغداد. وبلغ الخبر إلى الراضي فأصعد من الماء إلى البرّ، واستقدم تحكم من نصيبين، واستعاد ناصر

الدولة ديار ربيعة وهو يعلم بخبر ابن رائق. وبعث في الصلح على تعجيل خمسمائة ألف فأجابه إلى ذلك. وسار الراضي وتحكم إلى بغداد، ولقيهم ابو جعفر محمد بن يحيى بن سريق رسولاً من ابن رائق في الصلح، وعلى أن يولى ديار مضر، وهي حران والرها والرقة. وتضاف إليها قنسرين والعواصم فأجيب إلى ذلك. وسار عن بغداد إلى ولايته ودخل الراضي وتحكم بغداد ورجع ناصر الدولة بن حمدان إلى الموصل.

مسير المتقي إلى الموصل وولاية ناصر الدولة إمارة الأمراء:

كان ابن رائق بعد مسيره إلى ديار مضر والعواصم سار إلى الشام وملك دمشق من يد الأخشيد، ثم الرملة. ثم لقيه الأخشيد على عريش مصر وهزمه، ورجع إلى دمشق ثم اصطلحا على أن يجعلا الرملة تخماً بين الشام ومصر، وذلك سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. ثم توفي الراضي سنة تسع وعشرين، وولي المتقى وقتل تحكم، وجاء البريدي إلى بغداد، وهرب الأتراك التحكمية إلى الموصل، وفيهم توزون وجحجح. ثم لحقوا بأبي بكر محمد بن رائق واستحثوه إلى العراق. وغلب بعدهم على الخلافة الأتراك الديلمية، وجاء أبو الحسن البريدي من واسط فأقام ببغداد أربعة وعشرين يوماً أمير الأمراء .ثم شغب عليه الجند فرجع إلى واسط، وغلب كورتكين. ثم حجر المتقي، وكتب إلى ابن رائق يستدعيه فسار من دمشق في رمضان سنة تسع وعشرين، واستخلف عليها أبا الحسن أحمد بن علي بن حمدان، على أن يحمل إليه مائة ألف دينار، وسار ابن رائق إلى بغداد، وغلب كورتكين والديلمية، حبس كورتكين بدار الخلافة. ثم شغب عليه الجند، وبعث أبو عبد الله البريدي أخاه أبا الحسن إلى بغداد في العساكر فغلبوا عليها، وهرب المتقي وابنه أبو منصور، وزاد في المبرة فنثر الدراهم على ابن الخليفة، وبالغ في مبرته حتى ركب للإنصراف. وأمسك ابن رائق للحديث معه فأستدعاه المتقي، وخلع عليه، ولقبه ناصر الدولة، وجعله أمير الأمراء. وخلع على أخيه أبي الحسن، ولقبه سيف الدولة. وكان قتل ابن رائق، لتسع بقين من رجب ،وولاية ناصر الدولة مستهل شعبان من سنة ثمانين. ثم سار

الأخشيدي من مصر إلى دمشق فملكها من يد عامل ابن رائق، وسار ناصر الدولة مع المتقي إلى بغداد.

أخبار بني حمد ان ببغداد:

ولما قتل ابن رائق، وأبو الحسن البريدي على بغداد، وقد سخطه العامة والخاصة فهرب ججج إلى المتقي، وأجمع توزون وأصحابه إلى الموصل، واستحثوا المتقي وناصر الدولة فانجدوهم إلى بغداد. وولى على الخراج والضياع بديار مضر وهي الرها وحران والرقة أبا الحسن علي بن خلف بن طياب، وكان عليها أبو الحسن علي أحمد بن مقاتل من قبل ابن رائق، فقاتله ابن طياب وقتله. ولما قرب المتقي وناصر الدولة من بغداد هرب أبو الحسن بن البريدي إلى واسط بعد مقامه مائة يوم وعشرة أيام، ودخل المتقي بغداد ومعه بنو حمدان، وقلد توزون شرطة جانبي بغداد وذلك في شوال من السنة. ثم سار بنو حمدان إلى واسط فنزل ناصر الدولة بالمدائن، وبعث أخاه سيف الدولة إلى قتال البريدي وقد سار من واسط إليهم فقاتلوه تحت المدائن، ومعهم توزون وججج والأتراك فانهزموا أولاً ثم أمدهم ناصر الدولة بمن كان معه من المدائن فانهزم البريدي إلى واسط، وعاد ناصر الدولة إلى بغداد منتصف ذي الحجة وبين يديه الاسرى من أصحاب البريدي.

واقام سيف الدولة بموضع المعركة حتى اندملت جراحه، وذهب وهنه. ثم سار إلى واسط فلحق البريدي بالبصرة، واستولى على واسط فأقام بها معتزماً على اتباع البريدي إلى البصرة، واستمد أخاه ناصر الدولة في المال فلم يمده، وكان للأتراك عليه استطالة وخصوصاً توزون وججج. ثم جاء ابو عبد الله الكوفي بالمال من قبل ناصر الدولة ليفرقه في الأتراك فاعترضه توزون وججج، وأراد البطش به فأخفاه سيف الدولة عنهما، وردّه إلى أخيه. ثم ثار الأتراك بسيف الدولة سلخ شعبان فهرب من معسكره إلى بغداد ، ونهب سواده، وقتل جماعة من أصحابه. وكان أبو عبد الله الكوفي لما وصل إلى ناصر الدولة، وأخبره خبر اخيه اراد أن يسير إلى الموصل فركب المتقي إليه واستمهله، وعاد إلى قصره فأغذ السير إلى الموصل بعد ثلاثة عشر شهراً من إمارته. وثار الديلم والأتراك

ونهبوا داره. ولما هرب سيف الدولة من معسكره بواسط عاد الأتراك إلى معسكرهم، وولوا تورون أميراً وجحجح صاحب جيش، ولحق سيف الدولة ببغداد منتصف رمضان بعد مسير أخيه، وبلغه خبر تورون. ثم اختلف الأتراك وقبض توزون على جحجح، وسمله وسار سيف الدولة، ولحق بأخيه بالموصل وولى إمارة الأمراء ببغداد.

خبر عدل التحكمي بالرحبة:

كان عدل هذا مولى تحكم، ثم صار مع ابن رائق واصعد معه إلى الموصل. ولما قتل ابن رائق صار في جملة ناصر الدولة بن حمدان فبعثه مع علي بن طياب إلى ديار مضر، فاستولى ابن طياب عليها، وقتل نائب ابن رائق. وكان بالرحبة من ديار مضر رجل من قبل ابن رائق يقال مسافر بن الحسين فامتنع بها، وجبى خراجها، واستولى على تلك الناحية فأرسل إليه ابن طياب عدلاً التحكمي فاستولى عليها، وفر مسافر عنها. واجتمع التحكمية إلى عدل واستولى على طريق الفرات وبعض الخابور. ثم استنصر مسافر بجمع من بني نمير، وسار إلى قرقيسيا وملكها وارتجعها عدل من يده. ثم اعتزم عدل على ملك الخابور، وانتصر أهله ببني نمير فأعرض عدل عن ذلك حيناً حتى أمنوا. ثم أسرى إلى فسيح سمصاب وهي من أعظم قرى خابور فقاتلها، ونقب السور وملكها، ثم ملك غيرها. وأقام في الخابور ستة اشهر، وجبى الأموال، وقوي جمعه واتسعت حاله. ثم طمع في ملك بني حمدان فسار يريد نصيبين لغيبة سيف الدولة عن الموصل وبلاد الجزيرة، ونكب عن الرحبة وحران لأن يأنس المؤنسي كان بها في عسكر، ومعه جمع من بني نمير فحاد عنها إلى رأس عين، ومنها إلى نصيبين، وبلغ الخبر إلى أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فجمع وسار إليه، فلما التقى الجمعان استأمن من أصحاب عدل إلى ابن حمدان، ولم يبق معه إلا القليل فقبض عليه وسمله، وبعث به مع ابنه إلى بغداد في آخر شعبان سنة إحدى

وثلاثين ومائتين.

مسير المتقي إلى الموصل وعوده:

ولما انصرف ناصر الدولة وسيف الدولة عن المتقي من بغداد جاء توزون من واسط واستولى على الدولة، ثم رجع إلى واسط ووقعت بينه وبين ابن البريدي بالبصرة مواصلة وصهر استوحش لها المتقي. وكان بعض أصحاب توزون منافراً له، فأكثر فيه السعاية عند المتقي والوزير ابن مقلة، وخوفهما اتصال يده بابن البريدي. وقارن ذلك اتصال ابن شيرزاده بتوزون ومسيره إليه بواسط، فذكروا الخليفة بما فعل ابن البريدي معه في الّمرة الأخرى وخوّفوه عاقبة أمرهم، فكتب إلى ابن حمدان أن ينفذ إليه عسكراً يسير صحبته إليهم فأنفذه مع ابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان، ووصلوا إلى بغداد سنة إثنتين وثلاثين وخرج المتقي معهم بأهله وأعيان دولته، ومعه الوزير ابن مقلة، وانتهى إلى تكريت فلقيه سيف الدولة هنالك.

وجاء ناصر الدولة فأصعد المتقي إلى الموصل. ولما بلغ الخبر إلى توزون سار نحو تكريت فلقيه سيف الدولة عندها فقاتله ثلاثة أيام. ثم هزمه تورون ونهب سواده وسواد اخيه. وسار سيف الدولة إلى الموصل وتوزون في اتباعه فخرج ناصر الدولة والمتقي وجملته إلى نصيبين، ثم إلى الرقة، ولحقهم سيف الدولة إليها. وملك توزون الموصل، وبعث إليه المتقي يعاتبه على اتصاله بابن البريدي، وأنه إنما استوحش من ذلك فإن آثر رضاه واصل ابن حمدان فأجاب توزون إلى ذلك، وعقد الضمان لناصر الدولة على ما بيده من البلاد لثلاث سنين، كل سنة بثلاثة آلاف وستمائة الف. وعاد توزون إلى بغداد وأقام المتقي بالرقة. ثم أحس من ابن حمدان ضجراً به، وبلغ سيف الدولة ان محمد بن نيال الترجمان أغرى المتقي بسيف الدولة، وهو الذي كان أفسد بين المتقي وتوزون فقبض عليه سيف الدولة وقتله، وارتاب المتقي بذلك فكتب إلى توزون يستصلحه. وكتب إلى الأخشيد محمد بن طغج صاحب مصر يستقدمه، فسار إليه الأخشيد. ولما وصل إلى حلب، وعليها من قبل سيف الدولة ابن عمهم أبو عبد الله سعيد بن حمدان

فرحل عنها، وتخلف عنه ابن مقاتل الذي كان بدمشق مع ابن رائق. ولم وصل الأخشيد إلى حلب لقيه ابن مقاتل فأكرمه واستعمله على خراج مصر. ثم سار إلى المتقي بالرقة فلقيه منتصف ثلاث وثلاثين فبالغ المتقي في إكرامه، وبالغ هو في الأدب معه، وحمل إليه الهدايا والى وزيره وحاشيته، وسأله المسير إلى مصر أو الشام فأبى فأشار عليه أن لا يرجع إلى توزون فأبى. وأشار على ابن مقلة أن يسير معه إلى مصر ليحكمه في دولته، وخوفه من توزون فلم يعمل، وجاءهم رسل توزون في الصلح وأنهم استحلفوه للخليفة والوزير، فانحدر المتقي إلى بغداد آخر المحرم، وعاد الأخشيد إلى مصر. ولما وصل المتقي إلى هيت لقيه توزون فقبل الأرض، ورأى أنه تحلل عن يمينه بتلك الطاعة. ثم وكل به وسمل المتقي ورجع، إلى بغداد فبايع للمستكفي. ولما ارتحل المتقي عن الرقة ولى عليها ناصر الدولة ابن عمه أبا عبد الله بن سعيد بن حمدان، وعلى طريق الفرات وديار مضر وقنسرين وجند والعواصم وحمص. فلما وصل إلى الرقة طمع أهلها فيه فقاتلهم، وظفر بهم ورجع إلى حلب، وقد كان ولى على هذه البلاد قبله أبا بكر محمد بن عليّ بن مقاتل.

استيلاء سيف الدولة على حلب وحمص:

ولما ارتحل المتقي من الرقة، وانصرف الأخشيد إلى الشام بقي يأنس المؤنسي

بحلب فقصده سيف الدولة، وملكها من يده. ثم سار إلى حمص فلقيه بها كافور مولى الأخشيد فهزمه سيف الدولة، وسار إلى دمشق فامتنعوا عليه فرجع. وجاء الأخشيد من مصر إلى الشام وسار في اتباع سيف الدولة فاصطفا بقنسرين، ثم تحاجزوا، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة، والأخشيد إلى دمشق. ثم سار سيف الدولة إلى حلب فملكهما وسارت عساكر الروم إليها فقاتلهم وظفر بهم. ثم بلغ ناصر الدولة بن حمدان

ما فعله توزون من سمل المتقي وبيعة المستكفي، فامتنع من حمل المال، وهرب إليه غلمان توزون فاستخدمهم، ونقض الشرط في ذلك. وخرج توزون والمستكفي قاصدين الموصل، وترددت الرسل بينهما في الصلح فتم ذلك آخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. وعاد المستكفي وتوزون إلى بغداد، فتوفي توزون إثر عوده، وولى الأمور بعده ابنه شيرزاده، واستعمل على واسط قائداً، وعلى تكريت آخر، فأمّا الذي على واسط فكاتب معز الدولة ابن بويه، واستقدمه فقدم بغداد، واستولى على الدولة فخلع المستكفي، وبايع للمطيع. وأما الذي على تكريت فسار إلى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل، وسار معه وولاه عليها من قبله.

الفتنة بين ابن حمدان وابن بويه:

ولما خلع معز الدولة بن بويه المستكفي عند استيلائه على بغداد امتعض ناصر

الدولة بن حمدان لذلك، وسار من الموصل إلى العراق. وبعث معز الدولة بن بويه قواده فالتقى الجمعان بعكبرا، واقتتلوا، وخرج معز الدولة مع المطيع إلى عكبرا، وكان ابن شبرزاده ببغداد وأقام بها، ولحق بناصر الدولة بن حمدان. وجاء بعساكره إلى بغداد فنزلوا بالجانب الغربي، وناصر الدولة بالجانب الشرقي، ووقع الغلاء في معسكر معز الدولة، والخليفة لانقطاع الميرة. وبقي عسكر ابن حمدان في رخاء من العيش لاتصال الميرة من الموصل. واستعان ابن شيرزاده بالعامة والعمارين على حرب معز الدولة والديلم، وضاق الأمر بمعز الدولة حتى اعتزم على الرجوع إلى الأهواز. ثم أمر أصحابه بالعبور من قطربال بأعلى دجله، وتسابق أصحاب ناصر الدولة إلى مدافعتهم ومنعهم، وبقي في خف من الناس فأجاز إليه شجعان الديلم من أقرب الأماكن فهزموه، وملك معز الدولة الجانب الشرقي، وأعاد المطيع إلى داره في محرم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. ورجع ناصر الدولة إلى عكبرا. وأرسل في الصلح فوقف الأتراك التورونية الذين معه على خبر رسالته فهموا بقتله، فأغذ السير إلى الموصل ومعه ابن شيرزاده، وأحكم الصلح مع معز الدولة.

استيلاء سيف الدولة علي دمشق:

وفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة توفي الأخشيد أبو بكر محمد بن طغج صاحب مصر والشام، فنصب للأمر بعده ابنه ابو القاسم أنوجور، واستولى عليه كافور الأسود وخادم أبيه، وسار بهما إلى مصر. وجاء سيف الدولة إلى دمشق فملكها وارتاب به أهلها فاستدعوا كافوراً فجاءهم، وخرج سيف الدولة إلى حلب، ثم أتبعوه فعبر إلى الجزيرة وأقام أنوجور على حلب. ثم اتفقوا واصطلحوا، وعاد أنوجور إلى مصر، وسيف الدولة إلى حلب، وأقام كافور بدمشق قليلاً ثم عاد إلى مصر واستعمل على دمشق بدرا الأخشيد ويعرف ببدير. ثم عزله بعد سنة وولى أبا المظفر طغج.

الفتنة بين ناصر الدولة ابن حمدان وبين تكين والأتراك:

كان مع ناصر الدولة جماعة من الأتراك أصحاب توزون فّروا إليه كما قدّمنا، فلما

وقعت المراسلة بينه وبين معز الدولة في الصلح ثاروا به، وهرب منهم، وعبر إلى الجانب الغربي ونزل الموصل واستجار القرامطة فأجاروه، وبعثوا معه إلى مأمنه، وفي جملته ابن شيرزاده فقبض ناصر الدولة عليه، واجتمع الأتراك بعده فقدموا عليهم تكين الشيرازي، وقبضوا على من تخلف من أصحاب ناصر الدولة، وأتبعوه إلى الموصل فسار عنها إلى نصيبين، ودخل الأتراك الموصل. وبعث ناصر الدولة إلى معز الدولة يستصرخه، فبعث إليه بالجيوش مع وزيره أبي جعفر الصيمري. وخرج الأتراك من الموصل في اتباع ناصر الدولة إلى نصيبين فمضى إلى سنجار، ثم إلى الحديثة، ثم إلى السن، وهم في اتباعه. وبقي هنالك العساكر فقاتلوا الأتراك وهزموهم، وسيق قائدهم تكين إلى ناصر الدولة فسلمه لوقته، ثم حبسه وسار مع الصيمري إلى الموصل فأعطاه ابن شيرزاده، وارتحل به إلى بغداد.

انتقاض جمان بالرحبة ومهلكه:

كان جمان هذا من أصحاب توزون، وسار إلى ناصر الدولة بن حمدان فلما كان في محاربة معز الدولة ببغداد، استراب بمن معه من الديلم، وجمعهم على جمان هذا، وأخرجه إلى الرحبة والياً فعظم أمره. وانتقض سنة ست وثلاثين وثلاثمائة على ناصر الدولة، وحدثته نفسه بالتغلب على ديار مضر فسار إلى الرقة وحاصرها سبعة عشر يوماً، وانهزم عنها. ووثب أهل الرحبة بأصحابه وعماله فقتلوهم لسوء سيرتهم. وجاء من الرقة فأثخن فيهم، وبعث ناصر الدولة بن حمدان حاجبه باروخ مع عسكر فاقتتلوا على الفرات، وانهزم جمان فغرق في الفرات واستأمن أصحابه إلى باروخ فأمنهم ورجع إلى ناصر الدولة.

فتنة ناصر الدولة مع معز الدولة:

ثم وقعت الفتنة بين ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة بن بويه، وسار إليه معز الدولة من بغداد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فسار هو من الموصل إلى نصيبين، وملك معز الدولة الموصل فظلم الرعايا واخذ أموالهم، وأجمع الاستيلاء على بلاد ابن حمدان كلها، فجاءه الخبر بأنّ عساكر خراسان قصدت جرجان والريّ. وبعث أخوه ركن الدولة يستمده فصالح ناصر الدولة عن الموصل والجزيرة والشام على ثمانية آلاف ألف درهم كل سنة، وعلى أن يخطب له ولأخويه عماد الدولة وركن الدولة، وعاد إلى بغداد في ذي الحجة آخر سبع وثلاثين وثلاثمائة.

غزوات سيف الدولة:

كان أمر الثغور راجعاً إلى سيف الدولة بن حمدان، ووقع الفداء سنة خمس وثلاثين

وثلاثمائة في ألفين من الأسرى على يد نصر النملي، ودخل الروم سنة إثنتين وثلاثين مدينة واسرغين ونهبوها وسبوها وأقاموا بها ثلاثاً وهم في ثمانين آلفاً مع الدمشق. ثم سار سيف الدولة سنة سبع وثلاثين غازياً إلى بلاد الروم فقاتلوه وهزموه. ونزل الروم على مرعش فأخذوها وأوقعوا بأهل طرسوس. ثم دخل سنة ثمان وثلاثين، وتوغل في بلاد الروم، وفتح حصوناً كثيرة وغنم وسبا. ولما قفل أخذت الروم عليه المضايق وأثخنوا في المسلمين قتلاً وأسراً، واستردوا ما غنموه. ونجا سيف الدولة في فل قليل. ثم ملك الروم سنة إحدى وأربعين مدينة سروج واستباحوها. ثم دخل سيف الدولة سنة ثلاث واربعين إلى بلاد الروم فأثخن فيها وغنم وقتل قسطنطين بن الدمشق فيمن قتل، فجمع الدمشق عساكر الروم والروس وبلغار، وقصد الثغور فسار إليه سيف الدولة بن حمدان، والتقوا عند الحرث فانهزم الروم، واستباحهم المسلمون قتلاً وأسراً، وأسر صهر الدمشق، وبعض أسباطه وكثير من بطارقته، ورجع سيف الدولة بالظفر والغنيمة ثم دخل بلاد الروم النصرانية ثم رجع إلى أذنة، وأقام بها حتى جاءه نائبه على طرسوس فخلع عليه، وعاد إلى حلب. وامتعض الروم لذلك فرجعوا إلى بلادهم. ثم غزا الروم طرسوس والرها وعاثوا في نواحيها سبياً وأسراً ورجعوا. ثم غزا سيف الدولة بلاد الروم سنة ست وأربعين واثخن فيها، وفتح عدة حصون وامتلأت أيدي عسكره من الغنائم والسبي وانتهى إلى خرسنة ورجع، وقد أخذت الروم عليه المضايق فقال له أهل طرسوس: إرجع معنا فإن الدروب التي دخلت منها قد ملكها الروم عليك فلم يرجع إليهم، وكان معجباً برأيه فظهر الروم عليه في الدرب، واستردوا ما أخذوا منهم، ونجا في فلّ قليل يناهزون الثلاثمائة. ثم دخل سنة خمسين قائد من موالي سيف الدولة إلى بلاد الروم، من ناحية ميافارقين فغنم وسبا، وخرج سالماً

.

الفتنة بين ناصر الدولة ومعز الدولة بن بويه:

قد تقدم لنا ما وقع من الصلح بين ناصر الدولة وبين معز الدولة بن بويه، وطالبه في المال فانتقض. وسار إليه معز الدولة إلى الموصل منتصف السنة وملكها، وفارقها ناصر الدولة إلى نصيبين وحمل نوابه ومن يعرف وجوه المال وحمايته، وأنزلهم في قلاعه مثل الزعفراني وكواشي، ودس إلى العرب بقطع الميرة عن عسكر معز الدولة فضاقت عليهم الأقوات، فرحل معز الدولة إلى نصيبين لما بها من الغلات السلطانية، واستخلف سبكتكين الحاجب الكبير على الموصل. وبلغه في طريقه أن أبا الرجاء وعبد الله إبني ناصر الدولة مقيمان بسنجار فقصدهما فهربا، وخلفا أثقالهما، وانتهب العسكر خيامهما. ثم عادا إلى معسكر معز الدولة وهم غازون فنالوا منهم، ورجعوا إلى سنجار. وسار معز الدولة إلى نصيبين ففارقها ناصر الدولة إلى ميافارقين، واستأمن كثير من أصحابه إلى معز الدولة فسار ناصر الدولة إلى أخيه سيف الدولة بحلب، فقام بخدمته وباشرها بنفسه. وأرسل إلى معز الدولة في الصلح بينه وبين أخيه، فامتنع معز الدولة من قبول ناصر الدولة لانتقاضه وإخلافه، فضمن سيف الدولة البلاد بألفي ألف وتسعمائة ألف درهم، وأطلق معز الدولة أسرى أصحابهم. وتم ذلك في محرم سنة ثمان وأربعين، ورجع معز الدولة إلى العراق وناصر الدولة إلى الموصل.

استيلاء الروم على عين زربة ثم على مدينة حلب:

وفي المحرم من سنة إحدى وخمسين نزل الدمستق في جموع الروم على عين زربة، وملك الجبل المطل عليها، وضيق عليها حصارها، ونصب عليها المنجنيقات. وشرع في النقب فاستأمنوا ودخل المدينة. ثم ندم على تأمينهم لما رأى من اختلال أحوالهم فنادى فيهم أن يخرجوا بجميع أهاليهم إلى المسجد فمات منهم في الأبواب بكض الزحام خلق، ومات آخرون في الطرقات، وقتل من وجدوا آخر النهار. واستولى الروم على أموالهم وأمتعتهم وهدموا سور المدينة، وفتحوا في نواحي عين زربة أربعة وخمسين

حصناً. ورحل الدمستق بعد عشرين يوماً بنية العود، وخلف بجيشه بقيسارية. وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان، واعترضه، الدمستق في بعض مذاهبه فأوقع به، وقتل أخاه وأعاد أهل البلد الخطبة لسيف الدولة، وألقى ابن الزيات نفسه في النهر فغرق .ثم رجع الدمستق إلى بلاد الثغور، وأغذ السير إلى مدينة حلب، وأعجل سيف الدولة عن الاحتشاد فقاتله في خف من أصحابه فانهزم سيف الدولة، واستلحم آل حمدان، واستولى الدمستق على ما في داره خارج حلب من خزائن الأموال والسلاح. وخرب الدار وحصر المدينة، وأحس أهل حلب مدافعته فتأخر إلى جبل حيوش.ثم انطلقت أيدي الدعار بالبلد على النهب، وقاتلهم الناس على متاعهم، وخربت الأسوار لخلوها من الحامية فجاء الروم، ودخلوها عليهم. وبادر الأسرى الذين كانوا في حلب وأثخنوا في الناس، وسبي من البلد بضعة عشر ألفاً ما بين صبي وصبية. واحتمل الروم ما قدروا عليه، وأحرقوا الباقي. ولجأ المسلمون إلى قصبة البلد فامتنعوا بها، وتقدم ابن أخت الملك إلى القلعة يحاصرها فرماه بحجر منجنيق فمات. وقتل الدمستق به من كان معه من أسرى المسلمين وكانوا ألفاً ومائتين. وارتحل الدمستق عنهم، ولم يعرض لسواد حلب. وأمرهم بالعمارة على أنه يعود ابن عمه عن قريب فخيب الله ظنه. وأعاد سيف الدولة عين زربة، وأصلح أسوارها وغزا حاجبه مع أهل طرسوس إلى بلاد الروم فاثخنوا فيها، ورجعوا فجاء الروم إلى حصن سبة فملكوه وملكوا أيضاً حصن دلوكة وثلاثة حصون مجاورة لهم. ثم سار نجا غلام سيف الدولة إلى حصن زياد فلقيهم جمع من الروم فانهزم الروم، وأسر منهم خمسمائة رجل. وفي السنة أسر أبو فراس بن سعيد بن حمدان، وكان عاملاً على منبج. وفيها سار جيش من الروم في البحر إلى جزيرة إقريطش، وبعث إليهم المعز بالمدد فأسر الروم وانهزم من بقي منهم. ثم ثار الروم في إثنتين وخمسين بعدها بملكهم فقتلوه، وملكوا غيره، وصار ابن السميسرة دمستقا.

انتقاض أهل حران:

كان سيف الدولة قد ولى هبة الله ابن أخيه ناصر الدولة غيرها من ديار مضر فساء

أثره فيهم، وطرح الأمتعة على التجار، وبالغ في الظلم فانتظروا به غيبته عند عمه سيف الدولة، وثاروا بعماله ونوابه فطردوهم فسار هبة الله إليهم، وحاصرهم شهرين، وأفحش في القتل فيهم. ثم سار سيف الدولة فراجعوا الطاعة، وداخلوا هبة الله، وأفحش في القتل واستقاموا.

انتقاض هبة الله:

وفي هذه السنة بعث سيف الدولة الصوائف إلى بلاد الروم فدخل أهل طرسوس من درب ومولاه نجا من درب، وأقام هو ببعض الدروب، لأنه كان أصابه الفالج قبل ذلك بسنتين فكان يعاني منه شدّة إذا عاوده وجعه، توغّل أهل طرسوس في غزوتهم وبلغوا قونية، وعادوا فعاد سيف الدولة إلى حلب، واشتدّ وجعه فأرجف الناس بموته فوثب عبد الله ابن أخيه، وقتل ابن نجا النصراني من غلمان سيف الدولة. ولما تيقن حياة عمه رحل إلى حران وامتنع بها، وبعث سيف الدولة غلامه فجاء إلى حران في طلبه، فلحق هبة الله بأبيه بالموصل ونزل نجا على حران آخر شوال من سنة إثنتين وخمسين، وصادر أهلها على ألف ألف درهم، وأخذها منهم في خمسة أيام بالضرب والنكال، وباعوا فيها ذخائرهم حتى أملقوا، وصاروا إلى ميافارقين ونزلها شاغرة فتسلط العيارون على أهلها.

انتقاض نجا بميافارقين وأرمينية واستيلاء سيف الدولة عليها:

ولما فعل نجا بأهل حران ما فعل، واستولى على أموالهم فقوي بها وبطر، وسار

إلى

ميافارقين، وقصد بلاد أرمينية. وكان قد استولى على أكثرها رجل من العراق يعرف بأبي الورد فغلبه نجا على ما ملك منها، وأخذ قلاعه وبلاده فملك خلاط وملاذكرد وأخذ كثيراً من أموال أبي الورد وقتله، ثم انتقض على سيف الدولة. واتفق أن معز الدولة ابغ بويه استولى على الموصل ونصيبين فكاتبه نجا يعده المساعدة علي بني حمدان. ثم صالحه ناصر الدولة، ورجع إلى بغداد فسار سيف الدولة إلى نجا فهرب منه بين يديه، واستولى على جميع البلاد التي ملكها من أبي الورد، واستأمن إليه نجا وأخوه وأصحابه، فأمنهم وأعاد نجا إلى مرتبته. ثم وثب عليه غلمانه وقتلوه في داره بميافارقين في ربيع سنة ثلاث وخمسين.

مسير معز الدولة إلى الموصل وحروبه مع ناصر الدولة:

كان الصلح قد استقّر بين ناصر الدولة ومعز الدولة على ألف ألف درهم في كل سنة. ثم طلب ناصر الدولة دخول ولده أبي ثعلب المظفر في اليمن على زيادة بذلها، وامتنع سيف الدولة من ذلك، وسار إلى الموصل منتصف سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة. ولحق ناصر الدولة بنصيبين وملك معز الدولة الموصل، وسار عنها في اتباع ناصر الدولة بعد أن استخلف على الموصل في الجباية والحرب فلم يثبت ناصر الدولة، وفارق نصيبين وملكها معز الدولة. وخالفه أبو ثعلب إلى الموصل، وعاث في نواحيها، وهزمه قواد معز الدولة بالموصل فسكنت نفس معز الدولة. واقام ببرقعيد يترقب أخباره، وخالف ناصر الدولة إلى الموصل فأوقع بأصحابه وقتلهم، وأسر قوّاده واستولى على مخلفه من المال والسلاح. وحمل ذلك كله إلى قلعة كواشي. وبلغ الخبر إلى معز الدولة فلحق بالنواب، وأعيا معز الدولة أمرهم. ثم ارسلوا إليه في الصلح فأجاب، وعقد لناصر الدولة على الموصل وديار ربيعة، وجميع أعماله بمقرها المعلوم، وعلى أن يطلق الأسرى الذين عنده من أصحاب معز الدولة إلى بغداد.

حصار المصيصة وطرسوس واستيلاء الروم عليها:

وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة خرج الدمستق في جموع الروم فنازل المصيصة، وشدّ حصارها، وأحرق رساتيقها، وبلغ إلى نقب السور فدافعه أهلها أشد مدافعتهم. ثم رحل إلى أذنة وطرسوس، وطال عيثه في نواحيها، وأكثر القتل في المسلمين، وغلت الأسعار في البلاد، وقلت الأقوات. وعاود مرض سيف الدولة فمنعه من النهوض إليهم، وجاء من خراسان خمسة آلاف رجل غزاة فبلغوا إلى سيف الدولة، فارتحل بسببهم للمدافعة فوجد الروم انصرفوا ففرّق هؤلاء الغزاة في الثغور من أجل الغلاء، وكان الروم قد انصرفوا بعد خمسة عشر يوماً. وبعث الدمستق إلى أهل المصيصة وأذنة وطرسوس يتهددهم بالعود، ويأمرهم بالرحيل من البلاد. ثم عاد إليهم وحاصر طرسوس فقاتلهم أشدّ قتال، وأسروا بطريقاً من بطارقته، وسقط الدمشق إلى أهل المصيصة، ورجعوا إلى بلادهم. ثم سار يعفور ملك الروم من القسطنطينية سنة أربع وخمسين إلى الثغور، وبنى بقيسارية مدينة ونزلها، وجهز عليها العساكر وبعث أهل المصيصة وطرسوس في الصلح فامتنع، وسار بنفسه إلى المصيصة فدخلها عنوة واستباحها، ونقل أهلها إلى بلاد الروم وكانوا نحواً من مائتي ألف. ثم سار إلى طرطوس واستنزل أهلها على الأمان، وعلى أن يحملوا من أموالهم وسلاحهم ما قدروا عليه، وبعث معهم حامية من الروم يبلغونهم أنْطاكِية، وأخذ في عمارة طرسوس وتحصينها وجلب الميرة إليها. ثم عاد إلى القسطنطينية، وأراد الدمشق بن شمسيق أن يقصد سيف الدولة في ميافارقين، ومنعه الملك من ذلك.

انتقاض أهل أنْطاكِية وحمص:

ولما استولى الروم على طرطوس لحق الرشيق النعيمي من قوادهم وأولي الرأي فيهم

بأنْطاكِية في عدد وقوة فاتصل به ابن أبي الأهوازي من الجباة بأنْطاكِية، وحسن له العصيان وأراه ان سيف الدولة بميافارقين عاجز عن العود إلى الشام بما هو فيه من الزمانة، وأعانه بما كان عنده من مال الجباة، فأجمع رشيق الانتقاض، وملك أنْطاكِية وسار إلى حلب وبها عرقوبة وجاء الخبر إلى سيف الدولة بأن رشيقاً أجمع الانتقاض، ونجا ابن الأهوازي إلى أنْطاكِية فأقام في إمارتها رجلاً من الديلم اسمه وزير ولقبه الأمير، وأوهم أنه علوي وتسمى هو بالأشاد وأساء السيرة في أهل أنْطاكِية، وقصدهم عرقوبة من حلب فهزموه. ثم جاء سيف الدولة من ميافارقين إلى حلب، وخرج إلى أنْطاكِية، وقاتل وزيرا وابن الأهوازي أياماً. وجيء بهما إليه أسيرين فقتل وزير وحبس ابن الأهوازي أياماً وقتله، وصلح أمر أنْطاكِية. ثم ثار بحمص مروان القرمطي كان من متابعة القرامطة، وكان يتقلد السواحل لسيف الدولة، فلما تمكن ثار بحمص فملكها وملك غيرها في غيبة سيف الدولة بميافيارقين، وبعث إليه عرقوبة مولاه بدراً بالعساكر فكانت بينهما عدة حروب أصيب فيها مروان بسهم فأثبت، وبقي أياماً يجود بنفسه والقتال بين أصحابه وبين بدر، وأسر بدر في بعض تلك الحروب فقتله مروان، وعاش بعده أياماً، ثم مات وصلح أمرهم.

خروج الروم الي الثغور واستيلاؤهم علي دارا:

وفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة خرجت جموع الروم إلى الثغور فحاصروا آمد، ونالوا من أهلها قتلا واسراً فامتنعت عليهم فانصرفوا إلى دارا قريباً من ميافارقين فأخذوها، وهرب الناس إلى نصيبين، وسيف الدولة يومئذ بها فهم بالهروب وبعث عن العرب ليخرج معهم ثم انصرف الروم، وأقام هو بمكانه، وساروا إلى أنْطاكِية فحاصروها مدة، وعاثوا في جهاتها فامتنعت فعاد الروم إلى طرسوس.

وفاة سيف الدولة ومحبس أخيه ناصر الدولة:

وفي صفر من سنة خمس وخمسين و ثلاثمائة توفي سيف الدولة أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بحلب، وحمل إلى ميافارقين فدفن بها وولي مكانه بعده ابنه أبو المعالي شريف. ثم في جمادى الأولى منها حبس ناصر الدولة أخوه بقلعة الموصل، حبسه ابنه أبو ثعلب فضل الله الغضنفر. وكان كبير ولده، وكان سبب ذلك أنه كبر وساءت أخلاقه، وخالف أولاده وأصحابه في المصالح، وضيق عليهم فضجروا منه، ولما بلغهم معز الدولة بن بويه اعتزم أولاده على قصد العراق فنهاهم ناصر الدولة، وقال لهم: اصبروا حتى ينفق بختيار ما خلف أبوه معز الدولة من الذخيرة فتظفروا به، وإلا استظهر عليكم وظفر بكم فلجوا في ذلك، ووثب به ابو ثعلب بموافقة البطانة، وحبسه بالقلعة، ووكل بخدمته. وخالفه بعض إخوته في ذلك واضطرب أمره، واضطر إلى مداراة بختيار بن معز الدولة، وأرسل له في تجديد الضمان ليحتج به على إخوته فضمنه بألفي ألف درهم في كل سنة.

ولاية أبي المعالي بن سيف الدولة بحلب ومقتل أبي فراس:

ولما مات سيف الدولة كما ذكرناه، ولي بعده ابنه أبو المعالي شريف، وكان سيف الدولة قد ولى أبا فراس بن أبي العلاء سعد بن حمدان، عندما خلصه من الأسر الذي أسره الروم في منبج فاستفداه في الفداء الذي بينه وبين الروم، سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وولاه على حمص. فلما مات سيف الدولة استوحش من أبي المعالي بعده ففارق حمص، ونزل في صدد، قرية في طرف البرية قريباً من حمص، فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم، وبعثهم مع عرقوبة في طلبه فجاء إلى صدد، واستأمن له أصحاب أبي فراس، وكان في جملتهم فأمر به عرقوبة فقتل، واحتمل رأسه إلى أبي المعالي، وكان أبو فراس خاله.

أخبار أبي ثعلب مع إخوته بالموصل:

كان لناصر الدولة بن حمدان زوجة تسمى فاطمة بنت أحمد الكردية، وهي أم أبي ثعلب، وهي التي دبرت مع ابنها أبي ثعلب على أبيه فلما حبس ناصر الدولة، كاتب ابنه حمدان يستدعيه ليخلصه مما هو فيه. وظفر ابو ثعلب بالكتاب فنقل أباه إلى قلعة كواشي، واتصل ذلك بحمدان، وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة إلى الرقة فملكها. ولما اتصل به شأن الكتاب سار إلى نصيبين، وجمع الجموع، وبعث إلى إخوته في الإفراج عن أبيهم فسار أبو ثعلب لحربه، وانهزم حمدان قبل اللقاء للرقة فحاصره أبو ثعلب أشهراً. ثم اصطلحا، وعاد كل منهما إلى مكانه. ثم مات ناصر الدولة في محبسه سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ودفن بالموصل. وبعث ابو ثعلب أخاه أبا البركات إلى حمدان بالرحبة فافترق عنه أصحابه، وقصد العراق مستجيراً ببختيار، فدخل بغداد في شهر رمضان من سنته ؛ وحمل إليه الهدايا . وبعث بختيار إلى أبي ثعلب النقيب أبا أحمد، والد الشريف الرضي في الصلح مع أخيه حمدان فصالحه، وعاد إلى الرحبة منتصف سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. وفارقه أبو البركات، ثم استقدمه أبو ثعلب فامتنع من القدوم عليه، فبعث إليه أخاه أبا البركات ثانياً، في العساكر، فخرج حمدان إلى البرية، وترك الرحبة فملكها أبو البركات، واستعمل عليها. وسار إلى الرقة، ثم إلى عرابان. وخالفه حمدان إلى الرحبة فكبسها، وقتل أصحاب أبي ثعلب بها فرجع إليه أبو البركات، وتقاتلا فضرب أبا البركات على رأسه فشجه، ثم ألقاه إلى الأرض أسره ومات من يومه. وحمل إلى الموصل فدفن بها عند أبيه. وجهز أبو ثعلب إلى حمدان، وقدم أخاه أبا فراس محمداً إلى نصيبين، ثم عزله عنها لأنه داخل حمدان ومالأه عليه فاستدعاه وقبض عليه، وحبسه بقلعة ملاشي من بلاد الموصل فاستوحش أخواه إبراهيم والحسن، ولحقا بأخيهما حمدان في شهر رمضان، وساروا جميعاً إلى سنجار. وسار أبو ثعلب من الموصل في أثرهم في شهر رمضان سنة ستين وثلاثمائة فخاموا عن لقائه، واستأمن

إليه أخوا إبراهيم والحسن خديعة ومكراً فأمنهما، ولم يعلم، وتبعهما كثير من أصحاب حمدان. وعاد حمدان من سنجار إلى عرابان، واطلع أبو ثعلب على خديعة أخويه فهربا منه. ثم استأمن الحسن ورجع إليه، وكان حمدان أقام نائباً بالرحبة غلامه نجا، فاستولى على أمواله، وهرب بها إلى حران وبها سلامة البرقعيدي من قبل أبي ثعلب، فرجع حمدان إلى الرحبة. وسار أبو ثعلب إلى قرقيسيا، وبعث العساكر إلى الرحبة فعبروا الفرات، واستولوا عليها، ونجا حمدان بنفسه، ولحق بسنجار مستجيراً به، ومعه أخوه إبراهيم فأكرمهما ووصلهما، وأقاما عنده. ورجع أبو ثعلب إلى الموصل وذلك كله آخر سنة ستين وثلاثمائة.

خروج الروم إلى الجزيرة والشام:

وفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة دخل ملك الروم الشام فسار في نواحيها، ولم يجد من يدافعه فعاث في نواحي طرابلس، وكان أهلها قد أخرجوا عاملهم إلى عرقة لسوء سيرته فنهب الروم أمواله، ثم حاصر الروم عرقة فملكوها ونهبوها. ثم قصدوا حمص وقد انتقل أهلها عنها فأحرقوها، ورجعوا إلى بلاد السواحل، وملكوا منها ثمانية عشر بلداً، واستباحوا عامة القرى، وساروا في جميع نواحي الشام ولا مدافع لهم، إلا أن بعض العرب كانوا يغيرون على أطرافهم. ثم رجع ملك الروم مجمعا حصار حلب وأنْطاكِية، وبلغه استعدادهم فرحل عنهم إلى بلاده، ومعه من السبي مائة ألف رأس. وكان بحلب قرعويه مولى سيف الدولة فمانعهم، وبعث ملك الروم سراياه إلى الجزيرة فبلغوا كفرثوثا وعاثوا في نواحيها، ولم يكن من أبي ثعلب مدافعة لهم.

استبدال قرعويه بحلب:

كان قرعويه غلام سيف الدولة، وهو الذي أخذ البيعة لابنه أبي المعالي بعد موته،

فلما كان سنة ثمان وخمسين وثلثماية انتقض على أبي المعالي، وأخرجه من حلب، واستبد بملكها. وسار أبو المعالي إلى حران فمنعه أهلها فسار إلى والدته بميافارقين، وهي بنت سعيد بن حمدان أخت أبي فراس. ولحق أصحابه بأبى ثعلب، وبلغ أمه بميافارقين وهي بنت سعيد بن حمدان أخت أبي فراس أنه يريد القبض عليها فمنعته أياما من الدخول، حتى استوثقت لنفسها، وأذنت له ولمن رضيته، وأطلقت لهم الأرزاق، ومنعت الباقين وسار أبو المعالي لقتال قرعويه بحلب فامتنع عليه، ثم لحق أبو المعالي بحماة، وأقام بها وبقيت الخطبة بحران له ولا والي عليهم من قبله، فقدموا عليهم من يحكم بينهم.

مسير أبي ثعلب من الموصل إلى ميافارقين:

ولما سمع أبو ثعلب بخروج أبي المعالي من ميافارقين إلى حلب لقتال قرعويه، سار إليها وامتنعت زوجة سيف الدولة منه، واستقر الأمر بينهما على أن تحمل إليه مائتي ألف درهم. ثم نمي إليها أنه يحاول على ملك البلد فكبسته ليلاً، ونالت من معسكره فبعث إليها يلاطفها فأعادت إليه بعض ما نهب، وحملت إليه مائة ألف درهم، وأطلقت الأسارى فرجع عنها.

استيلاء الروم على أنْطاكِية ثم حلب وثم ملاذكرد:

وفي سنة تسع وخمسين خرج الروم إلى أنْطاكِية فمروا بحصن الوفاء بقربها، وهم نصارى فحاصروهم، واتفقوا على أن يرحلوا إلى أنْطاكِية، فاذا نزل الروم عليها ثاروا من داخل. وانتقل أهل الوفاء، ونزلوا بجبل أنْطاكِية. وجاء بعد شهرين أخو تعفور ملك الروم في أربعين ألفاً من جموع الروم، ونازل أنْطاكِية فأخلى له أهل الوفاء السور من ناحيتهم، وملكوا البلد وسبوا منها عشرين ألفاً. ثم أنفذ ملك الروم جيشاً

كثيفاً إلى حلب، وأبو المعالي بن سيف الدولة عليها يحاصرها ففارقها أبو المعالي، وقصد البرية وملك الروم حلب. وتحصن قرعويه وأهل البلد بالقلعة فحاصروها مدّة. ثم ضربوا الهدنة بينهم على، مال يحمله قرعويه، وعلى أن الروم إذا أرادوا الميرة من قرى الفرات لا يمنعونهم منها. ودخل في هذه الهدنة حمص وكفرطاب والمعرة وأفامية وشيزر، وما بين ذلك من الحصون والقرى، وأعطاهم رهنهم على ذلك الروم، وأفرج الروم عن حلب. وكان ملك الروم قد بعث جيشاً إلى ملاذكرد من أعمال أرمينية فحاصروها، وفتحوها عنوة، ورعب أهل الثغور منهم في كل ناحية.

مقتل يعفور ملك الروم:

كان نقفور ملكاً بالقسطنطينية، وهي البلاد التي بيد بني عثمان لهذا العهد، وكان من يليها يسمى الدمشق. وكان يعفور هذا شديداً على المسلمين وهو الذي أخذ حلب أيام سيف الدولة وملك طرسوس والمسينة وعين زربه. وكان قتل الملك قبله وتزوج امرأته، وكان له منها إبنان فكفلهما يعفور وكان كثيراً ما يطرق بلاد المسلمين ويدوخها في ثغور الشام والجزيرة، حتى هابه المسلمون وخافوه على بلادهم. ثم أراد أن يجب ربيبيه ليقطع نسلهما ففرقت أمهما من ذلك، وأرسلت إلى الدمشق بن الشميشق وداخلته في قتله. وكان شديد الخوف من يعفور. وهذا كان أبوه مسلماً من أهل طرسوس يعرف بابن العفاش، تنصر ولحق بالقسطنطينية. ولم يزل يترقى في الأطوار إلى أن نال من الملك ما ناله. وهذه غلطة ينبغي للعقلاء أن يتنزهوا عنها، ولا ينال الملك من كان عريقاً في السوقة، وفقيداً للعصابة بالكلية، وبعيداً عن نسب أهل الدولة، فقد تقدم من ذلك في مقدمه الكتاب ما فيه كفاية.

استيلاء أبي ثعلب على حران:

وفي منتصف سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، سار أبو ثعلب إلى حران وحاصرها نحواً من شهر، ثم جنح أهلها إلى مصالحته واضطربوا في ذلك، ثم توافقوا عليه وخرجوا إلى أبي ثعلب واعطوه الطاعة ودخل في إخوانه وأصحابه فصلى الجمعة، ورجع إلى معسكره. واستعمل عليهم سلامة البرقعيدي، وكان من أكابر أصحاب بني حمدان. وبلغه الخبر بأن نميراً عاثوا في بلاد الموصل، وقتلوا العامل ببرقعيد فأسرع العود.

مصالحة قرعويه لأبي المعالي:

قد تقدم لنا استبداد قرعويه بحلب سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وخروج أبي المعالى بن سيف الدولة منها، وأنه لحق بأمه بميافارقين. ثم رجع لحصار قرعويه بحلب. ثم رجع إلى حمص ونزل بها. ثم وقع الإتفاق بينه وبين قرعويه، على ان يخطب له بحلب، ويخطبان جميعاً للمعز العلوي صاحب مصر.

مسير الروم إلى بلاد الجزيرة:

وفي سنة إحدى وستين سار الدمشق في جموع الروم إلى الجزيرة فأغار على الرها ونواحيها. ثم تنقل في نواحي الجزيرة، ثم بلغ نصيبين واستباحها ودوخها. ثم سار في ديار بكر ففعل فيها مثل ذلك. ولم يكن لأبي ثعلب في مدافعتهم أكثر من حمل المال إليهم، وسار جماعة من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستنفرين، وجلسوا إلى الناس في المساجد والمشاهد يصفون ما جرى على المسلمين، وخوفوهم عاقبة أمرهم فتدمهم أهل بغداد إلى دار الطائع الخليفة، وأرادوا الهجوم عليه فاغلقت دونهم الأبواب فأعلنوا بشتمه. ولحق آخرون من أهل بغداد ببختيار وهو بنواحي الكوفة يستغيثونه من الروم فوعدهم بالجهاد، وأرسل إلى الحاجب سبكتكين يأمره

بالتجهيز للغزو، وأن يستنفر العامة. وكتب إلى أبي ثعلب بن حمدان بإعداد الميرة والعلوفات والتجهيز، وانه عازم على الغزو. ووقعت بسبب ذلك فتنة في بغداد من قبل اشتغال العامة بذلك أدت إلى القتل والنهب بين عصائب الفتيان والعيارين.

أسر الدمشق وموته:

ولما فعل الدمشق في ديار مضر والجزيرة ما فعل، قوي طمعه في فتح آمد فسار

إليه أبو ثعلب، وقدم أخاه أبا القاسم هبة الله واجتمعا على حرب الدمشق، ولقياه في رمضان سنة إثنتين وستين. وكانت الجولة في مضيق لا تتحرك فيه الخيل، وكان الروم على غير أهبة فانهزموا. وأخذ الدمشق أسيراً، فلم يزل محبوساً عند أبي ثعلب إلى أن مرض سنة ثلاث وستين، وبالغ في علاجه وجمع له الأطباء فلم ينتفع بذلك ومات.

استيلاء بختيار بن معز الدولة على الموصل وما كان بينه وبين أبي ثعلب:

قد تقدم لنا ما كان بين أبي ثعلب وأخويه حمدان وإبراهيم من الحروب، وأنهما سارا +إلى بختيار بن معز الدولة صريخين فوعدهما بالنصرة، وشغل عن ذلك بما كان فيه فأبطأ عليهما أمره، وهرب إبراهيم، ورجع إلى أخيه أبي ثعلب فتحرّك عزم بختيار على قصد الموصل، وأغراه وزيره ابن بقية لتقصيره في خطابه فسار، ووصل إلى الموصل في ربيع سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، ولحق أبو ثعلب بسنجار وأخلى الموصل من الميرة، ومن الدواوين. وخالف بختيار إلى بغداد، ولم يحدث فيها حدثا من نهب ولا غيره، وإنما قاتل أهل بغداد فحدثت فيها الفتنة بسبب ذلك بين عامتها. واضطرب أمرهم، وخصوصاً الجانب الغربي. وسمع بختيار بذلك فبعث في أثره وزيره ابن بقية وسبكتكين، فدخل ابن بقية بغداد وأقام سبكتكين في الضاحية. وتأخر أبو ثعلب عن بغداد، وحاربه يسيراً. ثم داخله في الانتقاض واستيلاء سبكتكين على الأمر. ثم أقصر سبكتكين عن ذلك، وخرج إليه ابن بقية، وراسلوا أبا ثعلب في الصلح على

مال يضمنه ويرد على أخيه حمدان إقطاعه ما سوى ماردين، وكتبوا بذلك إلى بختيار. وارتحل أبو ثعلب إلى الموصل، وأشار ابن بقية على سبكتكين باللحاق ببختيار فتقاعد ثم سار. وارتحل بختيار عن الموصل بعد أن جهد منه أهل البلد بما نالهم من ظلمه وعسفه. وطلب منه أبو ثعلب الإذن في لقب سلطاني، وأن يحط عنه من الضمان فأجابه وسار. ثم بلغه في طريقه أن أبا ثعلب نقض وقتل بعضاً من أصحاب بختيار، عادوا إلى الموصل لنقل أهاليهم فاستشاط بختيار، واستدعى ابن بقية وسبكتكين في العساكر، وعادوا جميعاً إلى الموصل. وفارقها أبو ثعلب، وبعث أصحابه بالاعتذار، والحلف على إنكار ما بلغه فقبل، وبعث الشريف أبا أحمد الموسوي لاستحلافه. وتم الصلح، ورجع بختيار إلى بغداد فجهز ابنته إلى أبي ثعلب، وقد كان عقد له عليها من قبل.

عود أبي المعالي بن سيف الدولة إلى حلب:

قد تقدم لنا أن قرعويه مولى أبيه سيف الدولة كان تغلب عليه، وأخرجه من حلب سنة سبع وخمسين وثلاثمائة فسار إلى والدته بميافارقين. ثم إلى حماة فنزلها، وكانت الروم قد أمنت حمص، وكثر أهلها. وكان قرعويه قد استناب بحلب مولاه بكجور فقوي عليه وحبسه في قلعة حلب، وملكها سنين فكتب أصحاب قرعرية إلى أبي المعالي واستدعوه فسار، وحاصرها أربعة أشهر، وملكها وأصلح أحوالها، وازدادت عمارتها حتى انتقل إلى ولاية دمشق كما يذكر.

استيلاء عضد الدولة بن بويه علي الموصل وسائر ملوك بني حمدان:

ولما ملك عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بغداد، وهزم بختيار ابن عمه معز الدولة، سار بختيار في الفل إلى الشام، ومعه حمدان بن ناصر الدولة أخو أبي ثعلب فحسن له قصد الموصل على الشام، وقد كان عضد الدولة عاهده أن لا يتعرض

لأبي ثعلب لمودة بينهما فنكث وقصدها.ولما انتهى إلى تكريت أتته رسل أبي ثعلب بالصلح، وأن يسير إليه بنفسه وعساكره، ويعيده على ملك بغداد على أن يسلم إليه أخاه حمدان فسلمه إلى رسل أبي ثعلب فحبسه، وسار بختيار إلى الحديثة ولقي أبا ثعلب، وسار معه إلى العراق في عشرين الف مقاتل. وزحف نحوهما عضد الدولة، والتقوا بنواحي تكريت في شوال سنة ست وستين فهزمهما عضد الدولة، وقتل بختيار، ونجا أبو ثعلب إلى الموصل فاتبعه عضد الدولة، وملك الموصل في ذي القعدة، وحمل معه الميرة والعلوفات للإقامة. وبث السرايا في طلب أبي ثعلب ومعه المرزبان بن بختيار وأخواله أبو إسحق وظاهر إبنا معز الدولة، ووالدتهم.

وسار لذلك أبو الوفاء ظاهر بن إسمعيل من أصحابه. وسار حاجبه أبو ظاهر طغان إلى جزيرة ابن عمر، ولحق أبو ثعلب بنصيبين. ثم انتقل إلى ميافارقين فأقام بها. وبلغه مسير أبي الوفاء إليه ففارقها إلى تدليس. وجاء أبو الوفاء إلى ميافارقين فامتنعت عليه فتركها، وطلب أبا ثعلب فخرج من أرزن الروم إلى الحسينية من أعمال الجزيرة، وصعد إلى قلعة كواشي وغيرها من قلاعه. ونقل منها ذخيرته، وعاد فعاد أبو الوفاء إلى ميافارقين وحاصرها، واتصل بعضد الدولة مجيئه إلى القلاع فسار إليه، ولم يدركه، واستأمن إليه كثير من أصحابه. وعاد إلى الموصل وبعث قائده طغان إلى تفليس فهرب منها أبو ثعلب واتصل بملكهم المعروف بورد الرومي، وكان منازعاً لملكهم الأعظم في الملك فوصل ورد يده بيد أبي ثعلب، وصاهره ليستعين به واتبعه في مسيره عسكر عضد الدولة، وأدركوه فهزمهم وأثخن فيهم. ونجا فلّهم إلى حصن زياد، ويسمى خرت برت. وأرسل إلى ورد يستمده فاعتذر بما هو فيه، ووعده بالنصر. ثم انهزم ورد أمام ملك الروم فأيس أبو ثعلب من نصره، وعاد إلى بلاد الإسلام، ونزل بآمد حتى جاء خبر ميافارقين. وكان أبو الوفاء لما رجع من طلب أبي ثعلب حاصر ميافارقين، والوالي عليها هزارمرد فضبط البلد، ودافع أبا الوفاء ثلاثة أشهر. ثم مات وولى أبو ثعلب مكانه مؤنساً من موالي الحمدانية، ودس أبو الوفاء إلى بعض أعيان البلد فاستماله فبعث له في الناس رغبة. وشعر بذلك مؤنس

فلم يطق مخالفتهم فانقاد واستأمن، وملك أبو الوفاء البلد، وكان في أيام حصاره قد افتتح سائر حصونه فاستولى على سائر

ديار بكر وأمن أصحاب أبي ثعلب، واحسن إليهم ورجع إلى الموصل. وبلغ الخبر إلى أبي ثعلب منقلبه من دار الحرب فقصد الرحبة. وبعث إلى عضد الدولة يستعطفه فشرط عليه المسير إليه فامتنع. ثم استولى عضد الدولة على ديار مضر، وكان عليها من قبل أبي ثعلب سلامة البرقعيدي من كبار أصحاب بني حمدان. وكان أبو المعالي بن سيف الدولة بعث إليها جيشاً من حلب فحاربوها وامتنعت عليهم، وبعث أبو المعالي إلى عضد الدولة، وعرض بنفسه عليه فبعث عضد الدولة النقيب أبا أحمد الموسوي إلى سلامة البرقعيدي، وتسلمها بعد حروب. وأخذ لنفسه منها الرقة، ورد باقيها على سعد الدولة فصارت له. ثم استولى عضد الدولة على الرحبة، وتفرغ بعد ذلك لفتح قلاعه وحصونه. واستولى على جميع أعماله، واستخلف أبا الوفاء على الموصل، ورجع إلى بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وستين. ثم بعث عضد الدولة جيشاً إلى الأكراد الهكارية من أعمال الموصل فحاصروهم حتى استقاموا وسلموا قلاعهم، ونزلوا إلى الموصل فحال الثلج بينهم وبين بلادهم فقتلهم قائد الجيش، وصلبهم على جانبي طريق الموصل.

مقتل أبي ثعلب بن حمدان:

ولما أيس أبو ثعلب بن حمدان من إصلاح عضد الدولة، والرجوع إلى ملكه بالموصل وسار إلى الشام، وكان على دمشق قسّام داعية العزيز العلوي، غلب عليها بعد أفتكين، وقد تقدم ذلك، وكيف ولي أفتكين على دمشق. فخاف قسام من أبي ثعلب، ومنعه من دخول البلد فأقام بظاهرها، وكاتب العزيز، وجاء الخبر بأنه يستقدمه فرحل إلى طبرية بعد مناوشة حرب بينه وبين قسام. وجاء الفضل قائد العزيز لحصار قسام بدمشق، ومر بأبي ثعلب ووعده عن العزيز بكل جميل. ثم حدثت الفتنة بين دغفل وقسام وأخرجهم، وانتصروا بأبي ثعلب فنزل بجوارهم مخافة دغفل والقائد الذي يحاصر دمشق. ثم ثار أبو ثعلب في بني عقيل إلى الرملة في محرم سنة تسع وتسعين، فاستراب به الفضل ودغفل وجمعوا لحربه، ففر بنو عقيل عنه، وبقي في سبعمائة من غلمانه وغلمان أبيه، وولى منهزماً فلحقه الطلب فوقف يقاتل، فضرب وأسر وحمل إلى دغفل، وأراد الفضل حمله إلى العزيز فخاف دغفل أن يصطنعه كما فعل

بأفتكين فقتله،وبعث الفضل بالرأس إلى مصر. وحمل بنو عقيل أخته جميلة، وزوجته بنت سيف الدولة إلى أبي المعالي بحلب فبعث بجميلة إلى الموصل، وبعث بها أبو الوفاء إلى عضد الدولة ببغداد فاعتقلها.

وصول ورد المنازع لملك الروم إلى ديار بكر مستجيراً:

كان ملك الروم أرمانوس لما توفي خلف ولدين صغيرين ؛ وهما بسيل وقسطنطين، ونصب أحدهما للملك، وعاد حينئذ الدمشق يعفور من بلاد الإسلام بعد أن عاث في نواحيها وبالغ في النكاية، فاجتمع إليه الروم، ونصبوه للنيابة عن إبني أرمانوس فداخلت أمهما ابن الشميشق على الدمشقية، وقبض على لاوون أخي دمشق، وعلى ابنه ورديس بن لاوون واعتقلهما في بعض القلاع. وسار إلى بلاد الشام وأعظم فيها النكاية. ومرّ بطرابلس فحاصرها، وكان لوالده الملك أخ خصي وهو يومئذ وزير فوضع على ابن الشميشق من سقاه السم، وأحس به من نفسه فأغذ السير إلى القسطنطينية فمات في طريقه. وكان ورد بن منير من عظماء البطارقة في الأمر، وصاهر أبا ثعلب بن حمدان واستجاش بالمسلمين من الثغور، وقصد الروم ووالى عليهم الهزائم فخافه الملكان، وأطلقا ورديس بن لاوون، وبعثاه على الجيوش لقتال الورد فقاتله فانهزم ورد إلى ديار بكر سنة تسع وستين وثلاثمائة، ونزل بظاهر ميافارقين، وبعث أخاه إلى عضد الدولة مستنصراً به. وبعث ملكا الروم بالقسطنطينية إلى عضد الدولة فاستمالاه فرجح جانبهما، وأمر بالقبض على ورد وأصحابه فقبض عليه أبو علي التميمي عامل ديار بكر، وعلى ولده وأخيه وأصحابه وأودعهم السجن بميافارقين، ثم بعثهم إلى بغداد فحبسوا بها إلى أن أطلقهم بهاء الدولة بن عضد الدولة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، وشرط عليه إطلاق عدد من المسلمين، وإسلام سبعة من الحصون برساتيقها، وأن لا يتعرض لبلاد المسلمين ما عاش. وجهزه فسار وملك في طريقه ملطية وقوي بما فيه، وصالحه ورديس بن لاوون علي أن يكون قسطنطينية وجانب الشمال من الخليج له وحاصر قسطنطينية، وبها الملكان إبنا أرمانوس، وهما بسيل

وقسطنطين في ملكها، وأقرّا وردا على ما بيده قليلاً ثم مات وتقدم بسيل في الملك، ودام عليه ملكه، وحارب البلغار خمساً وثلاثين سنة، وظفر بهم وأجلاهم عن بلادهم وأسكنها الروم.

ولاية بكجور على دمشق:

قد قدمنا ولاية بكجور على حمص لأبي المعالي بن سيف الدولة، وأنه عمرها، وكان أهل دمشق ينتقلون إليها لما نالهم من جور قسام، وما وقع بها من الغلاء والوباء، وكان بكجور يحمل الأقوات من حمص تقرباً إلى العزيز صاحب مصر، وكاتبه في ولايته فوعده بذلك. ثم استوحش من أبي المعالي سنة ثلاث وسبعين، وأرسل إلى العزيز يستنجز وعده في ولاية دمشق فمنع الوزير بن كلس من ولايته ريبة به، وكان بدمشق من قبل العزيز القائد بلكين بعثه فمنع الوزير بعد قسام، وساء أثر ابن كلس في الدولة، واجتمع الكتاميون بمصر على التوثب بابن كلس، ودعته الضرورة لاستقدام بلكين من دمشق فأمر العزيز باستقدامه، وولى بكجور مكانه فداخلها في رجب سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وأساء السيرة فيها، وعاث في أصحاب الوزير بن كلس، وأقام على ذلك ستاً.وعجز أهل دمشق منه، وجهزت العساكر من مصر مع القائد منير الخادم، وكوتب نزال والي طرابلس بمعاضدته فسار في العساكر، وجمع بكجور عسكراً من العرب وغيرهم، وخرج للقائه فهزمه منير واستأمن إليه بكجور على أن يرحل عن دمشق فأمنه، ورحل إلى الرقة واستولى عليها، وتسلم منير دمشق، وأقام بكجور بالرقة واستولى على الرحبة وما يجاور الرقة وراسل بهاء الدولة بن عضد الدولة بالطاعة وباد الكردي المتغلب على ديار بكر والموصل بالمسير إليه، وأبا المعالي سعد الدولة صاحب حلب بالعود إلى طاعته على أن يقطعه حمص، فلم يجبه أحد إلى شيء فأقام بالرقة يراسل موالي سعد الدولة أبي المعالي، ويستميلهم في الغدر به فأجابوه، وأخبروه أن أبا المعالي مشغول بلذاته فاستمد حينئذ العزيز، فكتب إلى نزال بطرابلس وغيره من ولاة الشام أن يمدوه ويكونوا في تصرفه.ودس إليهم عيسى بن نسطورس النصراني وزير العزيز في المباعدة عنه لعداوته مع ابن كلس الوزير قبله،

وتجديدها مع ابن منصور هذا فكتب نزال إلى بكجور يواعده بذلك في يوم معلوم، وأخلفه وسار بكجور من الرقة، وبلغ خبر مسيره إلى أبي المعالي فسار من حلب، ومعه لؤلؤ الكبير مولى أبيه، وكتب إلى بكجور يستميله ويذكره الحقوق، وأن يقطعه من الرقة إلى حمص فلم يقبل. وكتب أبو المعالي إلى صاحب أنْطاكِية يستمده فأمده بجيش الروم، وكتب إلى العرب الذين مع بكجور يرغبهم في الأموال والإقطاع فوعدوه خذلان بكجور عند اللقاء.فلما التقى العسكرانِ، وشغل الناس بالحرب، عطف العرب على سواد بكجور فنهبوه، ولحقوا بأبي المعالي فاستمات بكجور وحمل على موقف أبي المعالي يريده، وقد أزاله لؤلؤ عن موقفه، ووقف مكانه خشية عليه. وحمل ذلك فلما انتهى بكجور لحملته برز إليه. لؤلؤ وضربه فأثبته. وأحاط به أصحابه فولى منهزماً. وجاء بعضهم إلى أبي المعالي فشارطه على تسليمه إليه فقبل شرطه، وأحضره فقتله وسار إلى الرقة وبها سلامة الرشقي مولى بكجور وأولاده وأبو الحسن علي بن الحسين المغربي وزيره فاستأمنوا إليه فأمنهم، ونزلوا عن الرقة فملكها، واستكثر ما مع أولاد بكجور فقال له القاضي ابن أبي الحصين: هو مالك، وبكجور لا يملك شيئاً، ولا حنث عليك. فاستصفى مالهم أجمع، وشفع فيهم العزيز فأساء عليه الردّ، وهرب الوزير المغربي إلى مشهد علي.

خبرباد الكردي ومقتله على الموصل:

كان من الأكراد الحميدية بنواحي الموصل، ومن رؤسائهم رجل يعرف، بباد وقيل باد لقب له، وإسمه أبو عبد الله الحسين بن ذوشتك، وقيل باد إسمه وكنيته أبو شجاع بن ذوشتك. وإنما أبو عبد الله الحسين أخوه. وكان له بأس وشدة، وكان يخيف السابلة، ويبذل ما تجمع له من النهب في عشائره فكثرت جموعه. ثم سار إلى مدينة أرمينية فملك مدينة أرجيش. ثم رجع إلى ديار بكر فلما ملك عضد الدولة الموصل، حضر عنده في جملة الوفود وخافه على نفسه فعدا وأبعد في مذهبه، وبلغ عضد الدولة أمره فلم يظفر به. ولما هلك عضد الدولة سار باد إلى ديار بكر فملك آمد وميافارقين. ثم ملك نصيبين فجهز صمصام الدولة العساكر إليه مع الحاجب أبي القاسم

سعيد بن محمد فلقيه على خابور الحسينية من بلاد كواشي فانهزم الحاجب وعساكره، وقتل

كثير من الديلم.ولحق الحاجب سعيد بالموصل، وباد في اتباعه. وثارت عامة الموصل بالحاجب لسوء سيرته فأخرجوه، ودخل باد الموصل سنة ثلاث وسبعين، وقوي أمره وسما إلى طلب بغداد. وأهم صمصام الدولة أمره ونظر مع وزيره ابن سعدان في توجيه العساكر إليه، وأنفذ كبير القواد زياد بن شهرا كونه. فتجهز لحربه، وبالغوا في مدده وإزاحة علله فلقيهم في صفر سنة أربع وسبعين. وانهزم باد وقتل كثير من أصحابه، وأسر آخرون، وطيف بهم في بغداد. واستولى الديلم على الموصل، وأرسل زياد القائد عسكراً إلى نصيبين فاختلفوا على مقدمهم. وكتب ابن سعدان وزير صمصام الدولة إلى أبي المعالي بن حمدان صاحب حلب يومئذ بولاية ديار بكر، وإدخالها في عمله، فسير إليه أبو المعالي عسكره إلى ديار بكر فلم يكن لهم طاقة بأصحاب باد، فحاصروا ميافارقين أياماً، ورجعوا إلى حلب.وبعث سعد الحاجب من يتولى غدر باد فدخل عليه رجل في خيمته، وضربه بالسيف على ساقه يظنها رأسه فنجا من الهلكة. ثم بعث باد إلى زياد القائد، وسعد الحاجب بالموصل بطلب الصلح فأثمروا بينهم على أن تكون ديار بكر لباد، والنصف من طور عبدين. فخلصت ديار بكر لباد من يومئذ، وانحدر زياد القائد إلى بغداد. وأقام سعد الحاجب بالموصل إلى أن توفي سنة سبع وسبعين فطمع باد في الموصل، وبعث إليها شرف الدولة بن بويه أبا نصر خواشاده في العساكر، فزحف إليه باد، وتأخر المدد عن أبي نصر فبعث عن العرب من بني عقيل وبني نمير لمدافعة باد، وأقطعهم البلاد. واستولى باد على طور عبدين آخر الجبال ولم يضجر، وأرسل أخاه في عسكر لقتال العرب فقتل، وانهزم عسكره، وأقام باد قبالة خواشاده حتى جاء الخبر بموت شرف الدولة بن بويه، فزحف خواشاده إلى الموصل، وقامت العرب بالصحراء وباد بالجبال.

عود بني حمدان إلى الموصل ومقتل باد:

كان أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسن إبنا ناصر الدولة بن حمدان قد لحقا بعد مهلك أخيهما أبي ثعلب بالعراق، وكانا ببغداد، واستقرا في خدمة شرف الدولة بن عضد الدولة، فلما تولى شرف الدولة وخواشاده في الموصل بعثهما إليها ثم أنكر ذلك

عليه أصحابه فكتب إلى خواشاده عامل الموصل فمنعهما فكتب إليهما بالرجوع عنه فلم يجيبا، وأغذا السير إلى الموصل حتى نزلا بظاهرها. وثار أهل الموصل بالديلم والأتراك الذين عندهم وخرجوا إلى بني حمدان. وزحف الديلم لقتالهم فانهزموا، وقتل منهم خلق، وامتنع باقيهم بدار الإمارة ومن معه على الأمان إلى بغداد،وملكوا الموصل.وتسايل إليهم العرب من كل ناحية. وأراد أهل الموصل استلحامهم فمنعهم بنو حمدان، وأخرجوا خواشاده وبلغ الخبر إلى باد وهو بديار بكر بملك الموصل ، وجمع فاجتمع إليه الأكراد البثنوية أصحاب قلعة فسك، وكان جمعهم كثيراً. واستمال أهل الموصل بكتبه فأجابه بعضهم، فسار ونزل على الموصل، وبعث أبو طاهر وأبو عبد الله إبنا حمدان إلى أبي عبد الله محمد بن المسيب أمير بني عقيل يستنصرانه. وشرط عليهما جزيرة ابن عمر ونصيبين فقبلا شرطه. وسار أبو عبد الله صريخاً، وأقام أخوه أبو طاهر بالموصل، وباد يحاصره. وزحف أبو الرواد في قومه مع أبي عبد الله بن حمدان، وعبروا دجلة عند بدر، وجاؤا إلى باد من خلفه. وخرج أبو طاهر والحمدانية من أمامه، والتحم القتال، ونكب بباد فرسه فوقع طريحاً، ولم يطق الركوب، وجهض العدو عنه أصحابه فتركوه فقتله بعض العرب، وحمل رأسه إلى بني حمدان ورجعوا ظافرين إلى الموصل، وذلك سنة ثمانين وثلاثمائة.

مهلك أبي طاهر بن حمدان واستيلاء بني عقيل علي الموصل:

لما هلك باد طمع أبو طاهر وأبو عبد الله إبنا حمدان في استرجاع ديار بكر، وكان أبو علي بن مروان الكردي، وهو ابن أخت باد قد خلص من المعركة، ولحق بحصن كيفا، وبه أهل باد وماله، وهو من أمنع المعاقل فتزوج إمرأة خاله واستولى على ماله وعلى الحصن. وسار في ديار بكر فملك ما كان لخاله فيها تليداً. وبينما هو يحاصر ميافارقين زحف إليه أبو طاهر وأبو عبد الله إبنا حمدان يحاربانه فهزمهما، وأشر عبد الله منهما. ثم أطلقه ولحق بأخيه أبي طاهر وهو يحاصر آمد فزحفا لقتال ابن مروان فهزمهما، وأسر أبا عبد الله ثانية إلى أن شفع فيه خليفة مصر فأطلقه، واستعمله الخليفة على حلب إلى

أن هلك. وأما أبو طاهر فلحق بنصيبين في فل من أصحابه، وبها أبو الدرداء محمد بن المسيب أمير بني عقيل. وسار إلى الموصل فملكها وأعمالها، وبعث إلى بهاء الدولة أن ينفذ إليه عاملاً من قبله فبعث إليها قائداً كان تصرفه عن أبي الدرداء، ولم يكن له من الأمر شيء إلى أن استبد أبو الدرداء، واستغنى عن العامل، وانقرض ملك بني حمدان من الموصل والبقاء لله.

ملك سعد الدولة بن حمدان بحلب وولاية ابنه أبي الفضائل واستبداد لؤلؤ عليه:

ولما هزم سعد الدولة مولاه بكجور، وقتله حين سار إليه من الرقة، رجع إلى حلب فأصابه فالج وهلك سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة. وكان مولاه لؤلؤ كبير دولته فنصب ابنه أبا الفضائل، وأخذ له العهد على الاجناد، وتراجعت إليهم العساكر. وبلغ الخبر أبا الحسن المغربي وهو بمشهد علي فسار إلى العزيز بمصر، وأغراه بملك حلب فبعث إليها قائده منجوتكين في العساكروحاصرها،ثم ملك البلد، واعتصم أبو الفضائل ولؤلؤ بالقلعة، وبعث أبو الفضائل ولؤلؤ إلى ملك الروم يستنجدانه، وكان مشغولاً بقتال البلغار فأرسل إلى نائبه بأنْطاكِية أن يسير إليهم، فسار في خمسين الفاً، ونزل جسر الحديد على وادي العاصي فنفر إليه منجوتكين في عساكر المسلمين، وهزم الروم إلى أنْطاكِية، واتبعهم فنهب بلادها وقراها وأحرقها. ونزل أبو الفضائل ولؤلؤ من القلعة إلى مدينة حلب فنقل ما فيها من الغلال، وأحرق الباقي. وعاد منجوتكين إلى حصارهم بحلب.وبعث لؤلؤ إلى أبي الحسن المغربي في الوساطة لهم في الصلح فصالحهم منجوتكين، ورحل إلى دمشق حجراً من الحرب وتعذر الأقوات. ولم يراجع العزيز في ذلك فغضب العزيز، وكتب إليه يوبخه ويأمره بالعود لحصار حلب فعاد وأقام عليها ثلاثة عشر شهراً. فبعث أبو الفضائل ولؤلؤ مراسلة لملك الروم وحرضوه على أنْطاكِية، وكان قد توسط بلاد البلغار فرجع عنها وأجفل في الحشد، ورجع إلى حلب. وبلغ الخبر إلى منجوتكين فأجفل عنها بعد أن أحرق خيامه، وهدم مبانيه، وجاء ملك الروم. وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤ فشكرا له ورجعا، ورحل

ملك الروم إلى الشام ففتح حمص وشيزر ونهبهما. وحاصر طرابلس فامتنعت عليه فأقام بها أربعين ليلة، ثم رحل عائداً إلى بلده.

انقراض بني حمدان بحلب واستيلاء بني كلاب عليها:

ثم إن أبا نصر لؤلؤاً مولى سيف الدولة عزل أبا الفضائل مولاه بحلب، وأخذ البلد منه ومحا دعوة العباسية، وخطب للحاكم العلوي بمصر، ولقبه مرتضى الدولة. ثم فسد حاله معه فطمع فيه بنو كلاب بن ربيعة، وأميرهم يومئذ صالح بن مرداس وتقبض لؤلؤ على جماعة منهم دخلوا إلى حلب، كان فيهم صالح فاعتقله مدة وضيق عليه. ثم فر من محبسه ونجا إلى أهله، وزحف إلى حلب ولؤلؤ فيها ؛ وكانت بينه وبينهم حروب هزمه صالح آخرها، وأسره سنة ستين وأربعمائة. وخلص أخوه نجا إلى حلب فحفظها، وبعث إلى صالح في فدية أخيه وشرط له ما شاء فأطلقه، ورجع إلى حلب واتهم مولاه فتحاً، وكان نائبه على القلعة بالمداخلة في هزيمته فأجمع نكبته. ونمي إليه الخبر فكاتب الحاكم العلوي وأظهر دعوته، وانتقض على لؤلؤ فأقطعه الحاكم صيدا وبيروت، ولحق لؤلؤ بالروم في أنْطاكِية فأقام عندهم. ولحق فتح بصيدا. واستعمل الحاكم على حلب من قبله، وانقرض أمر بني حمدان من الشام والجزيرة أجمع. وبقيت حلب في ملك العبيديين. ثم غلب عليها صالح بن مرداس الكلابي، وكانت بها دولة له ولقومه، وورثها عنه بنوه كما يذكر في أخبارهم.

دولة بني عقيل

الخبر عن دولة بني عقيل بالموصل وابتداء أمرهم بأبي الدرداء وتصاريف أحوالهم

كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجة، وكفهم من عامر بن صعصعة وبنو طيء من كهلان قد انتشروا ما بين الجزيرة والشام في عدوة الفرات. وكانوا كالرعايا لبني حمدان يؤدون إليهم الأتاوات وينفرون معهم في الحروب. ثم استفحل أمرهم عند فشل دولة بني حمدان، وساروا إلى ملك البلاد. ولما انهزم أبو طاهر بن

حمدان أمام أبي علي بن مروان بديار بكر كما قدمناه سنة ثمانين وثلاثمائة، ولحق بنصيبين، وقد استولى عليها أبو الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن مقلد بن جعفر بن عمر بن مهند، أمير بني عقيل ابن كعب بن ربيعة بن عامر، فقتل أبا طاهر وأصحابه، وسار إلى الموصل فملكها. وبعث إلى بهاء الدولة بن بويه المستبد. على الخليفة بالعراق، في أن يبعث عاملاً من قبله، والحكم راجع لأبي الدرداء. وأقام على ذلك سنتين. وبعث بهاء الدولة سنة إثنتين وثمانين عساكره إلى الموصل مع أبي جعفر الحجاج بن هرمز فغلب عليها أبا الدرداء، وملكها. وزحف لحربه أبو الدرداء في قومه، ومن اجتمع إليه من العرب فكانت بينهم حروب ووقائع، وكان الظفر فيها للديلم.

مهلك أبي الدرداء وولاية أخيه المقلد:

ثم مات أبو الدرداء سنة ست وثمانين وولي إمارة بني عقيل مكانه أخوه عليّ بعد أن تطاول إليها أخوهما المقلد بن المسيب، وامتنع بنو عقيل لأن علياً كان أسن منه فصرف المقلد وجهه إلى ملك الموصل، واستمال الديلم الذين فيها مع أبي جعفر بن هرمز فمالوا إليه، وكتب إلى بهاء الدولة أن يضمنه الموصل بألفي ألف درهم كل سنة. ثم أظهر لأخيه علي وقومه أن بهاء الدولة قد ولاه واستمدهم فساروا معه، ونزلوا على الموصل، وخرج إلى المقلد من كاد استماله من الديلم واستأمن إليهم أبو جعفر قائد الديلم فأمنوه، وركب السفن إلى بغداد، واتبعوه فلم يظفروا منه بشيء، وتملك المقلد ملك الموصل.

فتنة المقلد مع بهاء الدولة بن بويه:

كان المقلد يتولى حماية غربي الفرات، وكان له ببغداد نائب فيه تهور وجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة. وكاد بهاء الدولة مشغولاً بفتنة أخيه، فكتب نائب المقلد إليه يشكو من أصحاب بهاء الدولة، فجاء في العساكر، وأوقع بهم، ومد يده

إلى جباية الأموال. وخرج نائب بهاء الدولة ببغداد، وهو أبو علي بن إسمعيل عن ضمان القصر وغيره فغالط بهاء الدولة، وأنفذ أبا جعفر الحجاج بن هرمز للقبض على أبي علي بن إسمعيل ومصالحة المقلد بن المسيب، فصالحه على أن يحمل إلى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار ويخطب له ولأبي جعفر بعده، ويأخذ من البلاد رسم الحماية، وأن يخلع على المقلد الخلع السلطانية، وبلقب حسام الدولة، ويقطع الموصل والكوفة والقصر والجامعين وجلس له ولأبى جعفر القادر بالله فاستولى على البلاد، وقصده الأعيان والأماثل، وعظم قدره. وقبض أبو جعفر على أبي علي بن إسمعيل ثم هرب ولحق بمهذب الدولة.

القبض على عليّ بن المسيب

كان المقلد بن المسيب قد وقعت المشاجرة بين أصحابه وأصحاب أخيه في الموصل قبل مسيره إلى العراق فلما عاد إلى الموصل، أجمع الإنتقام من أصحاب أخيه. ثم نوى أنه لا يمكنه ذلك مع أخيه فأعمل الحيلة في قبض أخيه، وأحضر عسكره من الديلم والأكراد. وورى بقصر دقوقا واستحلفهم على الطاعة. ثم نقب دار أخيه، وكانت ملاصقة له. ودخل إليه فقبض عليه، وحبسه وبعث زوجته وولديه قرواش وبدران إلى كربت. واستدعى رؤساء العرب وخلع عليهم، وأقام فيهم العطاء فاجتمعت له زهاء ألفي فارس، وخرجت زوجة أخيه بولديها إلى أخيها الحسن بن المسيب، وكانت أحياؤه قريباً من تكريت فاستجاش العرب على المقلد، وسار إليه في عشرة آلاف فخرج المقلد عن الموصل، واستشار الناس في محاربة أخيه. فأشار رافع بن محمد بن معز بالحرب، وأشار أخوه غريب بن محمد بالموادعة، وصلة الرحم. وبينما هو في ذلك إذ جاءت أخته رميلة بنت المسيب شافعة في أخيها عليّ فأطلقه، ورد عليه ماله وتوادع الناس، وعاد المقلد إلى الموصل، وتجهز

لقتال علي بن مزيد الأسدي بواسط، لأنه كان مغضباً لأخيه الحسن، فلما قصد الحلة خالفه علي إلى الموصل فدخلها. وعاد إليه المقلد، وتقدمه أخوه الحسن مشفقاً عليه من كثرة جموع المقلد فأصلح ما بينهما، ودخل المقلد إلى الموصل وأخواه معه. ثم خاف علي فهرب: ثم وقع الصلح بينهما على أن يكون أحدهما بالبلد. ثم هرب علي فقصده المقلد ومعه بنو خفاجة فهرب إلى العراق، واتبعه المقلد فلم يدركه ورجع عنه. ثم سار المقلد إلى بلد علي بن مزيد فدخله ثانية، ولحق ابن مزيد بمهذب الدولة صاحب البطيحة فأصلح ما بينهما.

استيلاء المقلد علي دقوقا:

ولما فرغ المقلد من شأن أخويه وابن مزيد، وسار إلى دقوقا فملكها. وكانت لنصرانيين قد استعبدا أهلها وملكها من أيديهما جبريل بن محمد من شجعان بغداد أعانه عليها مهذب الدولة صاحب البطيحة وكان مجاهداً يحب الغزو فملكها، وقبض على النصرانيين وعدل في البلد. ثم ملكها المقلد من يده، وملكها بعده محمد بن نحبان، ثم بعده قرواش بن المقلد. ثم انتقلت إلى فخر الملك أبي غالب فعاد جبريل، واستجاش بموشك بن حكويه من أمراء الأكراد. وغلب عليها عمال فخر الدولة. ثم جاء بدران بن المقلد فغلب جبريل وموشك عليها وملكها.

مقتل المقلد وولاية ابنه قرو اش:

كان للمقلد موال من الأتراك فهربوا منه، واتبعهم فظفر بهم، وقتل وقطع وأفحش في المثلة فخاف إخوانهم منه، واغتنموا غفلته فقتلوه فيها بالأنبار سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. وكان قد عظم شأنه، وطمع في ملك بغداد. ولما قتل كان ولده الأكبر قرواش غائباً وكانت أمواله بالأنبار فخاف نائبه عبد الله بن إبراهيم بن شارويه بادرة عمّه الحسن، وراسل أبا منصور بن قراد وكان بالسندية، وقاسمه في مختلف المقلد على أن يدافع الحسن إن قصده، فأجابه إلى ذلك، وأرسل عبد الله إلى

قرواش يستحثه فوصل، ووفى لابن قراد بما عاهده عليه نائبه عبد الله، وأقام ابن قراد عنده. ثم إن الحسن بن المسيب جاء إلى مشايخ بني عقيل شاكياً مما فعله قرواش وابن قراد عنده، فسعوا بينهم في الصلح، واتفق الحسن وقرواش على الغدر بابن قراد، وأن يسير أحدهما إلى الأخر متحاربين فإذا تلاقيا قبضا على ابن قراد ففعلا ذلك. فلما تراءى الجمعان نمي الخبر إلى ابن قراد فهرب واتبعه قرواش والحسن ولم يدركاه، ورجع قرواش إلى بيوته فأخذها بما فيها من الأموال، فوجه الأموال إلى أن أخذها ابو جعفر الحجّاج بن هرمز.

فتنة قرواش مع بهاء الدولة بن بويه:

ولما كانت سنة إثنتين وتسعين وثلاثمائة بعث قرواش بن المقلّد جمعاً من بني عقيل إلى المدائن فحصروها فبعث أبو جعفر بن الحجاج بن هرمز نائب بهاء الدولة ببغداد عسكراً اليهم فدفعوهم عنها، فاجتمعت عقيل وبنو أسد، وأميرهم علي بن مزيد. وخرج أبو جعفر إليهم، واستجاش بخفاجة، واحضرهم من الشام فانهزم واستبيح عسكره، وقتل وأسر من الأتراك والديلم كثير. ثم جمع العساكر ثانياً، ولقيهم بنواحي الكوفة فهزمهم، وقتل وأسر، وسار إلى أحياء بني مزيد، ونهب منها ما لا يقدر قدره. ثم سار قرواش إلى الكوفة سنة سبع وتسعين، وكانت لأبي علي بن تمال الخفاجي، وكان غائباً عنها فدخل قرواش الكوفة وصادرهم. ثم قتل أبو علي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وكان الحاكم صاحب مصر قد ولاه الرحبة فسار إليها . وخرج إليه عيسى بن خلاط العقيلي فقتله وملكها. ثم ملكها بعده غيره إلى أن ولي امرها صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب.

قبض قرواش علي وزرائه:

كان معتمد الدولة قرواش بن المقلّد قد استوزره أبا القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين المغربي، وكان من خبره أنّ أباه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان فذهب عنه

إلى مصر وولي بها الأعمال. وولد ابنه أبا القاسم، ونشأ هنالك، ثم قتله الحاكم فلحق أبو القاسم بحسّان بن مفرج بن الجرّاح الطائي بالشام، وأغراه بالانتقاض والبيعة لأبي الفتوح الحسن بن جعفر صاحب مكة ففعل ذلك. ولم يتم أمر أبي الفتوح، ورجع إلى مكة. ولحق أبو القاسم المغربي بالعراق، واتصل بفخر الملك فارتاب به القادر لانتسابه إلى العلوية فأبعده فخر الملك، فقصد قرواش بالموصل فاستوزره. ثم قبض عليه سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وصادره على مال زعم أنه ببغداد والكوفة فأحضره، وترك سبيله فعاد إلى بغداد ووزر لشرف الدولة بن بويه بعد وزيره مؤيد الملك الرجيحي، وكان مداخلاً لعنبر الخادم الملقب بالأثير المستولي على الدولة يومئذ.ثم سخطه الأتراك وسخطوا الأبهر فأشار عليه بالخروج عن بغداد، فخرج الوزير وأبو القاسم معه إلى السندية وبها قرواش فأنزلهم، وساروا إلى أوانا. وبعث الأتراك إلى الأثير عنبر بالاستعتاب فاستعتب، ورجع وهرب أبو القاسم المغربي إلى قرواش سنة خمس عشرة واربعمائة لعشرة أشهر من وزارته. ثم وقعت فتنة بالكوفة كان منشؤها من صهره ابن أبي طالب فأرسل الخليفة إلى قرواش في إبعاده عنه فأبعده، وسار إلى ابن مروان إلى ديار بكر، وهنالك يذكر بقية خبره. ثم قبض معتمد الدولة قرواش على أبي القاسم سليمان بن فهر عامل الموصل له ولأبيه، وكان من خبره أنه كان يكتب في حداثته بين يدي أبي إسحق الصابي، ثم اتصل بالمقلد بن المسيّب، وأصعد معه إلى الموصل واقتنى بها الضياع. ثم استعمل قرواش على الجبايات فظلم أهلها وصادرهم فحبسه، وطالبه بالمال فعجز وقتل.

حرب قرواش مع العرب وعساكر بغداد:

وفي سنة إحدى عشرة واربعمائة اجتمع العرب على فتن قرواش، وسار إليه دبيس

ابن علي بن مزيد الأسديّ وغريب بن معن، وجاءهم العسكر من بغداد فقاتلوه عند سرّمن رأى، ومعه رافع بن الحسين فانهزم، ونهبت أثقاله وخزائنه، وحصل في أسرهم، وفتحوا تكريت عنوة من أعماله. ورجعت عساكر بغداد إليها. واستجار قرواش بغريب بن معن فأطلقه، ولحق بسلطان بن الحسن من عمّال أمير خفاجه، واتبعه عسكر من الترك وقاتلهم غربي الفرات، وانهزم هو وسلطان، وعاث العسكر في أعماله فبعث إلى بغداد بمراجعة الطاعة وقبل. ثم كانت الفتنة بينه وبين أبي أسد وخفاجة سنة سبع عشرة واربعمائة، لأن خفاجه تعرضوا لأعماله بالسواد فسار إليهم من الموصل، وأميرهم أبو الفتيان منيع بن حسّان فاستجاش بدبيس بن علي بن مزيد فجاءه في قومه بني أسد، وعسكر من بغداد، والتقوا بظاهر الكوفة، وهو يومئذ لقرواش فخام قرواش عن لقائهم، وأجفل ليلاً للأنبار. واتبعوه فرحل عنها إلى حلله، واستولى القوم على الأنبار وملكوها. ثم فارقوها وافترقوا فاستعادها قرواش.

ثم كانت الحرب بينه وبين عقيل في هذه السنة، وكان سببها ان عنبر الخادم حاكم دولة بني بويه انتقض عليه الجند، وخافهم على نفسه فلحق بقرواش فجاء قرواش وأخذ له أقطاعه وأملاكه بالقيروان، فجمع مجد الدولة بن قراد ورافع بن الحسين جمعاً كبيراً من بني عقيل، وانضم إليهم بدران أخو قرواش وساروا لحربه. وقد اجتمع هو وغريب بن معن والأثير عنبر، وأمدّهم ابن مروان فكانوا في ثلاثة عشر ألفا، والتقوا عند بلدهم فلما تصافوا والتحم القتال، خرج بدران بن المقلد إلى أخيه قرواش فصالحه وسط المصاف، وفعل ثوران بن قراد كذلك مع غريب بن معن فتوادعوا جميعاً واصطلحوا. وأعاد قرواش إلى أخيه بدران مدينة الموصل.

ثم وقعت الحرب بين قرواش وبين خفاجة ثانياً. وكان سببها أن منيع بن حسان أمير خفاجه وصاحب الكوفة سار إلى الجامعين بلد دبيس، ونهبها فخرج دبيس في طلبه إلى الكوفة فقصد الأنبار، ونهبها هو وقومه فسار قرواش إليهم ومعه غريب بن معن ، الأنبار. ثم مضى في اتباعهم إلى القصر فخالفوه إلى الأنبار ونهبوها وأحرقوها. واجتمع قرواش ودبيس في عشرة

آلاف، وخاموا عن لقاء خفاجه فلم يكن من قرواش الإ بناء السور على الأنبار. ثم سار منيع بن حسان الخفاجي إلى الملك كيجار، والتزم

الطاعة، وخطب له بالكوفة وأزال حكم بني عقيل عن سقي الفرات. ثم سار بدران بن المقلد في جموع من العرب إلى نصيبين، وحاصرها وهي لنصير الدولة بن مروان فجهز لهم الجند، وبعثهم إليها فقاتلوا بدران فانهزم أولاً ثم عطف عليهم فانهزموا وأثخن فيهم، وبلغه الخبر أن أخاه قرواش قد وصل إلى الموصل فأجفل خوفاً منه.

استيلاء الغز علي الموصل:

كان هؤلاء الغزّ من شعوب الترك بمفازة بخارى، وكثر فسادهم في جهاتها فأجاز إليهم محمود بن سبكتكين، وهرب صاحب بخارى، وحضر عنده أميرهم أرسلان بن سلجوق فقبض عليه، وحبسه بالهند، ونهب أحياءهم وقتل كثيراً منهم فهربوا إلى خراسان وأفسدوا ونهبوا فبعث إليهم العساكر فأثخنوا فيهم، وأجلوهم عن خراسان. ولحق كثير منهم بأصبهان، وقاتلوا صاحبها، وذلك سنة عشرين وأربعمائة. ثم افترقوا فسارت طائفة منهم إلى جبل بكجار عند خوارزم، ولحقت طائفة أخرى بأذربيجان، وأميرها يومئذ وهشوذان فأكرمهم، ووصلهم ليكفوا عن فسادهم فلم يفعلوا. وكان مقدموهم أربعة: توقا وكوكناش ومنصور ودانا فدخلوا مراغة سنة تسع وعشرين، ونهبوها وأثخنوا في الأكراد الهدبائه، وسارت طائفة منهم إلى الري فحاصروها، وأميرها علاء الدين بن كاكويه، واقتحموا عليه البلد وافحشوا في النهب والقتل، وفعلوا كذلك في الكرخ وقزوين.

ثم ساروا إلى أرمينية، وعاثوا في نواحيها وفي أكرادها. ثم عاثوا في الدينور سنة ثلاثين. ثم أوقع وهشوذان صاحب تبريز لجماعة منهم في بلده وكانوا ثلاثين، ومقدمهم فضعف الباقون، وأكثر فيهم القتل. واجتمع الغز الذين بأرمينية، وساروا نحو بلاد الأكّراد الهكارية من أعمال الموصل فأثخنوا فيهم، وعاثوا في البلاد. ثم كر عليهم الأكراد فنالوا منهم وافترقوا في الجبال وتمزقوا. وبلغهم مسير نيال أخي السلطان طغرلبك، وهم في الريّ، وكانوا شاردين منه فأجفلوا من الريّ، وقصدوا ديار بكر والموصل سنة ثلاث وثلاثين. ونزلوا جزيرة ابن عمر، ونهبوا باقردى وبازندى والحسنية. وغدر سليمان بن نصير الدولة بن مروان بأمير منهم، وهو منصور بن عزعنيل فقبض عليه وحبسه، وافترق أصحابه في كل جهة.

وبعث نصير الدولة بن مروان عسكراً في اتباعهم، وأمدهم قرواش صاحب الموصل عسكر آخر ؛ وانضم إليهم الأكراد البشنوية ، صحاب فتك فأدركوهم فاستمات الغز وقاتلوهم. ثم تحاجزوا، وتوجهت العرب إلى العراق للمشتى، وأخرجت الغز ديار بكر، ودخل قرواش الموصل ليدفعهم عنها لما بلغه أن طائفة منهم قصدوا بى ه. فلما نزلوا برقعيد عزم على الإغارة عليهم فتقدموا إليه فرجع إلى مصانعتهم بالمال على ما شرطوه.

وبينما هو يجمع لهم المال وصلوا إلى الموصل فخرج قرواش في عسكره، وقاتلهم عامة يومه. وعادوا للقتال من الغد فانهزمت العرب وأهل البلد، وركب قرواش سفينة في الفرات، وخلف جميع ماله. ودخل الغز البلد ونهبوا ما لا يحصى من المال والجوهر والحلى والأثاث. ونجا قرواش إلى السند، وبعث إلى الملك جلال الدولة يستنجده، وإلى دبيس علي بن مزيد وأمراء العرب والأكراد يستمدهم. وأفحش الغزّ في أهل الموصل قتلاً ونهباً وعيثاً في الحرم. وصانع بعض الدروب والمحال منها عن أنفسهم بمال ضمنوه فكفوا عنهم، وسلموا.

وفرضوا على أهل المدينة عشرين ألف دينار فقبضوها ؛ ثم فرضوا أربعة آلاف أخر وشرعوا في تحصيلها فثار بهم أهل الموصل، وقتلوا من وجدوا منهم في البلد. ولما سمع اخوانهم اجتمعوا ودخلوا البلد عنوة منتصف سنة خمس وثلاثين، ووضعوا السيف في الماس واستباحوها اثني عشر يوماً، وانسدت الطرق من كثرة القتلى حتى واروهم جماعات في الحفائر. وطلبوا الخطبة للخليفة ثم لطغرلبك، وطال مقامهم بالبلد فكتب الملك جلال الدولة بن بويه، ونصير الدولة بن مروان إلى السلطان طغرلبك يشكون امنهم، فكتب إلى جلال الدولة معتذرا بأنهم كانوا عبيدا وخدما لنا، فأفسدوا في جهات الري فخافوا على أنفسهم وشردوا. ويعده بأنه يبعث العساكر إليهم، وكتب إلى نصير الدولة بن مروان يقول له: بلغني أن عبيدنا قصدوا بلادك فصانعتهم بالمال، وأنت صاحب ثغور ينبغي أن تعطي ما تستعين به على الجهاد، ويعده أنه يرسل من يدفعهم عن بلاده.

ثم سار دبيس بن مزيد إلى قرواش مددا، واجتمعت إليه بنو عقيل، وساروا من السن إلى الموصل فتأخر الغز إلى تل أعفر، وأرسلوا إلى

أصحابهم بديار بكر ومقدمتهم ناصفلي ولوقا فوصلوا إليهم، وتزاحفوا مع قرواش في رمضان سنة خمس وثلاثين فقاتلوهم إلى الظهر، وكشفوا العرب عن حللهم. ثم استماتت العرب فانهزمت الغز وأخذهم السيف. ونهب العرب أحياءهم، وبعثوا برؤوس القتلى إلى

بغداد، واتبعهم قرواش إلى نصيبين ورجع عنهم. وقصدوا ديار بكر فنهبوها. ثم أرزن الروم كذلك، ثم أذربيجان ؛ ورجع قرواش إلى الموصل.

استيلاء بدران بن المقلد علي نصيبين:

قد تقدّم لنا محاصرة بدران نصيبين ورحيله عنها من أخيه قرواش. ثم اصطلحا بعد ذلك واتفقا وتزّوج نصير الدولة ابنة قرواش فلم يعدل بينها وبين نسائه، وشكت إلى أبيها فبعث عنها. ثم هرب بعض عمّال ابن مروان إلى قرواش، وأطمعه في الجزيرة فتعلل عليه قرواش بصداق إبنته، وهو عشرون ألف دينار. وطلب الجزيرة ونصيبين لأخيه بدران فامتنع ابن مروان من ذلك، فبعث قرواش جيشاً لحصار الجزيرة وآخر مع أخيه بدران لحصار نصيبين. ثم جاء بنفسه وحاصرها مع أخيه، وامتنعت عليه. وتسلّلت العرب والأكراد إلى نصير الدولة بن مروان بميّافارقين. وطلب منه نصيبين فسلمها إليه، وأعطى قرواش من صداق امة خمسة عشر ألف دينار. وكان ملك ابن مروان في دقوقا فزحف إليه أبو الشوك من أمراء الأكراد فحاصره بها، وأخذها من يده عنوة وعفا عن أصحابه. ثم توفي بدران سنة خمس وعشرين، وجاء ابنه عمر إلى قرواش فأقره على ولاية نصيبين، وكان بنو نمير قد طمعوا فيها وحاصروه فسار إليهم ودافعهم عنها.

الفتنة بين قرواش وغريب بن معن:

كانت تكريت لابي المسّيب رافع بن الحسين من بني عقيل فجمع غريب جمعاً من العرب والأكراد، وأمده جلال الدولة بعسكر، وسار إلى تكريت فحاصرها. وكان رافع بن الحسين عند قرواش بالموصل فسار لنصره بالعساكر، ولقيه غريب في نواحي تكريت فانهزم، واتبعه قرواش ورافع، ولم يتعرّضوا لمحلّته وماله. ثم تراسلوا واصطلحوا.

فتنة قرواش وجلال الدولة وصلحهما:

كان قرواش قد بعث عسكره سنة إحدى وثلاثين لحصار خميس بن ثعلب بتكريص، واستجار خميس بجلال الدولة فبعث إليه بالكف عنه فلم يفعل فسار بنفسه يحاصره، وكتب إلى الأتراك ببغداد يستفسدهم عن جلال الدولة. وسار جلال الدولة إلى الأنبار، فامتنعت عليه. وسار قرواش للقائه، وأعوزت عساكر جلال الدولة الأقوات. ثم اختلفت عقيل على قرواش، وبعث إلى جلال الدولة بمعاودة الطاعة فتحالفا وعاد كل إلى بلده.

ملوك القسطنطينية

اخبار ملوك القسطنطينية لهذه العصور

كان بسيل وقسطنطين قد تزوج أبوهما أمّ هما في يوم عيد، ركب إلى الكنيسة فرآها في النظارة فشغف بها. وكان أبوها من أكابر الروم فخطبها منه، وتزوّجها وولدت الولدين ومات أبوهما وهما صغيران. وتزوّجت بعده بمدة نقفور، وملك وتصرف، وأراد أن يجبّ ولديها. وأغرت الدمستق بقتله فقتله وتزوّجت به. وأقامت معه سنة، ثم خافها وأخرجها بولديها إلى دير بعيد فأقامت فيه سنة أخرى. ثم دلست إلى بعض الرهبان ليقتل الدمستق فأقام بكنيسة الملك يتحيل لذلك، حتى جاء الملك واستطعمه القربان في العيد من يده، فدسّ له معه سماً ومات. وجاءت هي قبل العيد بليال إلى القسطنطينية فملك ولدها بسيل واستبدّت عليه لصغره. فلما كبر سار لقتال البلغار في بلادهم، وبلغه وهو هنالك وفاتها فأمر خادماً له بتدبير الأمر في غيبته بالقسطنطينية. وأقام في قتال البلغار اربعين سنة.

ثم انهزم وعاد إلى القسطنطينية، وتجهز ثانية، وعاد إليهم فظفر بهم، وقتل ملكهم، وملك بلادهم. ونقل أهلها إلى بلاد الروم. قال ابن الأثير: وهؤلاء البلغار الذين ملك بلادهم بسيل غير الطائفة المسلمة

منهم، وهؤلاء أقرب من أولئك إلى بلاد الروم بصمهرين، وكلاهما بلغار انتهى. وكان بسيل عادلا حسن السيرة، وملك على الروم نيفاً وسبعين سنة. ولما مات الملك أخوه قسطنطين. ثم مات وخلّف بناتاً ثلاثاً فملكت الكبرى وتزوّجت بأرمانوس من بيت ملكهم، وهو الذي ملك الرّها من المسلمين. وكان له من قبل الملك رجل يخدمه من السوقة الصيارفة اسمه ميخاييل فاستخلصه، وحكمه في دولته فمالت زوجة أرمانوس إليه. وأعملا الحيلة في قتل الملك أرمانوس فقتلاه خنقاً، وتزوجته على كره من الروم. ثم عرض لميخاييل هذا مرض شوه خلقته فعهد بالملك إلى ابن أخيه واسمه ميخاييل، فملك بعده، وقبض على أخواله واخوتهم، وضرب الدنانير باسمه سنة ثلاثين وأربعمائة.

ثم أحضر زوجته بنت الملك، وحملها على الرهبانية والخروج له عن الملك، وضربها ونفاها إلى جزيرة في البحر. ثم اعتزم على قتل البطرك للراحة من تحكمه فأمره بالخروج إلى الدير لعمل وليمة يحضرها عنده، وأرسل جماعة من الروم وبلغار لقتله، فبذل لهم البطرك مالا على الإبقاء، ورجع إلى بيعته، وحمل الروم على عزل ميخاييل فأرسل إلى زوجته الملكة من الجزيرة التي نفاها إليها فلم تفعل، وأقبلت على رهبانيتها فخلعها البطرك من الملك. وملكت اختها الصغيرة بدرونة، وأقاموا من خدم أبيها من يدبر ملكها، وخلعوا ميخاييل، وقاتل أشياعه أشياع بدرونة فظفر بهم أشياع بدرونة ونهبوهم، وفزع الروم إلى التماس ملك يدبرهم، وقارعوا بين المرشحين فخرجت القرعة على قسطنطين فملكوه، وتزوجته الملكة الكبرى، ونزلت لها الصغيرة عن الملك سنة أربع وثلاثين. ثم خرج خارجي من الروم اسمه ميناس، وكثر جمعه، وبلغ عشرين ألفاً. وجهز قسطنطين إليه العساكر فقتلوه، وسيق رأسه إليه، وافترق أصحابه. ثم ورد على القسطنطينية سنة خمس وثلاثين مراكب للروم، ووقعت منها محاورات نكرها الروم فحاربوهم، وكانوا قد فارقوا مراكبهم إلى البرّ فأحرقوها وقتلوا الباقين.

الوحشة بين قرواش والأكراد:

كان للأكراد عدّة حصون تجاور الموصل ؛ فمنها للحميديّة قلعة العقر وما إليها،

وصاحبها أبو الحسن بن عكشان، وللهدبانية قلعة إربل وأعمالها، وصاحبها أبو الحسن بن موشك، ونازعه أخوه أبو علي بن أربل فأخذها منه بإعانة ابن عكشان، وأسر أخاه أبا الحسن. وكان قرواش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل مشغولين بالعراق فنكرا ذلك لمّا بلغهما، ورجعا إلى الموصل فطلب قرواش من الحميديّ والهدباني النجدة على نصير الدولة بن مروان، فجاء الحميدي بنفسه. وبعث الهدباني أخاه، وأصلح قرواش ونصير الدولة. ثم قبض على عكشان وصالحه على إطلاق أبي الحسن بن موشك، وامتنع أخوه أبو علي، وكان عكشان عوناً عليه فأجاب ورهن في ذلك ولده. ثم أرسل أبا علي في ذلك الأمر، وحضر بالموصل ليسلّم أربل إلى أخيه أبي الحسن، وسلم قرواش إليه قلاعه. وخرج ابن عكشان وأبو علي ليسلّما إربل إلى أبي الحسن بن موشك فغدرا به، وقبضا على أصحابه، وهرب هو إلى الموصل وتأكدت الوحشة بينهما وبين قرواش.

خلع قرواش بأخيه أبي كامل ثم عوده:

ثم وقعت الفتنة بين معتمد الدولة وقرواش وأخيه زعيم الدولة أبي كامل، وكان سببها أن قريشاً ابن أخيهما بدران فتن عمّه أبا كامل، وجمع عليه الجموع، وأعانه عمّه الاخر. واستمد قرواش بنصير الدولة بن مروان فبعث إليه بابنه سليمان. وأمدّه الحسن بن عكشان وغيرهما من الأكراد وساروا إلى معلابا فنهبوها وأحرقوها. ثم اقتتلوا في المحرم سنة إحدى وأربعين يوماً وثانياً، ووقفت الأكراد ناحية عن المصاف، ولم يغشوا المجال. وتسلل عن قرواش بعض جموعه من العرب إلى أخيه، وبلغه أنّ شيعة أخيه أبي كامل بالأنبار، وثبوا فيها وملكوها فضعف أمره، وأحس من نفسه الظهور عليه. ولم يبرح فركب أخوه أب وكامل، وقصد حلته فركب قرواش للقائه، وجاء به أبو كامل لحلته. ثم بعث به إلى الموصل ووكّل به، وملك أبو كامل الموصل، واشتطّ عليه

العرب فخاف العجز والفضيحة أن يراجعوا طاعة أخيه فسبقهم إليها، وأعاده إلى ملكه، وبايعه على الطاعة. ورجع قرواش إلى ملكه. وكان أبو كامل قد أحدث الفتنة بين البساسيري كافل الخلافة ببغداد، وملك الأمراء بها لما فعله بنو عقيل في عراق العجم من التعرض لاقطاعة فسار إليهم الساسيدي، وجمع أبو كامل بن عقيل، ولقيه فاقتتلوا قتالاً شديداً. ثم حاجزوا فلما رجع قرواش إلى مكة نزع جماعة من أهل الأنبار إلى البساسيري شاكرين شاكين سيرة قرواش، وطلبوا أن يبعث معهم عسكراً وعاملاً إلى بلدهم ففعل ذلك، وملكها من يد قرواش وأظهر فيهم العدل.

خلع قرواش ثانية واعتقاله:

كان قرواش لمَّا أطاعه أخوه أبو كامل بقي معه كالوزير يتصرّف، إلا أن قرواش أنف من ذلك، وأعمل الحيلة في التخلّص منه فخرج من الموصل سائراً إلى بغداد. وشقّ ذلك على أخيه أبي كامل فأرسل إليه أعيان قومه ليردّوه طوعاً أو كرهاً فلاطفوه أوّلاً، وشعر منهم بالدخيلة فأجاب إلى العود؟ وشرط سكنى دار الإمارة. فلما جاء إلى أبي كامل بمبرّته وإكرامه، ووكّل به من يمعنه التصرّف.

وفاة أبي كامل وولاية قريش بن بدران:

لما ملك قريش بن بدران وحبس عمه بقلعة الجراحّية ارتحل يطلب العراق سنة أربع وأربعين فانتقض عليه أخوه المقلّد، وسار إلى نور الدولة دبيس بن مزيد فنهب قريش حلله، وعاد إلى الموصل. واختلف العرب عليه، ونهب عمال الملك الرحيم ما كان لقريش بنواحي العراق. ثم استمال قريش العرب عليه، ونهب عمال الملك الرحيم ما كان لقريش بن المسيّب صاحب الحظيرة مخالفاً عليه. وبعث قريش بعض أصحابه فلقيهم، وأوقع بهم فسار إليه قريش، ولقيه فهزمه واتبعه إلى حلل بلاد ابن غريب ونهبها، ودخل العراق. وبعث إلى عمّال الملك الرحيم

بالطاعة، وضمان ما كان عليه في أعماله فأجابوه إلى ذلك لشغل الملك الرحيم بخوزستان فاستقر أمره وقوي.

وفاة قرواش: وفي سنة أربع وأربعين هذه توفي معتمد الدولة أبو منيع قرواش بن

المقلد بمحبسه في قلعة الجراحية، وحمل إلى الموصل، ودفن بها ببلد نينوى شرقيها، وكان من رجال العرب.

استيلاء قريش علي الأنبار:

وفي سنة ست وأربعين زحف قريش بن بدران من الموصل ففتح مدينة الأنبار، وملكها من يد عماك البساسيري. وسار البساسيري إلى الأنبار فاستعادها.

حرب قريش بن بدران والبساسيري ثم اتفاقهما وخطبة قريش لصاحب مصر:

كان قريش بن بدران قد بعث بطاعته إلى طغرلبك وهو بالري، وخطب له بجميع أعماله، وقبض على الملك الرحيم. وكان قريش معه فنهب معسكره واختفى، وسمع به السلطان فأمنه، ووصل إليه فأكرمه ورده إلى عمله. وكان البساسيري قد فارق الملك الرحيم عند مسيره من واسط إلى بغداد، ومسير طغرلبك من حلوان. وقصد نور الدولة دبيس بن مزيد للمصاهرة بينهما. وكان سبب مفارقه البساسيري للملك الرحيم كتاب القائم له بابعاده لاطلاعه على كتابه إلى خليفة مصر، فلما وصل قريش بن بدران إلى بغداد، وعظم استيلاء السلطان طغرلبك على الدولة، بعث جيشا، وزحف البساسيري للقائهم ومعه نور الدولة دبيس فالتقوا بسنجار، فانهزم قريش وقطلمش وأصحابهما، وقتل كثير منهم. وعاث أهل سنجار فيهم، وسار بهم إلى الموصل، وخطب بها للمستنصر خليفة مصر، وقد كانوا بعثوا إليه بطاعتهم من قبل فبعث إليهم بالخلع ولقريش جملتهم.

استيلاء طغرلبك علي الموصل وولاية أخيه نيال عليها ومعاودة قريش الطاعة:

كان السلطان طغرلبك لما طال مقامه ببغداد، ساء أثر عساكره في الرعايا، فبعث القائم وزيره رئيس الرؤساء أن يحضر عميد الملك المكنديّ وزير طغرلبك ويعظه في ذلك، ويهدده برحيل القائم عن بغداد فبلغه خلال ذلك شأن الموصل، فرحل إليها، وحاصر تكريت ففتحها، وقبل من صاحبها نصر بن عيسى من بمي عقيل ما لا بد له منه. ورحل عنه فمات نصر، وولي بعده أبو الغنائم بن البحلبان فأصلح حاله مع رئيس الرؤساء، ورحل السلطان من البواريح، وكان في انتظار أخيه ياقوتي بن تنكير. ثم توجه السلطان إلى نصيبين، وبعث هزارسب إلى البريّة لقتال العرب، وفيهم فريش ودبيس وأصحاب حران والرقة من نمير فأوقع بهم، ونال منهم، وأسر جماعة فقتلهم.

وعاد إلى السلطان طغرلبك، فبعث إليه قريش ودبيس بطاعتهما، وأن يتوسط لهما عند السلطان فعفا السلطان عنهما، وقال البساسيري: ردهما إلى الخليفة فيرى ما عندهما. فرحل البساسيري عند ذلك إلى الرحبة، وتبعه أتراك بغداد، ومقبل بن المقلد، وجماعة من بني عقيل. وبعث السلطان إلى قريش ودبيس هزارسب بن تنكير ليقضي ما عندهما ويخضرهما، وكان ذلك بطلبهما. ثم خافا على أنفسهما فبعث قريش أبا اليد هبة الله بن جعفر، ودبيس ابنه بهاء الدولة منصوراً فقبلهما السلطان، وكتب لهما بأعمالهما. وكان لقريش من الاعمال: الموصل ونصيبين وتكريت وأوانا ونهر بيطر وهيت والأنبار وبادرونا ونهر الملك. ثم قصد السلطان ديار بكر، ووصل إليه أخوه إبراهيم نيال، وأرسل هزارسب إلى قريش ودبيس يحذرهما منه. وسار لسنجار لأجل واقعته مع قريش ودبيس فبعث العساكر إليها واستباحهم وقتل أميرها علي بن مرحا وخلق كثير من أهلها رجالا ونساء، وشفع إبراهيم نيال في الباقين فكف

عنهم، وأقطع سنجار والموصل وتلك الاعمال كلها لأخيه إبراهيم نيال، وعاد إلى بغداد فدخلها في ذي القعدة سنة تسع وأربعين.

مقارنة نيال الموصل وما كان لقريش فيها

وفي بغداد مع البساسيري وحبسهما القائم:

شفي سنة خمسين وأربعمائة خرج إبراهيم نيال من الموصل إلى بلاد الروم، فخشي طغرلبك أن يكون منتقضاً، وبادر بكتابه وكتاب الخليفة إليه، فرجع وخرج الوزير الكندري للقائه. وخالفه البساسيري وقريش إلى الموصل فملكها، وحاصر القلعة حتى استأمن أهلها على يد ابن موسك وصاحب أربد فأمّناهم، وهدما القلعة. وسار السلطان طغرلبك من وقته إلى الموصل ففارقها، واتبعها إلى نصيبين ففارقه أخوه نيال في رمضان سنة خمسين. وسار السلطان طغرلبك في أثره، وحاصره بهمذان، وجاء البساسيري إلى بغداد. وكان هزارست بواسط، ودبيس ببغداد قد استدعاه الخليفة للدفاع فسئم المقام، ورجع إلى بلده. وجاء البساسيري وقريش ووزير بني بويه أبو الحسن بن عبد الرحيم ونزلوا بجوانب بغداد، ونزل عميد العراق بالعسكر قبالة البساسيري، ورئيس الرؤساء وزير الخليفة قبالة الآخرين.

وخطب البساسيري للمستنصر صاحب مصر بجوامع بغداد، وأذّن بحيّ على خير العمل. ثم استعجل رئيس الرؤساء الحرب فاستنجده القوم، ثم كرّوا عليه فهزموه واقتحموا حريم الخلافة، وملكوا القصور بما فيها، وركب الخليفة فوجد عميد العراق قد استأمن إلى قريش بن بدران فاستأمن هو كذلك، وأمّنهما قريش وأعادهما، وعذله البساسيري في الانفراد بذلك دونه، وقد تعاهدا على خلاف ذلك فاستعتب له بالوزير رئيس الرؤساء، ودفعه إليه. وأقام الخليفة والعميد عنده فقتل البساسيري الوزير ابن عبد الرحيم، وبعث قريش بالخليفة القائم مع ابن عمّه مهارش بن نجلى إلى حديثة عانة فأنزله بها مع أهله وحرمه وحاشيته؟ حتى إذا فرغ السلطان

طغرلبك من أمر أخيه نيال، وقتله، ورجع إلى بغداد بعث البساسيري وقريش في إعادة القائم إلى داره فامتنع، وأجفل عن بغداد في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين.

وشمل النهب مدينة بغداد وضواحيها من بني شيب ن وغيرهم وبعث السلطان طغرلبك الإمام أبا بكر محمد بن فورك إلى قريش ابن بدران يشكره على فعله بالخليفة وبابنة أخته زوجة الخليفة ارسلان خاتون، وأنه بعث ابن فورك لإحضارهما وكتب قريش إلى مهارش ابن عمه بأن يلحق به هو والخليفة في البرية فأبى، وسار الخليفة إلى العراق، وجعل طريقه على الريّ ومرّ ببدر، ابن مهلهل فخدم القائم، وخرج السلطان للقاء الخليفة، وقدم إليه الأموال والآلات، وعرضه أرباب الوظائف، ولقيه بالنهروان، وجاء معه إلى قصره كما تقدّم في أخباره. وبعث السلطان خبارتكين الطّغرائيّ في العساكر لاتباع البساسيري والعرب، وجاء إلى الكوفة، واستصحب سرايا ابن منيع ببني. خفاجة، وسار السلطان في أثرهم، وصبحت السرية البساسيري في حلّة دبيس بن يزيد فنهبوها، وفرّ دبيس، وقاتل البساسيري وأصحابه فقتل في المعركة.

وفاة قريش في بدل ان وولاية ابنه مسلم:

ثم توفي قريش بن بدران سنة ثلاث وخمسين ودفن بنصيبين، وجاء فخر الدولة أبو نصر بن محمد بن جهير من دارا وجمع بني عقيل على ابنه أبي المكارم مسلم بن قريش فولّوه عليهم، واستقام أمره، وأقطعه السلطان سنة ثمان وخمسين الأنبار وهيت وحريم والسن والبواريح، ووصل إلى بغداد فركب الوزير بن جهير في المركب للقائه. ثم سار سنة ستين وأربعمائة إلى الرحبة فقاتل بها بني كلاب وهم في طاعة المستنصر العلويّ فهزمهم وأخذ أسلابهم، وبعث بأشلائهم، وعليها سمات العلوية فطيف بها منكسة ببغداد.

استيلاء مسلم بن قريش علي حلب:

وفي سنة إثنتين وسبعين سار شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل إلى

مدينة حلب فحاصرها، ثم افرج عنها فحاصرها تتش بن ألبارسلان، وقد كان ملك الشام سنة إحدى وسبعين قبلها فأقام عليها أياماً. ثم أفرج عنها وملك بزاغة والبيرة، وبعث أهل حلب إلى مسلم بن قريش بأن يمكّنوه من بلدهم، ورئيسها يومئذ ابن الحسين العبّاسيّ فلما قرب منهم امتنعوا من ذلك فترصد لهم بعض التركمان، وهو صاحب حصن بنواحيها. وأقام كذلك أياماً حتى صادف ابن الحسين يتصيد في ضيعته فأسره، وبعث به إلى مسلم بن قريش فأطلقه على أن يسلموا له البلد فلما عاد إلى البلد تم له ذلك، وسلم له البلد فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة، واستنزل منها سابغاً ووثاباً إبني محمد بن مرداس، وبعث ابنه إبراهيم، وهو ابن عمّة السلطان، إلى السلطان يخبره بملك حلب وسال أن يقدر عليه ضمانه فأجابه السلطان إلى ذلك، وأقطع ابنه محمداً مدينة بالس. ثم سار مسلم إلى حرّان وأخذها من بني وثاب النميريّين وأطاعه صاحب الرها ونقش السكة باسمه.

حصار مسلم بن قريش دمشق وعصيان أهل حران عليه:

وفي سنة ست وسبعين سار شرف الدولة إلى دمشق فحاصرها وصاحبها تتش فخرج في عسكره، وهزم مسلم بن قريش فارتحل عنها راجعاً إلى بلاده. وقد كان استمد أهل مصر فلم يمدّوه. وبلغه الخبر بأنّ أهل حران نقضوا الطاعة وأن ابن عطيّة وقاضيها ابن حلية عازمان على تسليم البلد للترك فبادر إلى حرّان، وصالح في طريقه ابن ملاعب صاحب حمص وأعطاه سليمة ورفسة، وحاصر حران وخرب أسوارها واقتحمها عنوة وقتل القاضي وابنه.

حرب ابن جهير مع مسلم بن قريش واستيلاؤه علي الموصل ثم عودها إليه:

كان فخر الدولة أبو نصر محمد بن أحمد بن جهير من أهل الموصل، واتصل بخدمة بني المقلد. ثم استوحش من قريش بن بدران، واستجار ببعض رؤساء بني عقيل فأجاروه منه. ومضى إلى حلب فاستوزره معز الدولة أبو ثمال بن صالح. ثم فارقه إلى نصير الدولة بن مروان بديار بكر فاستوزره. ولما عزل القائم وزيره أبا الفتح محمد بن منصور بن دارس استدعاه للوزارة فتحيّل في المسير إلى بغداد، واتبعه ابن مروان فلم يدركه. ولما وصل إلى بغداد استوزره القائم سنة أربع وخمسين، وطغرلبك يومئذ هو السلطان المستبد على الخلفاء. واستمرّت وزارته، وتخلّلها العزل في بعض المرات إلى أ ن مات القائم، وولي المقتدي، وصارت السلطنة إلى ملك شاه فعزله المقتدي سنة إحدى وسبعين، بشكوى نظام الملك إلى الخليفة به وسؤاله عزله فعزله. وسار ابنه عميد الدولة إلى نظام الملك بأصفهان واستصلحه، وشفع فيه إلى المقتدي فأعاد ابنه عميد الدولة. ثم عزله سنة ست وسبعين فبعث السلطان ملك شاه ونظام الملك إلى المقتدي بتخلية سبيل بني جهير إليه فوفدوا عليه بأصفهان، ولقوا منه مبّرةً وتكرمة.

وعقد السلطان ملك شاه لفخر الدولة على ديار بكر، وبعث معه العساكر، وأمره أن يأخذ البلاد من ابن مروان، وأن يطب لنفسه بعد السلطان، وينقش إسمه على السكة كذلك فسار لذلك، وتوسط ديار بكر. ثم أردفه السلطان سنة سبع وسبعين بالعساكر مه الأمير أرتق جد الملوك بماردين لهذا العهد، وكان ابن مروان عندما أحس بمسير العساكر إليه، بعث إلى شرف الدولة مسلم بن قريش يستنجده على أن يعطيه آمد من أعماله فجا. إلى امد، وفخر الدولة بنواحيها، وقد ارتاب من اجتماع العرب على نصرة بن مروان ففتر عزمه عق لقائهم. وسارت عساكر الترك الذين معه فصبحوا العرب في أحيائهم فانهزموا وغنموا أموالهم ومواشيهم، ونجا شرف الدولة إلى آمد، وحاصره فخر الدولة فيمن ما من العساكر .

وبعث مسلم بن قريش إلى الأمير أرتق يغضي عنه في الخروج من آمد على مال بذله له فاغضى له وخرج إلى الرقة وسار أحمد بن جهير إلى ميّافارقين

بلد ابن مروان لحصارها ففارقه بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة إلى العراق، وسار ابن جهير إلى خلاط وكان السلطان ملك شاه لما بلغه انحصار مسلم بن قريش بآمد بد عميد الدولة اقسنقر جدّ الملك العادل محمود في عساكر الترك، ولقيهم الأمير أرتق طريقهم سائراً إلى العراق فعاد معهم وجاؤوا إلف الموصل فملكوها. وسار السلطان عساكره إلى بلاد مسلم بن قريش وانتهى إلى البواريح وقد خلمى مسلم بن قريش الحصار بآمد، ووصل إلى الرّحبة وقد ملكت عليه الموصل، وذهبت أمواله فراسل مؤيد الملك بن نظام الملك فتوسل به فتقبل وسيلته وأذن له في الوصول إلى السلطان بعد أن أعطاه من العهد ما رضي به. وسار مسلم بن قريش من الرّحبة فأحضره مؤيد الملك عند السلطان، وقدّم هديّة فاخرة من الخيل وغيرها، ومن جملتها فرسه الذي نجا عليه، وكان لا يجارى فولع من السلطان موقعا وصالحه وأقره على بلاده فرجع إلى الموصل، وعاد السلطان إلى ما كان بسبيله.

مقتل مسلم بن قريش وولاية ابنه إبراهيم:

قد قدّمنا ذكر قطلمش قريب السلطان طغرلبك، وكان سار إلى بلاد الروم فملكها واستولى على قونية واقصر اي، ومات فملك مكانه ابنه سليمان، وسار إلى أنْطاكِية سنة سبع وسبعين وأربعمائة وأخذها من يد الروم كما نذكر في أخباره. وكان لشرف الدولة مسلم بن قريش بانطاكيه جزية يؤدّيها إليه صاحبا القردروس من زعماء الروم، فلما ملكها سليمان بن قطلمش بعث إليه يطالبه بتلك الجزية، ويخوفه معصية السلطان فأجابه بأني على طاعة السلطان، وأمري فيها غير خفي، وأمّا الجزية فكانت مضروبة على قوم كفّار يعطونها عن رؤوسهم، وقد أدال الله منهم بالمسلمين ولا جزية عليهم فسار شرف الدولة، ولهب جهات أنْطاكِية. وسار سليمان فنهب جهات حلب، وشكت عليه الرعايا فردّ عليهم. ثم جمع شرف الدولة جموع العرب وجموع التركق، وسار إلى أنْطاكِية فسار سليمان للقائه، والتقيا في أعمال أنْطاكِية في صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائه . ولما التقوا مال الأمير جق بمن

معه من التركمان إلى سليمان فاختلّ مصاف مسلم بن قريش، وانهزمت العرب عنه، وثبت فقتل في اربعمائة من أصحابه، وكان ملكه تد اتسع من نهر عيسى وجميع ما كان لأبيه وعمّه قرواش من البلاد. وكانت أعماله في غاية الخصب والأمن، وكان حسن السياسة كثير العدل. ولما قتل مسلم اجتمع بنو عقيل وأحرجوا أخاه إبراهيم من محبسه، بعد أن مكث فيه سنين مقيّداً حتى أفسد القيد مشيته فأطلقوه، وولّوه على انفسهم مكان أخيه مسلم. ولما قتل مسلم سار سليمان بن قطلمش إلى أنْطاكِية وحاصرها شهرين فامتنعت عليه، ورجع. وفي سنة تسع وسبعين بعدها بعث عميد العراق عسكراً إلى الأنبار فملكها من يد بني عقيل. وفيها أقطع السلطان ملك شاه مدينة الرحبة وأعمالها وحران وسروج والرقة والخابور لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش، وزوجه بأخته خاتون زليخة فتسلّم جميع هذه البلاد، وامتنع محمد بن المشاطر من تسليم حرّان فأكرهه السلطان على تسليمها.

نكبة إبراهيم وتنازع محمد وعلي ابني مسلم بعده على ملك الموصل ثم استيلاء علي عليها:

لم يزل إبراهيم بن قريش ملكا بالموصل وأميراً على لومه بني عقيل، حتى استدعاه السلطان ملك شاه سنة إثنتين وثمانين فلمّا حضر اعتقله، وبعث فخر الدولة بن جهير على البلاد فملك الموصل وغيرها، وأقطع السلطان عمّته صفيّة مدينة بلد وكانت زوجاً لمسلم بن قريش ولها منه ابنه عليّ، وتزوجت بعده بأخيه إبراهيم فلما مات ملك شاه ارتحلت صفية إلى الموصل ومعها ابنها عليّ بن مسلم، وجاءه اخوه محمد بن مسلم وتنازعا في ملك الموصل وانقسمت العرب عليهما. واقتتلوا على الموصل فانهزم محمد وملك عليّ، ودخل الموصل وانتزعها من يد ابن جهير.

عود إبراهيم إلى ملك الموصل ومقتله:

ولما مات ملك شاه واستبدّت تركمان خاتون بعده بالأمور، وأطلقت إبراهيم من

الاعتقال فبادر إلى الموصل، فلما قاربها سمع أنّ عليّ إبن أخيه مسلم قد ملكهما ومعه أمه صفيّة عمّة ملك شاه فبث إليها، وتلطّف بها فدفعت إليه ملك الموصل فدخلها وكان تتش صاحب الشام أخو ملك شاه قد طمع في ملك العراق، واجتمع إليه الأمراء بالشام وجاء أقسنقر صاحب حلب، وسار إلى نصيبين فملكها، وبعث إلى إبراهيم أن يخطب له ويسهّل طريقه إلى بغداد فامتنع إبراهيم من ذلك فسار تتش، ومعه أقسنقر، وجموع الترك. وخرج إبراهيم للقائه في ثلاثين ألفاً. والتقى الفريقان بالمغيم فانهزم إبراهيم، وقتل وغنم الترك حللهم، وقتل كثير من نساء العرب أنفسهنّ خوفاً من الفضيحة، واستولى تتش على الموصل.

ولاية علي بن مسلم علي الموصل ثم استيلاء كربوقا وانتزاعه إياها من يده وانقراض أمر بني المسيب من الموصل:

ولما قتل إبراهيم، وملك تتش الموصل ولّى عليها علي بن أخيه مسلم بن قريش فدخلها مع أمّه صفيّة عند ملك شاه، واستقرّت هى وأعمالها في ولايته. وسار تتش إلى ديار بكر فملكها، ثم إلى أذربيجان فاستولى عليها. وزحف إليه بركيارق وابن أخيه ملك شاه، وتقاتلا فانهزم تش، وقام بمكانه ابنه رضوان، وملك حلب. وأمره السلطان بركيارق باطلاق كربوقا فأطلقه. واجتمعت عليه رجال، وجاء إلى حرّان فملكها، وكاتبه محمد بن مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه توران بن وهيب وأبو الهيجاء الكردي يستنصرونه على عليّ بن مسلم بن قريش بالموصل فسار إليهم وقبض على محمد بن سم وسار به إلى نصيبين فملكها. ثم سار إلى الموصل فامتنعت عليه ورجع مدينة بلد وقتل بها محمد بن مسلم غريقاً، وعاد إلى حصار الموصل. واستنجد علي بن مسلم بالأمير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار إليه منجداً له. وبعث كربوقا إليه عسكراً مع اخيه التوتناش فردّه مهزوماً إلى الجزيرة فتمسك بطاعة كربوقا، وجاء مدداً له على حصار الموصل. واشتد الحصار بعليّ بن مسلم فخرج من الموصل، ولحق بصدقة بن مزيد بالحلّة، وملك كربوقا بلد الموصل بعد حصار تسعة أشهر. وانقرض ملك بني

المسّيب من الموصل وأعمالها واستولى عليها ملوك الغزّ من السلجوقية أمراؤهم، والبقاء لله وحده.

دولة بني صالح

الخبر عن دولة بني صالح بن مرداس بحلب وابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان ابتداء أمر صالح بن مرداس ملك الرّحبة، وهو من بني كلاب بن ربيعة بن عامر لن صعصعة، ومجالاتهم بضواحي حلب. وقال ابن حزم، إنه من ولد عمرو بن كلاب، وكانت مدية الرجة لأبى علي بن ثمال الخفاجيّ، فقتله عيسى بن خلاط العقيلي وملكها من يده، و بقيت له مدّة . ثم أخذها منه بدران بن المقلد. وزحف لؤلؤ الساري نائب الحاكم بدمشق فملك الرقة، ثم الرحبة من يد بدران، وعاد إلى دمشق. وكان رئى الرحبة ابن مجلكان فاستبدّ بها. وبعث إلى صالح بن مرداس يستعين به على أمر فأقام عنده مدة، ثم فسد ما بينهما، وقاتله صالح. ثم اعطلحا، وزوّجه ابن مجلكان إبنته ودخل البلد. ثم انتقل ابن مجلكان إلى عانه بأهله وماله بعد أن أطاعوه وأخذ رهنهم. ثم نقضوا وأخذوا ماله، وسار إليهم ابن مجلكان مع صالح فوضع عليه صالح من قتله ؛ وسار إلى الرّحبة فملكها واستولى على أموال ابن مجلكان وأقام دعوة العلويّين بمصر.

إبتداء أمر صالح في ملك حلب:

قد قدّمنا أن لؤلؤاً مولى أبي المعالى بن سيف الدولة استبدّ بحلب على ابنه أبي الفضائل، وأخذ البلد منه ومحا دعوة العبّاسية وخطب للحاكم العلويّ بمصر. ثم فسد حاله معه، وطمع صالح بن مرداس في ملك حلب. وذكرنا هنالك ما كان بين صالح ولؤلؤ من الحروب، وأنه كان له مولى إسمه فتح وضعه في قلعة حلب حافظا لها فاستوحش وانتقض على لؤلؤ بممالأة صالح بن مرداس، وبايع للحاكم على أن يقطعه صيدا أو بيروت، وسوّغه ما كان في حلب من الأموال. ولحق لؤلؤ بأنْطاكِية، وأقام عند الروم. وخرج فتح بحرم لؤلؤ وأمه وتركهن في منبج. وترك حلب وقلعتها إلى نواب الحكم وتداولت في أيديهم حتى وليها بعض بني حمدان من قمل حاكم يعرف بعزيز الملك، اصطنعه الحاكم، وولاه حلب. ثم عصى على ابنه الظاهر،

وكانت عمّته بنت الملك مدبّرة لدولته فوضعت على عزيز الملك من قتله. وولّوا على حلب عبد الله بن عليّ بن جعفر الكتامي، ويعرف بابن شعبان الكتامي وعلى القلعة صفي الدولة موصوفاً الخادم.

استيلاء صالح بن مرداس علي حلب:

ولما ضعف أمر العبيديّن بمصر من بعد المائة الرابعة وانقرض أمر بني حمدان من الشام والجزيرة، تطاولت العرب إلى الاستيلاء على البلاد فاستولى بنو عقيل على الجزيرة، واجتمع عرب الشام فتقاسموا البلاد، على أن يكون لحسّان بن مفرج بن دغفل وقومه طيء من الرملة إلى مصر، ولصالح بن مرداس وقومه بني كلاب من حلب إلى عانه ولحسّان بن علينا وقومه دمشق وأعمالها. وكان العامل على هذه البلاد من قبل الظاهر خليفة مصر أنوشتكين إلى عسقلان، وملكها ونهبها حسان. وسار صالح بن مرداس إلى حلب فملكها من يد ابن شعبان، وسلّم له أهل البلد ودخلها. وصعد ابن شعبان إلى القلعة فحصرهم صالح بالقلعة حتى جهدهم الحصار، واستأمنوا وملك القلعة، وذلك سنة أربع وعشرين واربعمائة، واتسع ملكه ما بين بعلبك وعانة.

مقتل صالح وولاية ابنه أبي كامل:

ولم يزل صالح مالكا لحلب إلى سنة عشرين فجهّز الظاهر العساكر من مصر إلى الشام لقتال صالح وحسان، وعليهم أنوشتكين الدريديّ فسار لذلك ولقيهما

على الأردن بطبريّة، وقاتلهما فانهزما، وقتل صالح وولده الأصغر، ونجا ولده الأكبر أبو كامل نصر بن صالح إلى حلب، وكان يلقّب شبل الدولة. ولما وقعت هذه الواقعة طمع الروم أهل أنْطاكِية في حلب فزحفوا إليها في عدد كثير.

مسير الروم إلى حلب وهزيمتهم:

ثم سار ملك الروم إلى حلب في ثلاثمائة ألف مقاتل، ونزل قريبا من حلب ومعه ابن الدوقس من أكابر الروم، وكان منافراً له فخالفه ولارقه في عشره آلاف مقاتل ونمي إليه أنّه يروم الفتك به، وأنه دسّ عليه فكرراجعا، وقبض على ابن الدوقس واضطرب الروم واتبعهم العرب وأهل السواد الأرمن، ونهبوا أثقال الملك أربعمائة حمل، وهلك أكثر عسكره عطشاً. ثم أشرف بعض العرب على معسكره فهربوا وتركوا سوادهم وأموالهم، وأكرم الله المسلمين بالفتح.

مقتل نصر بن صالح واستيلاء الوزيري علي حلب:

وفي سنة تسع وعشرين زحف الوزيري من مصر في العساكر إلى حلب، وخليفتهم يومئذ المستنصر، وبرز إليه نصر فالتقوا عند حماة، وانهزم نصر وقتل. وملك الوزيري حلب في رمضان من هذه السنة.

مهلك الوزيري وولاية ثمال بن صالح:

ولما ملك الوزيري حلب واستولى على الام عظم أمره، واستكثر من الأتراك في الجند ونمي عنه إلى المستنصر بمصر، ووزيره الجرجاي أنه يروم الخلاف فدس الجرجاي إلى جانب الوزيري والجند بدمشق في الثورة به، وكشف لهم عن سوء

رأي المستنصر فثاروا به، وعجز عن مدافعتهم فاحتمل أثقاله، وسار إلى حلب، ثم إلى حماة فمنع من دخولها فكاتب صاحب كفرطاب فسار إليه وتبعه إلى حلب ودخلها وتوفي سنة ثلاث وثلاثين. ولما توفي فسد أمر الشام وانحل النظام وتزايد طمع العرب. وكان معز الدولة ثمال بن صالح بالرحبة منذ مهلك أبيه وأخيه فقصد حلب، وحاصرها فملك المدينة، وامتنع أصحاب الوزيري بالقلعة. واستمدوا أهل مصر وشغل الوالي بدمشق بعد الوزيري، وهو الحسين بن حمدان لحرب حسان بن مفرج صاحب فلسطين فاستأمن أصحاب الوزيري إلى ثمال بن صالح بعد حصاره إياها حولاً فأمنهم، وملكها في صفر سنة أربع وثلاثين. فلم يزل مملكاً عليها إلى أن زحفت إليه العساكر من مصر مع أبي عبيد الله بن ناصر الدولة بن حمدان. وبلغت جموعهم خمسة آلاف مقاتل فخرج إليهم ثمال، وقاتلهم وأحسن دفاعهم، وأصابهم سيل كاد يذهب بهم فأفرجوا عن حلب، وعادوا إلى مصر . ثم عادت العساكر ثانية من مصر سنة إحدى وأربعين مع رفقا الخادم فقاتلهم ثمال وهزمهم، وأسر الخادم رفقا، ومات عنده.

رغبة ثمال عن حلب ورجوعها لصاب مصر وولاية ابن ملهم عليها:

لم تزل العساكر تتردد من مصر إلى حلب، وتضيق عليها حتى سئم ثمال بن صالح إمارتها، وعجز عن القيام بها فبعث إلى المستنصر بمصر وصالحه على أن ينزل له عن حلب فبعث عليها مكين الدولة أبا علي الحسن بن ملهم فتسلمها آخر سنة تسع وأربعين. وسار ثمال إلى مصر، ولحق أخوه عطية بن صالح بالرحبة، واستولى ابن ملهم عليها.

ثورة أهل حلب بابن ملهم وولاية محمود بن نصر بن صالح:

وأقام ابن ملهم بحلب سنتين أو نحوها، ثم بلغه عن أهل حلب أنهم كاتبوا محمود بن نصر

بن صالح فقبض عليه، فثار به أهل حلب، وحصروه بالقلعة، وبعثوا إلى محمود فجاء منتصف إثنتين وخمسين، وحاصره معهم بالقلعة. واجتمعت معه جموع العرب، واستمد ابن ملهم المستنصر فكتب إلى أبي محمد الحسن بن الحسين بن حمدان أن يسير إليه في العساكر، فسار إلى حلب وأجفل محمود عنها. ونزل ابن ملهم إلى البلد، ودخلها ناصر الدولة ونهبتها عساكره وابن ملهم. ثم تواقع محمود وناصر الدولة بظاهر حلب، فانهزم ناصر الدولة بن حمدان وأسر فرجع به محمود إلى البلد وملكها، وملك القلعة في شعبان من هذه السنة وأطلق أحمد بن حمدان وابن ملهم فعاد إلى مصر.

رجوع ثمال بن صالح إلى ملك حلب وفرار محمود بن نصر عنها:

لما هزم محمود بن حمدان، وأخذ القلعة من يد ابن ملهم. وكان معز الدولة ثمال بن صالح بمصر منذ سلمها للمستنصر سنة تسع وأربعين فسرحه المستنصر الآن وأذن له في ملك حلب من ابن أخيه فحاصره في ذي الحجة من سنة إثنتين وخمسين. واستنجد محمود بخاله منيع بن شبيب بن وثاب النميري صاحب حران فأمده بنفسه، وجاء لنصره فأفرج ثمال عن حلب، وسار إلى البرية في محرم سنة ثلاث وخمسين. ثم عاد منيع إلى حران، وملك ثمال حلب في ربيع ثلاث وخمسين، وغزا بلاد الروم فظفر وغنم.

وفاة ثمال وولاية أخيه عطية:

ثم توفي ثمال بحلب قريباً من استيلائه، وذلك في ذي المعدة سنة أربع وخمسين، وعهد بحلب لأخيه عطية بن صالح، وكان بالرحبة من لدن مسير ثمال إلى مصر فسار وملكها.

عود محمود إلى حلب وملكه إياها من يد عطية:

ولما ملك عطية حلب، وكان ذلك عند استيلاء السلجوقية على ممالك العراق والشام، وافتراقهم على العمالات. ونزل به قوم منهم فاستخدمهم وقوي بهم. ثم خشي اصطحاب عائلتهم فأشاروا بقتلهم، فسلط أهل البلد عليهم فقتلوا منهم جماعة، ونجا الباقون فقصدوا محمود بن نصر بحران فاستنهضوه لملك حلب. وجاءهم فحاصرها وملكها في رمضان سنة خمس وخمسين، واستقام أمره. ولحق عطية عمه بالرقة، فملكها إلى أن أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاث وستين، فسار إلى بلد الروم سنة خمس وستين، واستقام أمر محمود بن نصر في حلب. وبعث الترك الذين جاؤوا في خدمته مع أميرهم ابن خان سنة ستين إلى بعض قلاع الروم فحاصروها وملكها. وسار محمود إلى طرابلس فحاصرها، وصالحوه على حال فأخرج عنهم. ثم سار إليه السلطان ألبأرسلان بعد فراغه من– حصار ديار بكر وآمد والرها، ولم يظفر بشيء منها كما نذكر في أخبارهم.

وجاء إلى حلب وحاصرها، وبها محمود بن نصر. وجاءت رسالة الخليفة القائم بالرجوع إلى الدعوة العباسية فأعادها، وسأل من الرسول أزهر أبو الفراس طراد الزيني أن يعفيه السلطان من الحضور عنده فأبى السلطان من ذلك، واشتد الحصار على محمود وأضربهم حجارة المجانيق فخرج ليلا، ومعه والدته منيعة بنت وثاب متطارحين على السلطان، فخلع على محمود في حلب آخر ثمان وستين، وعهد لابنه شبيب إلى الترك الذين ملكوا أباه وهم بالحاضر، وقد بلغه عنهم العيث والفساد فلما دنا من حللهم تلقوه فلم يجبهم، وقاتلهم وأصيب بسهم في تلك الجولة ومات.

مهلك نصر بن محمود وولاية أخيه سابق:

ولما هلك نصر ملك أخوه سابق. قال ابن الأثير: وهو الذي أوصى له أبوه بالملك فلم ينفذ عهده لصغره، فلما ولي استدعى أحمد شاه مقدم التركمان الذين قتلوا أباه فخلع عليه، وأحسن إليه، وبقي فيها ملكاً.

استيلاء مسلم بن قريش علم حلب من يد سابق وانقراض دولة بني صالح بن مرداس:

ولما كانت سنة إثنتين وسبعين زحف تتش بعد أن ملك دمشق إلى حلب فحاصرها أياماً، ووجل أهل حلب من ولاية الترك فبعثوا إلى مسلم بن قريش ليملكوه. ثم بدا لهم في أمره، ورجع من طريقه، وكان مقدمهم يعرف بابن الحسين العباسي. وخرج ولده متصيداً في ضيعة له فأرسل له بعض أهل القلاع بنواحي حلب من التركمان، وأسره وأرسله إلى مسلم بن قريش فعاهده على تمكينه من البلد، وعاد إلى أبيه فسلم البلد إلى مسلم بن قريش، وملكها سنة ثلاث وسبعين. ولحق سابق بن محمود وأخوه وثاب إلى القلعة، واستنزلهما بعد أيام على الأمان واستولى على نواحيها. وبعث إلى السلطان ملك شاه بالفتح، وأن يضمن البلد على العادة فأجابه إلى ذلك، وصارت في ولاية مسلم بن قريش إلى أن ملكها السلطان من بعده.

استيلاء السلطان ملك شاه علي حلب وولاية اقسنقر عليها:

قد تقدم لنا أن مسلم بن قريش قتله سليمان بن قطلمش كما مر في أخبار مسلم، فلما قتله أرسل إليه ابن الحسين العباسي مقدم أهل حلب يطلب تسليمها إليه. وكان تتش أيضاً قد حاصرها، وضيق عليها يطلب ملكها فوعد كلاً منهما ونمي الخبر إلى تتسش فسار إلى حلب وجاءه سليمان بن قطلمش فاقتتلا، وقتل سليمان سنة تسع وسبعين، وبعث برأسه إلى ابن الحسين فكتب أنه يشاور السلطان ملك شاه في ذلك فغضب تتش وحاصره، وداخله بعض أهل البلد فغدر به، وأدخله ليلاً فملك تتش مدينة حلب، وشفع الأمير أرتق بن اكسك من أمراء تتش في ابن الحثيثي، وامتنع بالقلعة سالم بن مالك بن بدران بن المقلد فحاصره تتش. وكان ابن الحثيثي قد كاتب السلطان ملك شاه، واستدعاه لملك حلب عندما خاف من أخيه تاج الدولة تتش، فسار إليها من أصفهان سنة تسع وأربعين، ومر بالموصل. ثم تسلم حران

من يد ابن الشاطر، وأقطعها لمحمد بن قريش.

ثم سار إلى الرها فملكها من يد الروم، وكانوا اشتروها من ابن عطية، وسار إلى قلعة جعفر فملكها وقتل من بها من بني قشير، وأخذ صاحبها جعفراً شيخاً أعمى وولدين له، وكانوا يفسدون السابلة ويرجعون إليها. ثم سار إلى منبج فملكها، وسار إلى حلب وأخوه تتش يحاصر القلعة سبعة عشر يوماً من حصارها، وعاد إلى دمشق، وملك السلطان مدينة حلب، وقاتل القلعة ساعة من نهار رشقاً بالسهام، فأذعن سالم بن مالك بن بدران بالطاعة والنزول عنها على أن يقطعه قلعة جعفر، فاقطعها له السلطان فلم تزل بيده ويد بنيه إلى أن ملكها منهم نور الدين الشهيد. وبعث نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر بالطاعة، وولي على حلب قسيم الدولة اقسنقر جد العادل نور الدين الشهيد، وارتحل عائداً إلى العراق، وسأله أهل حلب أن يعفيهم من ابن الحثيثي فاستصلحه، وأرسله إلى ديار بكر فنزلها إلى أن توفي على حال شديدة من الفقر والاملاق، والله مالك الأمور لا رب غيره.

دولة بني مزيد

الخبر عن دولة بني مزيد ملوك الحلة وابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان بنو مزيد هؤلاء من بني أسد، وكانت محلاتهم من بغداد إلى البصرة إلى نجد، وهي معروفة. وكانت له النعمانية، وكانت بنو دبيس من عشائرهم فم نواحي خوزستان في جزائر معروفة بهم. وكان كبير بني مزيد ابو الحسن علي بن مزيد واخوه أبو الغنائم. وسار أبو الغنائم إلى بني دبيس فأقام عندهم، وفر فلم يدركوه، ولحق بناحية أبي الحسن فسار إليهم أبو الحسن، واستمد عميد الجيوش فأمده بعسكر من الديلم في البحر، ولقيهم فانهزم ابو الحسن، وقتل ابو الغنائم، وذلك سنة إحدى وأربعمائة. فلما كانت سنة خمس جمع ابو الحسن، وسار إليهم لإدراك الثأر بأخيه. وجمع بني دبيس وهم مضر وحسان ونبهان وطراد فاجتمع إليهم العرب، ومن في نواحيهم من

الأكراد الشاهجان والحادانية، وتزاحفوا. ثم انهزم بنو دبيس، وقتل حسان ونبهان، واستولى ابو الحسن بن مزيد على اموالهم وحللهم. ولحق الفل منهم بالجزيرة، وقلده فخر الدولة أمر الجزيرة الدبيسية واستثنى منها الطيب وقرقوب. وأقام ابو الحسن هناك. ثم جمع مضر بن دبيس جمعا وكبسه فنجا في فل يسير، ولحق ببلد النيل منهزماً، واستولى مضر على امواله وعلى الجزيرة وملكها.

وفاة علي بن مزيد وولاية ابنه دبيس:

ثم توفي ابو الحسن بن مزيد سنة ثمان، وقام الأمر مكانه ابنه نور الدولة أبو الأغر دبيس، وقد كان ابوه عهد لأخيه في حياته، وخلع عليه سلطان الدولة، وأذن في ولايته. فلما ولي بعد ابيه نزع اخوه المقلد إلى بني عقيل فأقام بينهم، وكانت بسبب ذلك بين دبيس وقرواش: اميري بني عقيل، فتن وحروب. وجمع دبيس عليه بني خفاجة، وملك الأنبار من يده سنة سبع عشرة. ثم انتقض خفاجة، على دبيس، وأميرهم منيع بن حسان. وسار إلى الجامعين فنهبها، وملك الكوفة. وصار أمر دبيس وقرواش إلى الوفاق، واستوى الأمر على ذلك، ومنعت خفاجة بني عقيل من سقي الفرات.

استيلاء منصور في الحسين علي الجزيرة الدبيسية:

كانت الجزيرة الدبيسية قد استقرت لطراد بن دبيس، وكان منصور بن الحسين من شعوب بنم اشد تغلب عليها، واخرج طراد بن دبيس عنها سنة ثمان عشرة.واربعمائه ثم مات طراد فسار ابنه ابو الحسن إلى جلال الدولة ببغداد، وكان منصور بن الحسين قد خطب للملك أبي كليجار، وقطع الخطبة لجلال الدولة فسأل منه علي بن طراد أن يبعث معه عسكراً ليخرج منصوراً من الجزيرة فأنفذ معه العسكر، وسار إلى واسط. ثم أغذ السير، وكان منصور جمع للقائه، واعانه بعض أمراء الترك، وهو ابو صالح كركبر. وكان قد هرب من جلال الدولة إلى أبي كليجار فأعان منصوراً على

شأنه، ولقوا علي بن طراد فهزموه، وقتلوه وجماعة من الترك الذين بعثهم جلال الدولة لنصرته. واستقر ملك الجزيرة الدبيسية لمنصور بن الحسين.

فتنة دبيس مع جلال الدولة وحروبه مع قومه:

كان المقلد اخو دبيس بن مزيد قد لحق ببني عقيل كما ذكرناه، وكانت بينه وبين نور الدولة دبيس عداوة فسار إلى منيع بن حسان امير خفاجه، واجتمعا على قتال دبيس وعلى خلافة جلال الدين، وخطب لأبي كليجار واستقدمه للعراق فجاء إلى واسط، وبها ابن جلال الدولة ففارقها، وقصد النعمانية ففجر عليه البثوق محن بلده. وارسل ابو كليجار إلى قراوش صاحب الموصل، والأثير عنبر الخادم أن ينحدروا إلى العراق فانحدروا إلى الكحيل. ومات بها الأثير عنبر، وجمع جلال الدولة عساكره واستنجد أبا الشوك صاحب بلاد الأكراد فأنجده، وانحدر إلى واسط، وأقام بها، وتتابعت الامطار والاوحال فسار جلال الدولة إلى الاهواز بلد أبي كليجار لينهبها. وبعث ابو كليجار إليه بأن عساكر محمود بن سكتكين لد قصدت العراق ليرده عن الأهواز فلم يلتفت إلى ذلك وسار ونهب الأهواز وبلغ الخبر إلى أبي كليجار فسار إلى مدافعته، وتخلف عنه دبيس خوفاً على حلله من خفاجة.

والتقى ابو كليجار وجلال الدولة فانهزم أبو كليجار، وقتل من أصحابه كثير. واستولى جلال الدولة على واسط، وأعاد إليها ابنه عبد العزيز كما كان. ولما فارق دبيس أبا كليجار وجد جماعة من عشيرته قد خالفوا عليه، وعاثوا في نواحي الجامعين فقاتلهم وظفر بهم، وأسر منهم جماعة، منهم أبو عبد الله الحسين ابن عمه أبي الغنائم، وشبيب وسرايا ووهب وبنو عمه حماد بن مزيد، وحبسهم بالجوسق. ثم جمع المقلد أخوه جموعاً من العرب، واستمد جلال الدولة فأمده بعسكر، وقصدوا دبيس فانهزم وأسر جماعة من أصحابه، ونزل المعتقلون بالجوسق فنهبوا حلله. ولحق دبيس بالشريد منهزماً فسار به إلى مجد الدولة، وضمن عنه المال المقّرر في ولايته فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه، واستقام حاله. وذهب المقلد مع جماعة من

خفاجة فنهبوا مطير أباد والنيل أقبح نهب، وعاثوا في منازلها، ولم تكن الحلة بنيت يومئذ. وعبر المقلد دجلة إلى أبي الشوك فأقام عنده حتى أصلح أمره.

الفتنة بين دبيس وأخيه ثابت:

كان أبو قوام ثابت بن علي بن مزيد متصلاً بالبساسيري سنة أربع وعشرين، وتزحزح لهم دبيس عن البلاد، وملك ثابت النيل وأعمال دبيس. وبعث دبيس طائفة من أصحابه لقتال ثابت فانهزموا فسار دبيس عن البلاد، وتركها لثابت حتى رجع البساسيري إلى بغداد فسار في جموع بني أسد وخفاجة، ومعه أبو كامل منصور بن قراد وتركوا حللهم بين حصني خفان وجرى. وساروا جريدة، ولقيهم ثابت عند جرجراً فاقتتلوا ملياً. ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يعود دبيس إلى أعماله، ويقطع أخاه ثابتا بعض تلك الاعمال، وتحالفوا على ذلك، وافترقوا. وجاء البساسيري منجداً لثابت فبلغه الخبر بالنعمانية فرجع.

الفتنة بين دبيس وعسكر واسط:

كان الملك الرحيم قد أقطع دبيس بن مزيد سنة إحدى وأربعين حماية نهر الصفة ونهر الفضل، وهي من اقطاع جند واسط فسخطوا ذلك، واجتمعوا وبعثوا إليه بالتهديد فراجعهم إلى حكم الملك الرحيم، فغضبوا وزحفوا إليه فلقيهم وأكمن لهم فهزمهم وأثخن فيهم، وغنم أموالهم ودوابهم، ورجعوا إلى واسط يستنجدون جند بغداد، ويرغبون من البساسيري في المدافعة عنهم ويعطوه نهر الصلة ونهر الفضل.

ايقاع دبيس بخفاجة:

وفي سنة ست واربعين قصد بنو خفاجة الجامعين من أعمال دبيس فعاثوا فيها من غربي الفرات، وكان دبيس في شرقيه فاستنجد البساسيري فجاء بنفسه، وعبر

دبيس الفرات معه، وقاتل خفاجة وأجلاهم عن الجامعين فسلكوا البرية، ورجع عنهم. ثم عادوا للفساد فعاد إليهم فدخلوا البرية فاتبعهم إلى خفان فأوقع بهم، وأثخن فيهم. وحاصر خفان ثم اقتحمه، وأخرجهم ورجع إلى بغداد ومعه أسارى من خفاجة فصلبوا. ثم سار إلى جرى فحاصرها، ووضع عليهم سبعة آلاف دينار فالتزموها وأمنهم.

حرب دبيس مع الغز وخطبته للعلوي صاحب مصر ومعاودته الطاعة:

ولما انقرض أمر بني بويه، وغلب عليهم الغز، وصارت الدولة للسلطان طغرلبك سلطان السلجوقئة، وجاء السلطان طغرلبك إلى بغداد، واستولى على الخليفة، وخطب له على منابر الإسلام، وقبض على الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه حسبما ذلك كله مذكور في أخبارهم ؛ وكان البساسيري قد فارق الملك الرحيم قبل مسيره من واسط إلى بغداد للقاء طغرلبك مجمعاً على الخلاف على الغز مع قطلمش ابن عم طغرلبك، جد الملوك ببلاد الروم أولاد قليج ارسلان، ومعه متمم الدولة أبو الفتح عمر ؛ وسار معهم قريش بن بدران صاحب الموصل فلقيهم دبيس والبساسيري على سنجار، وهزمهم ورجع قريش إلى دبيس جريحاً فخلع عليه، وسار معهم وذهب بهم إلى الموصل. وخرج دبيس وقريش والبساسيري إلى البرية ومعهم جماعة من بني نمير أصحاب حران والرقة، واتبعهم عساكر السلطان مع هزارسب من أمراء السلجوقية فأوقع بهم، ورجع بالغنائم والاسرى. وأرسل دبيس وقريش إلى هزارسب أن يستعطف السلطان ففعل. وبعث دبيس ابنه بهاء الدولة مع وافد قريش فأكرمهما السلطان طغرلبك.

ثم انتقض عليه أخوه نيال بهمذان فسار لحربه. وترك بغداد، وخالفه البساسيري إليها. وبعث الخليفة القائم عن دبيس ليقيم عنده ببغداد فاعتذر

بأن العرب لا تقيم. وطلب الخليفة في الخروج إليه حتى يجتمع عليه هو وهزارسب، ويدافعوا عن بغداد. وجاء البساسيري ودخل بغداد ومعه قريش بن بدران فملكها سنة خمسين، وخطب فيها للعلويين واستذم الخليفة القائم بقريش بن بدران فأذمه، وبعثه إلى عانة عند مهاوش العقيلي من بني عمه. وفعل البساسيري وجموعه في بغداد الافاعيل، وأطاعه دبيس بن علي بن مزيد، وصدقة بن منصور بن الحسين صاحب الجزيرة الدبيسية، وكان ولي بعد أبيه، وقد تقدم ذكر هذا كله.

ثم رجع السلطان من همذان بعد قتل أخيه، وقضى أشغاله فأجفل البساسيري وأصحابه من بغداد، ولحق ببلاد دبيس، وفارقه صدقة بن منصور إلى هزارسب بواسط. وأعاد طغرلبك الخليفة إلى داره، وسار السلطان في اتباعه، رفي مقدمته خمارتكين الطغرائي في ألفي فارس، ومعه سرايا بن منيع الخفاجي فصبحت المقدمة دبيس بن مزيد والبساسيري، فهرب دبيس، ووقف البساسيري فقتل، وذلك سنة إحدى وخمسين. ورجع السلطان إلى بغداد، ثم انحدر إلى واسط. وجاء هزارسب بن تنكين فأصلح عنده حال دبيس بن مزيد، وصدقة بن منصور بن الحسين، وحضرا عند السلطان وجاءا في ركابه إلى بغداد فخلع عليهما وردهما إلى عمالتهما.

وفاة دبيس وامارة ابنه منصور:

ولم يزل دبيس على أعماله إلى أن توفي سنة أربع وسبعين لسبع وخمسين سنة من إمارته، وكان ممدوحاً. ورثاه الشعراء بعد وفاته بأكثر مما مدحوه في حياته. ولما مات ولي في أعماله وعلي بني أسد ابنه أبو كامل منصور، ولقب بهاء الدولة. وسار إلى السلطان ملك شاه فأقره على أعماله، وعاد في صفر سنة خمس وسبعين فأحسن السيرة.

وفاة منصور في دبيس وولاية ابنه صدقة:

ثم توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد صاحب الحلة والنيل

وغيرهما في ربيع الأول سنة تسع وسبعين، فأرسل الخليفة نقيب العلويين أبا الغنائم إلى ابنه سيف الدولة صدقة يعزيه. وسار صدقة إلى السلطان ملك شاه فخلع عليه وولاه مكان أبيه.

انتقاض صدقة في منصور بن دبيس علي السلطان بركيارق:

وكان السلطان بركيارق قد خرج عليه أخوه محمود بن ملك شاه ينازعه في الملك، وكانت بينهما عدة وقعات، ولم يزل صدقة بن منصور على طاعته ويحضر حروبه تارة بنفسه، وتارة يبعث إليه العساكر مع ابنه سنة أربع وتسعين، فبعث إليه وزير السلطان بركيارق وهو الاغر أبو المحاسن الدهستاني يطلبه فيما تخلف عنده من المال، وهو ألف ألف دينار، ويتهدده عليه فقطع صدقة الخطبة لبركيارق، وعاد إلى بغداد في هذه السنة منهزماً أمام أخويه محمد وسنجر، فبعث الأمير أياز من أكبر أصحابه، وطرد نائب السلطان عن الحكومة واستضافها إليه.

استيلاء صدقة علي واسط وهيت:

كان السلطان محمد في سنة ست وتسعين مستولياً على بغداد والخطبة بها، وشحنته فيها الغازي بن أرتق، وصدقة بن دبيس على طاعته ومظاهرته. ثم ظهر في هذه السنة بركيارق على محمد، وحاصره بأصفهان فامتنع عليه فأخرج عنه إلى همذان، وبعث كمستكين القصيري شحنة إلى بغداد فاستدعى أبو الغازي أخاه سقمان بن أرتق من حصن كيفا يستعين به في مدافعة كمستكين. وجاء كمستكين إلى بغداد، وخطب بها لبركيارق، وخرج أبو الغازي وسقمان إلى دجيل فأقاما به بجرى. وجاء صدقة بن مزيد إلى صرصر بعد أن جاءه رسول الخليفة في طاعة أبي الغازي

وسقمان فعادا، وعاثت عساكرهما في نواحي دجيل، وتقدما إلى بغداد، وبعث معهما صدقة ابنه دبيساً فخيموا بالرملة، وقاتلهم العامة، وكثر الهرج. وبعث الخليفة إلى صدقة يعظم عليه الأمر فأشار بإخراج كمستكين القيصري من بغداد لتصلح الأحوال، فأخرج إلى النهروان في ربيع سنة ست وتسعين. وعاد صدقة إلى الحلة، وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد، ولحق القيصري بواسط، وخطب بها لمحمد فسار إليه صدقة وأخرجه. وجاء ابلغازي، واتبعوا القيصري، واستأمن إلى صدقة فأكرمه وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وبعده لصدقه والغازي. وولى كل واحد منهما ولده على واسط، وذهب ابلغازي إلى بغداد، وعاد صدقة إلى الحلة، وأرسل ابنه منصورا مع ابلغازي إلى المستنصر ليستظهر رضاه فرضي عنه.

ثم استولى صدقة على هيت، وكان بركيارق أقطعها لبهاء الدولة توران بن تهيبة، وكان مقيماً في جماعة من بني عقيل عند صدقة. ثم تشاجرا. ومال بنو عقيل إلى صدقة، وحج عقب ذلك، ورجع فوكل به صدقة. وبعث ابنه دبيس ليتسلم هيت فمنعه نائب توران بها، وهو محمد بن رافع بن رفاع بن منيعة بن مالك بن المقلد. فلما أخذ صدقة واسطا سار إلى هيت، وبها منصور بن كثير نائباً عن عمه توران فلقي صدقة، وحاربه، ثم انتقض جماعة من أهل البلد، وفتحوا لصدقة فملكها، وخلع على منصور وأصحابه، وعاد إلى الحلة. واستخلف على هيت ابن عمه ثابت بن كامل. ثم اصطلح السلطان محمد وبركيارق، وسار صدقة في شوال إلى واسط فملكها، وأخرج الترك الذين كانوا بها. وأحضر مهذب الدولة بن أبي الخير فضمنه لثلاثة أشهر بقيت من السنة بخمسين ألف دينار، وعاد إلى الحلة.

استيلاء صدقة بن مزيد علي البصرة:

كانت البصرة منذ سنين في ولاية إسماعيل بن ارسلان جق من السلجوقية، أقام فيها

عشر سنين، وعظم تمكنه للخلاف الواقع بين بركيارق ومحمد. وكان يظهر طاعة صدقة

وموافقته، فلما صفا الأمر لمحمد رغب إليه صدقة في إبقائه فأبقاه. وبعث السلطان محمد عاملاً على خاصة البصرة فمنعه إسماعيل، فأمر السلطان صدقة بأخذ البصرة منه. وأظهر منكبرس الخلاف فشغلوا عن البصرة، وبعث إليه صدقة بتسليم الشرطة إلى مهذب الدولة بن أبي الخير فمنع من ذلك فسار صدقة إليه، وحصن إسماعيل القلاع التي استجدها حوالي البصرة، واعتقل وجوه البلد من العباسيين والعلويين والقاضي والمدرس والاعيان، وحاصرها صدقة. وخرج إسماعيل لقتاله، وخالفه طائفة من أصحاب صدقة إلى مكان آخر من البلد فاقتحموها، وانهزم إسماعيل إلى قلعة الجزيرة فامتنع بها، ونهبت البلد.

وانحدر المهذب بن أبي الخير في السفن فأخذ القلعة التي كانت لإسماعيل بمطارا. ثم استأمن إسماعيل إلى صدقة فأمنه. وجاء صدقة فأمن أهل البصرة، ورتب عندهم شحنة، وعاد إلى الحلة منتصف تسع وتسعين وأربعمائة لستة عشر يوماً من مقامه بالبصرة. وسار إسماعيل نحو فارس فطرقه المرض في رام هرمز، ومات. وكان صدقة قد استعمل على البصرة مملوك جده دبيس وإسمه اليونشاش، ورتب معه مائة وعشرين فارساً فاجتمعت ربيعة والمتقن، وقصدوا البصرة فدخلوها بالسيف وأسروا اليونشاش، وأقاموا بها شهراً ينهبون ويخربون، وبعث صدقة عسكراً فوصل بعد خروجهم من البلد فانتزع السلطان البصرة من صدقة، وبعث إليها شحنةً وعميداً، واستقام أمرها.

استيلاء صدقة علي تكريت:

كانت تكريت لبني معن من بني عقيل، وكانت إلى آخر سبع وعشرين وأربعمائة بيد

رافع بن الحسين بن معن، فلما مات وليها ابن أخيه أبو منعة بن ثعلب بن حماد، ووجد بها خمسمائة ألف دينار. وتوفي سنة خمس وثلاثين، ووليها ابنه أبو غشام إلى سنة أربع وأربعين فوثب عليه أخوه عيسى فحبسه، وملك القلعة والأموال. فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان وأربعين صالحه على البعض المال فرحل عنه، ومات عيسى أثر

ذلك. وخافت زوجته من عود أخيه أبي غشام إلى الملك فقتلته في محبسه. وولت على القلعة أبا الغنائم ابن المجلبان فسلمها إلى أصحاب طغرلبك، وسارت هي إلى الموصل فقتلها ابن أبي غشام بأبيه. وأخذ مسلم بن قريش مالها. وولى طغرلبك على قلعة تكريت أبا العباس الرازي فمات لستة أشهر، فولي عليها المهرباط، وهو أبو جعفر محمد بن أحمد بن غشام من بلد الثغر فأقام بها إحدى وعشرين سنة، ومات فوليها ابنه سنتين، وأخذتها من تركمان خاتون وولت عليها كوهرايين الشحنة.

ثم مات ملك شاه فملكها قسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب، فلما قتل صارت للأمير كمستكين الجاندار، فولى عليها رجلاً يعرف بأبي نصر المصارع. ثم عادت إلى كوهرايين اقطاعا. ثم أخذها منه محمد الملك الباسلاني فولى عليها لمقا بن هزارسب الديلمي، وأقام بها إثنتي عشرة سنة فظلم أهلها؟ وأساء السيرة. فلما أجاز به سقمان بن أرتق سنة ست وتسعين وأربعمائة لنهبها. وكان كيقباذ ينهبها ليلاً، وسقمان ينهبها نهارا. فلما استقر السلطان محمد بعد أحيه بركيارق أقطعها للأمير اقسنفر البرسقي شحنة بغداد فسار إليها، وحصرها مدة تزيد على سبعة أشهر، حتى ضاق على كيقباذ الأمر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها إليه، فسار إليها في صفر من هذه السنة، وتسلمها منه. وانحدر البرسقي ولم يملكها. ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام، وكان عمره ستين سنة، واستناب صدقة بها ورام بن أبي قريش بن ورام وكان كيقباذ ينسب إلى الباطنية.

الخلف بين صدقة وصاب البطيحة:

قد كنا قدمنا أن السلطان محمداً أقطع صدقة بن مزيد مدينة واسط فضمنها صدقة

لمهذب الدولة بن أبي الخير، وولى في أعمالها أولاده فبذروا الأموال، وطالبه صدقة عند انقضاء السنة بالمال وحبسه. وسعى في خلاصه بدران بن صدقة، وكان صهرا لمهذب الدولة، وأعاده إلى البطيحة. وضمن حماد والمختم محمد والد مهذب الدولة، كانا أخوين، وهما ابنا أبي الخير. وكانت لهما رياسة قومهما. وهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر والد حماد مقامه. وهلك المختم محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه، ونازعا إبراهيم صاحب البطيحة حتى غلبه مهذب الدولة، وقبض عليه، وسلمه إلى كوهرايين فحمله إلى أصفهان فهلك في الطريق. وعظم أمر مهذب الدولة وصير كوهرايين أمير البطيحة، وصارت جماعته لحكمه. وكان حماد شابا، وكان مهذب الدولة يداريه بجهده، وهو يضمر نقضه. فلماط ت كوهرايين انتقض حماد عن مهذب الدولة وأظهر ما في نفسه، واجتهد مهذب الدولة في استصلاحه فلم يقدر. وجمع ابنه القيسر وقصد حمادا فهرب إلى صدقة بالحلة، وبعث معه مدداً من العسكر. وحشد مهذب الدولة، وسار في العساكر براً وبحراً– وأكمن حماد لهم وأصحابه واستطردوا بين أيديهم. ثم خرجت عليهم الكمائن فانهزموا. وأرسل حماد يستمد صدقة فبعث إليه مقدم جيشة، وجمعوا السفن وكان مهذب الدولة جواداً فبعث إلى مقدم الجيش بالانعامات والصلات فمال إليه، وأشار عليه أن يبعث ابن النفيس إلى صدقة فرضي عنه وأصلح بينه وبين حماد ابن عمه، وذلك آخر المائة الخامسة.

مقتل صدقة وولاية ابنه دبيس:

كان صدقة بن منصور بن مزيد شيعة للسلطان محمد بن ملك شاه على أخيه بركيارق، ومن أعظم أنصاره. ولما هلك بركيارق واستبد السلطان محمد بالملك رعى

وسائله في ذلك، وأقطعه و اسطا وأذن له في ملك البصرة، وأنزله منزل المصافاة حتى كان يجبر عليه. وسخط مرة على سرخاب بن كيخسدو وصاحب ساوة فلجأ إليه مستجيرا به فأجاره، وطلبه السلطان فمنعه. وكان العميد أبو جعفر يستبدله السلطان لكثرة السعاية، ويغريه به وينكر دالته وتبسطه فتعين السلطان وسار إلى العراق، وأرسل إلى صدقة فاستشار صدقة أصحابه، فأشار ابنه دبيس بملاطفته واستعطافه بالهدايا، وأشار سعيد بن حميد صاحب جيشه بالمحاربة فجنح إلى رأيه، واستطال في الخطاب، وجمع الجند وأفاض فيهم العطاء، واعترضهم فكانوا عشرين ألف فارس، وثلاثين ألف راجل. وبعث إليه المستظهر مع علي بن طراد الزينبي نقيب النقباء يعظه في المخالفة، ويحضه على لقاء السلطان فاعتذر بالخوف منه.

ثم بعث إليه السلطان قاضي القضاة أبا سعيد الهروي ليؤمنه ويستنفره لجهاد الفرنج في جملته فامتنع، ووصل السلطان إلى بغداد في ربيع من سنة إحدى وخمسمائة، ومعه وزيره أحمد بن نظام الملك، فقدم البرسقي شحنة بغداد في جماعة من الأمراء فنزلوا بصرصر مسلحة لقلة عسكر السلطان. وإنه إنما جاء في ألفي فارس للإصلاح والاستئلاف، فلما تبين له لجاج صدقة أرسل إلى الأمراء بأصفهان بأن يستجيشوا ويقدموا فكتب صدقة إلى الخليفة بالمقاربة وموافقة السلطان. ثم رجع صدقة عن رأيه وقال: إذا رحل السلطان عن بغداد مددته بالأموال والرجال لجهاده. وأما الآن وعساكره متصلة فلا وفاق عندي، وقد أرسل إلى جاولى سكاو، وصاحب الموصل، وابلغازي بن أرتق صاحب ماردين بالانتقاض على السلطان. وأيس السلطان من استقامته.

ووصل إليه ببغداد قراوش شرف الدولة وكروباوي بن خراسان التركماني وأبو عمران فضل بن ربيعة بن خادم بن الجرج الطائي، وكان آباؤه أصحاب البلقاء وبيت المقدس، ومنهم حسان بن مفرج، وطرده كفرتكين أتابك دمشق لما كان عليه من الأجلاب تارة مع الفرنج وتارةً مع أهل مصر. فلجا إلى صدقة وقبله وأكرمه وأجزل له العطاء سبعة آلاف دينار. فلما كانت هذه الحادثة رغب عن صدقة وسار في طلائعه فهرب إلى

السلطان فخلع عليه وعلى أصحابه، وسوغه دار صدقة عن الهروب. وأذن له فعبر من الأنبار، وكان آخر العهد به.

ثم أنفذ السلطان في جمادى الأولى إلى واسط الأمير محمد بن بوقا التركماني فملكها، وأخرج منها أصحاب صدقة، وأنفذ خيله إلى بلد قوسان من أعمال صدقة فنهبه، وأقام أياما حتى بعث صدقة ابن عمه ثابت بن سلطان في عسكر فخرج منها الأمير محمد وملكها ثابت، وأقاموا على دجلة. وخرج ثابت لقتالهم فهزموه واقتحموا البلد. ومنعهم الأمير محمد من النهب ونادى بالأمان. وأمر السلطان الأمير محمدا بنهب بلاد صدقة فسار إليها، وأقطع مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقي.

ثم سار السلطان من بغداد آخر رجب، ولقيه صدقة، واشتد القتال وتخاذلت عنه عبادة وخفاجة. ورفع صوته بالابتهال بالناشرة بالعرب، ورغب الأكراد بالمواعد. ثم غشيه الترك فحمل عليهم وهو ينادي: أنا ملك العرب، أنا صدقة، فأصابه سهم أثبته، وتعلق به غلام تركي يسمى برغش فجذبه إلى الأرض. فقال يا برغش ارفق فقتله وحمل رأسه إلى السلطان فأنفذه إلى بغداد، وأمر بدفن شلوه. وقتل من أصحابه ثلاثة آلاف أو يزيدون، ومن لني شيبان نحو مائة، وأسر ابنه دبيس، ونحا ابنه بدران إلى الحلة، ومنها إلى البطيحة عند صهره مهذب الدولة. وأسر سرجان بن كيخسرو والمستجير بصدقة على السلطان، وسعيد بن حميد العمدي صاحب الجيش.

وكان مقتل صدقة لإحدى وعشرين سنة من إمارته وهو الذي بنى الحلة بالعراق.

وكان قد عظم شأنه وعلا قدره بين الملوك، وكان جواداً حليماً صدوقاً عادلا في رعيته. وكان يقرأ ولا يكتب، وكانت له خزانة كتب منسوبة الخط ألوف مجلدات، ورجع السلطان إلى بغداد من دون الحلة، وأرسل أمانا لزوج صدقة فجاءت إلى بغداد. وأمر السلطان الأمراء بتلقيها، وأطلق لها ولدها دبيساً، واعتذر

لها من قتل صدقة. واستحلف دبيساً على الطاعة، وأن لا يحدث حدثاً. وأقام في ظله وأقطعه السلطان إقطاعاً كثيراً.

ولم يزل دبيس مقيماً عند السلطان محمد إلى أن توفي، وملك ابنه محمود سنة إحدى عشرة فرغب دبيس من السلطان محمود أن يسرحه إلى بلده فسرحه، وعاد إليها فملكها واجتمع عليه خلق كثير من العرب والأكراد واستقام أمره.

خبر دبيس مع البرسقي ومع الملك مسعود:

لما توفي الخليفة المستظهر سنة إثنتي عشرة، وبويع ابنه المسترشد خاف ابنه الآخر من غائلة أخيه، وانحدر في البحر إلى المدائن، وسار منها إلى الحلّة فأبى أن يكرهه فتلطف علي بن طراد لأخي الخليفة فأجاب، وتكفل دبيس بما يطلبه. وبينما هو في خلال ذلك برز البرسقي من بغداد مجلباً على دبيس الجموع، وسار أخو الخليفة إلى واسط فملكها في صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وقوي أمره وكثرت جموعه فبعث الخليفة إلى دبيس في شأنه، وأنه خرج عن جواره فلقي أمره بالطاعة، وبعث إليه وهو بواسط عسكراً من قبله فتلقاه وقبض عليه، وبعثه إلى أخيه المسترشد.

وكان مسعود أخو السلطان محمد بالموصل، ومعه أتابكه حيوس بك فاعتزما على قصد العراق لغيبة السلطان محمود عنه، فسار لذلك ومعه وزيره فخر الملك أبو عليّ بن عمّار صاحب طرابلس، وقسيم الدولة زنكي بن اقسنقر أبو المعالي أبو الملك العادل، وكروباوي بن خراسان التركماني صاحب البواريح، وأبو الهيجاء صاحب أربل، وصاحب سنجار فلما قاربوا بغداد خاف البرسقي شأنهم. وبعث إليه الملك مسعود وحيوس بك أنهم إنما جاؤوا نجدة على دبيس.

وكان البرسقي إنما ارتاب من حيوس بك فصالحهم، ودخل مسعود بغداد، ونزل دار المملكة. وجاء منكبرس في العساكر فسار البرسقي عن بغداد لمحاربته ودفاعه فمال إلى النعمانية، وعبر دجلة. واجتمع مع دبيس بن صدقة. وكان دبيس قد صانع مسعوداً وصاحبه بالهدايا والالطاف مدافعة عن نفسه، فلما لقيه منكبرس اعتضد به، وسار الملك مسعود

والبرسقي وحيوس بك إلى المدائن للقائهما. ثم خاموا عن لقائهما لكثرة جموعهما، ونكبوا عن المدائن وعبروا نهر صرصر، وأكثروا النهب في تلك النواحي من الطائفتين. وبعث إليهم المسترشد بالموعظة، ويأمرهم بالموادعة والمصالحة فأجابوا إلى ذلك. ثم بلغهم أن دبيساً ومنكبرس قد بعثا العساكر مع منصور أخي دبيس، وحسين بن أوزبك ربيب منكبرس ليخالفوهم إلى بغداد فخلوها من الحامية، فأغذ البرسقي، السير إلى بغداد، وترك ابنه عزّ الدين مسعود على العسكر، وصحبه عماد الدين زنكي بن اقسنقر. وانتهى إلى ديالي، ومنع العسكر من العبور.

ثم جاءه الخبر ليومين بصلح الفريقين كما اشار الخليفة ففتر نشاطه، وعبر إلى الجانب الغربيّ من بغداد. وجاء في أثره منصور أخو دبيس، وحسين ربيب منكبرس فنزلا في الجانب الشرقي من بغداد. وأغار البرسقي على نعم الملك مسعود فأخذها، وعاد فخيم بجانب آخر من بغداد، وخيّم مسعود وحيوس بك من جانب آخر، ودبيس ومنكبرس من جانب ومعهما عز الدولة بن البرسقي منفرداً عن أبيه. وكان حيوس بك قد بعث إلى السلطان محمود بطلب الزيادة له وللملك مسعود فجاء كتاب مع رسوله يذكر بأن السلطان كان أقطعهم أذربيجان، حتى إذا بلغه مسيرهم إلى بغداد تثاقل عن ذلك، وقد جهّز العساكر إلى الموصل. ووقع الكتاب بيد منكبرس فبعث إلى حيوس بك، وضمن له إصلاح الحال. وكان يؤثر مصلحته إذ كان متزوّجاً بأمّه فتّم الصلح، وافترق عن البرسقي أصحابه، وبطل ما كان يحدّث به نفسه من الاستبداد بالعراق. وصار مع الملك مسعود، واستقر منكبرس شحنة ببغداد، ورجع دبيس إلى الحلة.

فتنة دبيس مع السلطان محمود وإجلاؤه عن بغداد ثم معاودته الطاعة:

كان دبيس بن صدقة كثيراً ما يكاتب حيوس بك أتابك الملك مسعود، ويغريه بطلب السلطنة، ويعده بالمساعدة ليحصل له بذلك علوّ اليد، كما كان لأبيه مع بركيارق ومحمد إبني ملك شاه. وكان قسيم الدولة البرسقي شحنة بغداد قد سار للملك مسعود، وأقطعه مراغة مع الرحبة. وكانت بينه

وبين دبيس عداوة مستحكمة فأغراهم دبيس بالقبض عليه، ففارقهم البرسقي إلى السلطان محمود فأكرمه. ثم

اتصل الأستاذ أبو إسماعيل الحسين بن عليّ الأصفهاني بالملك مسعود، وكان ولده أبو المؤيد محمد يكاتب الطغرائي عن الملك مسعود. فلمّا وصل ابوه عزل أبا علي بن عمّار صاحب طرابلس واستوزره. وحسن لهم ما أشار به دبيس فعزموا عليه.

ونمي الخبر إلى السلطان محمود فكاتبهم بالوعيد فأظهروا أمرهم وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة، وضربوا له النوب الخمس. وبلغهم ان عساكر محمود متفرقة فاغذوا السير لمحاربته، والتقوا عند عقبة استراباد في ربيع سنة أربع عشرة، وأبلى البرسقي، وكان في مقدمته. ثم انهزم مسعود، وامر كثير من أصحابه وجيء بالوزير أبي إسماعيل الطغرائي فأمر بقتله لسنة من ولايته، وكان حسن الكتابة والشعر، وله تصانيف في صنعة الكيمياء. وسار مسعود يطلب الموصل بعد أن استأمن البرسقي، وأدركه فرده إلى أخيه، وعفا عنه وعطف عليه. ولحق حيوس بك بالموصل. ثم بلغه فعل السلطان محمود، ومعه ألف سفينة لعبوره فبادر دبيس لطلب الأمان، بعد أن أرسل حرمه إلى البطيحة. وسار بأمواله عن الحلّة وأمر بنهبها. ولحق بأبلغازي بن أرتق بماردين، ووصل السلطان إلى الحلة فوجدها خاوية على عروشها فرجع عنها.

وأرسل دبيس أخاه منصوراً من قلعة صفد في عسكر إلى العراق فمر بالحلة والكوفة، وانحدر إلى البصرة، وبعث إلى برتقش الزكوي في صلاح حالهما مع السلطان محمود فقبض على منصور أخي دبيس وولده، وحبسهما ببعض القلاع حذاء الكرخ. ثم أذن دبيس لجماعة من أصحابه بالمسير إلى إقطاعهم بواسط فمنعهم أتراك واسط، فبعث إليهم عسكراً مع مهلهل بن أبي العسكر، وأمر مظفر بن أبي الخير فساعده، واستمدّ أهل واسط البرسقي فأمدّهم بعسكر. وسار مهلهل للقائهم قبل مجيء المظفر فهزم وأخذ أسيراً في جماعة من أصحابه.

وأصعد المظفر من البطيحة ينهب ويفسد، حتى قارب واسط. وسمع بالهزيمة فأسرع منحدراً. ووقع على كتاب بخط دبيس إلى مهلهل يأمره بالقبض على مظفّر بن أبي الخير ومطالبته بالاموال فبعثوا به إلى المظفر. وسار معهم وبلغ دبيساً أن السلطان كحل أخاه فلبس السواد، ونهب البلاد،

وأخذ للمسترشد بنهر الملك، وأجفل الناس إلى بغداد. وسار عسكر واسط إلى النعمانية فاوقعوا بمن هنالك من عساكر دبيس، واجلوهم

عنها. وكان دبيس قد أسر في واقعة البرسقي عفيفاً خادم الخليفة فأطلقه، وحمله إلى المسترشد عقاباً ووعيدا على كحل أخيه فغضب الخليفة، وتقدم إلى البرسقيّ بالخروج لحرب دبيس، وخرج بنفسه في رمضان سنة عشرة. وأتاه سليمان بن مهارش من الحديثة في جماعة من بني عقيل، وقريش بن مسلم صاحب الموصل في كافة بني عقيل.

وأمر المسترشد باستنفار الجند كافة، وفرّق فيهم الاموال والسلاح. وجاء دبيساً مالم يكن يحتسبه فرجع إلى الاستعطاف وبرز الخليفة آخر ذي الحجّة، وعبر دجلة، وهو في أكمل زيّه، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك، ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء عليّ بن طراد، وشيخ الشيوخ صدر الدين إسماعيل. وبلغ البرسقي مسير المسترشد فعاد إلى خدمته، ونزل معه بالحديثة. ثم سار إلى الموصل على سبيل التعبية، والبرسقي في المقدّمة، وعبّى دبيس أصحابه صفا واحدا. وجعل الرجالة بين يدي الخيالة. وقد كان وعد أصحابه بنهب بغداد، وسبي حريمها فالتقى الفريقان فانهزم عسكر دبيس، وأسر جماعة من أصحابه فقتلوا صبراً وسبيت حرمه، ورجع المسترشد إلى بغداد يوم عاشوراء من سنة سبع عشرة.

ونجا دبيس، وعبر الفرات، وقصد غزنة من عرب نجد مستنصراً بهم فأبوا عليه، فسار إلى المنتفق وحالفهم على أخذ البصرة فدخلوا ونهبوا أهلها، وقتل مقدم عسكرها. وبعث المسترشد إلى البرسقي بالعتاب على إهمال أمر البصرة، فتجهز البرسقي للانحدار إليها ففارقها دبيس، ولحق بقلعة جعبر. وصار مع الفرنج وأطعمهم في حلب، وسار معهم لحصارها سنة ثمان عشرة فامتنعت عليهم فعادوا عنها، ولحق هو بالملك طغرلبك بن السلطان محمد فأغراه بالمسير إلى العراق كما نذكر.

مسير دبيس إلى الملك طغرل:

لما سار دبيس من الشام إلى الملك طغرل بأذربيجان تلقاه بالمبرّة والتكرمة، وأنظمه في خواصّه ووزرائه. وأغراه دبيس بالعراق، وضمن له ملكه فسار معه لذلك، وانتهوا

إلى دقوقا في عساكر كثيرة. وكتب مجاهد الدين بهروز صاحب تكريت إلى المسترشد بالخبر فتجهّز لمدافعتهم، وجمع العساكر فبلغوا اثني عشر ألف فارس، وبرز من بغداد في صفر سنة تسع عشرة، وفي مقدّمته برتقش الزكوي ونزل الخالص. وانتهى إلى طغرل خروج المسترشد فعدل إلى طريق خراسان ونزل جلولاء، وتفرق أصحابه للنهب. وبرز إليه الوزير جلال الدين بن صدقه في عسكر كبير فنزل الدسكرة ، ولحقه المسترشد، وكان معه. ورحل طغرل ودبيس إلى الهارونيّة. ثم سارا إلى تامرّا ليقطعا جسر النهروان فحفظ دبيس المعابر، وتقدّم إلى بغداد وتملكها ونهبها.

ثم رحل دبيس من تامرّا، واقام طغرل لحمّى أصابته، وحالت بينهما الامطار والسيول. ثم أخذ دبيس ثقلاً جاء للخليفة فيه ملبوس وطعام كثير، وكان لحقه الجوع والتعب والبرد فاخذ من ذلك الملبوس ولبسه، واكل من الطعام كثيراً. واستقبل الشمس فاخذه النوم ورقد. وأما الخليفة لما بلغه الخبر باخذ الثقل رجع إلى بغداد، ففي حال سيره عثر على دبيس وهو نائم فوقف وأيقظه فحّل عينيه ورأى الخليفة فبادر بتقبيل الأرض على العادة، وسأل العفو فرقّ له الخليفة، وثناه الوزير بن صدقة عن ذلك، ووقف دبيس أزاء عسكر برتقش يحادثهم. ثم مدّوا الجسر آخر النهار للعبور فتسلل دبيس عنهم، ولحق بالملك طغرل، وسار معه إلى عمه الملك سنجر، وعاثوا في أعمال همذان، واتبعهم السلطان محمود فلم يظفر بهم.

مسير دبيس إلى السلطان سنجر:

لما أيس طغرل من ملك العراق عندما سار إليه مع دبيس عاد منه، وسار هو ودبيس إلى السلطان سنجر، وهو يومئذ صاحب خراسان، والمتقدّم علي بني ملك شاه فشكا إليه طغرل ودبيس من المسترشد، وبرتقش الشحنة، ووعدهم النصفة منهم. ثم داخله دبيس وأطعمه في ملك العراق. وخيّل له أن المسترشد والسلطان محمود متفقان على مباعدته، ولم يزل يفتل له في الذروة والغارب حتى حرّك حفيظته

لذلك، وسار إلى العراق سنة إثنتين وعشرين فوصل إلى الريّ، واستدعى السلطان محموداً من همذان يختبر ما خيل له دبيس، فجاء محمود مبادراً وأكذب دبيساً فيما خيل. وأمر السلطان سنجر العساكر بتلقي السلطان محمود، وأجلسه معه على التخت. وأقام عنده إلى آخر سنة إثنتين وعشرين، ثم عاد إلى خراسان، وأوصاه بإعادة دبيس إلى بلده فرجع السلطان محمود إلى همذان، ودبيس معه. ثم سار إلى بغداد في محّرم سنة ثلاث وعشرين، وأنزل دبيس بداره، واسترضى له الخليفة فرضي عنه، وامتنع من ولايته، وبذل دبيس مائة ألف دينار لذلك فلم يقبله، وعاد السلطان محمود إلى همذان منتصف السنة.

فتنة دبيس مع محمود وأسره:

كانت زوجة السلطان محمود وهي إبنة عمّه سنجر تعين بأمر دبيس، فماتت عند رحيل السلطان إلى همذان فانحل أمره. ثم مرض السلطان فأخذ دبيس ابنه الصغير، وقصد العراق فجمع المسترشد لمدافعته. وكان بهروز شحنة بغداد بالحلّة فهرب عنها، وملكها دبيس في رمضان سنة ثلاث وعشرين. وبلغ الخبر إلى السلطان صمود فأحضر الأمير ابن قزل والأحمديلّي، وكانا ضمنا دبيس فطالبهما بالضمان، فسار الأحمديلي في أثره. وجاء السلطان إلى العراق فبعث إليه دبيس بهدايا عظيمة كان فيها مائتا ألف دينار، وثلاثمائة فرس بسروج مثقلة بالذهب. ثم جاء إلى البصرة ونهبها وأخذ ما في بيوت الأموال.

وبعث السلطان في أثره العساكر فدخل البرية، وجاءه عند مفارقته البصرة قاصداً من صرصر يستدعيه، وكان صاحبها خصياً فتوفي في هذه السنة، وخلف سرية له فاستولى على القلعة، وأرادت أن تتم أمرها برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس، وحاله في العراق وكثرة عشيرته، فكتبت تستدعيه لتتزوج به، وتملكه القلعة بما فيها فلحقه الكتاب بعد مفارقته البصرة. وقفل من العراق إلى الشام ومعه الادلاّء، ومر بدمشق فحبسه واليها عنده، وبعث فيه عماد الدين زنكي، وكان عدوه. وكان عنده ابن تاج الملوك مأسوراً في واقعة كانت بينهما فطلب أن يبعث إليه دبيس، ويفادى

به ابنه والأمراء الذين معه ففعل ذلك تاج الملوك وحصل دبيس في يد زنكي، وقد أيقن بالهلاك فأطلقه زنكي، وحمل له

الأموال والدواب والسلاح وخزائن الأمتعة كما يفعل مع أكابر الملوك. وبلغ المسترشد خبره فبعث سديد الدين ابن الأنبار يطلبه من تاج الملوك فسار لذلك من جزيرة ابن عمر، وبلغه في طريقه أنه بعثه إلى زنكي وأنه فاته القصد منه.

مسير دبيس إلى بغداد مع زنكي وانهزامهما:

لما توفي السلطان محمود سنة خمس وعشرين، وولي بعده داود، ونازعه عمومته مسعود وسلجوق، ثم استقّرت السلطنة لمسعود، وكان أخوهما طغرل عند عمّه سنجر بخراسان، وكان كبير بيت أهل السلجوقيّة، وله الحكم على ملوكهم فنكر على السلطان محمود لقتاله سلجوق وطغرل، وسار به إلى العراق، وانتهى إلى همذان. وبعث إلى عماد الدين زنكي فولّاه شحنة بغداد، وإلى دبيس بن صدقة وهو عند زنكي فأقطعه الحلّة. وتجهز السلطان محمود لقتال سنجر وطغرل، واستدعى الخليفة للحضور معه فخرج من بغداد وعاجلهم، ورجع المسترشد إلى بغداد، وقد سمع بوصول زنكي ودبيس إليها، ولقيهم بالعبّاسيّة فهزمهم وقتل من معسكرهم ودخل بغداد. وسار دبيس إلى بلاد الحلة، وكانت بيد أقيال المسترشد فبعث إليها بالمدد فهزموا دبيساً، ونجا من المعركة. ثم جمع جمعاً وقصد واسط وانضمّ إليه عسكرها وابن أبي الخير صاحب البطيحة، وملكها إلى سنة سبع وعشرين فبعث إقبال الخادم، وبرتقش الشحنة العساكر إلى دبيس فلقيهم في عسكر واسط، وانهزم، وسار إلى السلطان مسعود فأقام عنده.

مقتل دبيس وولاية ابنه صدقة:

لم يزل دبيس مقيماً عند السلطان مسعود إلى أن حدثت الفتنة بينه وبين المسترشد، ومات أخوه طغرل كما هو مذكور في أخبارهم. وسار مسعود إلى همذان بعد موت أخيه طغرل فملكها، وفارقه جماعة من أعيان أمرائه، ومعهم دبيس بن صدقة مستوحشين منه واستأمنوا للخليفة فحذر من دبيس، ولم يقبلهم فمضوا إلى

خوزستان، واتفقوا مع برسق بن برسق. ثم تدارك الخليفة رأيه، وبعث إلى الأمراء الذين مع دبيس بالأمان، وكانوا لما ردّهم الخليفة بسبب أجمعوا القبض عليه، وخدمة الخليفة به. وشعر بهم وهرب إلى السلطان مسعود وبرز الخليفة من بغداد في رجب من سنة تسع وعشرين لقتال مسعود، وكتب إليه أكثر أهل الأعمال بالطاعة.

وأرسل إليه داود بن السلطان محمود من أذربيجان بأن يقصد المسترشد الدّينور ليحضر داود حربه فأبى، وسار على التعبية حتى بلغ وأعرج فالتقوا هنالك. وانهزمت عساكر المسترشد، وأخذ أسيراً ومعه وزيره شرف الدين عليّ بن طراد، وقاضي القضاة، وابن الأنباري أعيان الدولة. وغنم ما في عسكره ؛ وعاد السلطان إلى بغداد. وبعث الأمير بكاية شحنة إلى بغداد، وكثر العويل والبكاء والضجيج ببغداد على الخليفة. وجعل الخليفة في خيمة، ووكّل به، وراسله السلطان مسعود في الصلح، وشرط عليه مالاً يؤدّيه، ولا يجمع العساكر ولا يخرج من داره ما بقي، وانعقد ذلك بينهما. وبينما هما في ذلك وصل رسول السلطان سنجر فركب السلطان مسعود للقائه، وافترق المتوكّلون بالمسترشد فدخل عليه خيمته آخر ذي القعدة من سنة تسع وعشرين جماعة الباطنية، وقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه.

ولما قتل المسترشد اتهم السلطان مسعود أن دبيس بن صدقة دسّ أولئك النفر عليه فأمر بقتله، وقصده غلام فوقف على رأسه عند باب خيمته، وهو ينكث الأرض بإصبعه فأطار رأسه وهو لا يشعر. وبلغ الخبر إلى ابنه صدقة وهو بالحلّة فاجتمعت إليه عساكر أبيه

ومماليكه، واستأمن إليه الأمير قطلغ تكين، وأمر السلطان مسعود الشحنة بك أبه بمعاجلته، وأخذ الحلّة من يده، إلى أن قدم السلطان بغداد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فقصده صدقة، وأصلح حاله معه ولزم بابه.

مقتل صدقة وولاية ابنه محمد:

ولما قتل المسترشد ولي ابنه الراشد بإشارة السلطان مسعود، ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان مسعود، وأغراه بها عماد الدين زنكي صاحب الموصل، ومعه الراشد.

وبايع السلطان مسعود للمقتفي سنة ثلاثين، وخلع الراشد ففارق الموصل، وسار الأمراء الذين كانوا مع داود إلى السلطان مسعود، ورضي عنهم. ورجع إلى همذان وأذن للعساكر في العود إلى بلادهم، وتمسّك بصدقة بن دبيس، وزوّجه ابنته وسار الراشد من الموصل إلى أذربيجان قاصداً الملك، واجتمع إليه صاحب فارس وخوزستان وجماعة الأمراء فسار إليهم السلطان مسعود وهزمهم، وأخذه صاحب فارس الأمير منكبرس فقتله صبراً. تسلل صاحب خوزستان وعبد الرحمن طغايرك صاحب خلخال إلى السلطان مسعود وهو في خف من الناس فحملوا عليه وهزموه، وقبضوا على جماعة من الأمراء الذين معه فقتله منكبرس: فيهم صدقة بن دبيس، وعنبر بن أبي العسكر. وذهب داود إلى همذان فملكها، واستقال السلطان مسعود من عثرته، وولّى على الحلّة محمد بن دبيس، وجعل معه مهلهل بن أبي العسكر أخا نمير بربرة، واستقام أمره بالحلّة، وكان من شأن الراشد والسلجوقية ما نذكره في أخبارهم.

تغلب علي بن دبيس علي الحلة وملكه إياها من أخيه محمد:

ثم خرج على السلطان مسعود سنة ست وأربعين وخمسمائة بوزاية صاحب فارس وخوزستان وبايع للسلطان محمد ابن السلطان محمود، وسار كل مهم عبّاس صاحب الريّ وملكوا كثيراً من البلاد فسار السلطان مسعود إليهم من بغداد، واستخلف بها الأمير مهلهل بن أبي العسكر ونظر الخادم، وأشار مهلهل على السلطان مسعود عند رحيله من بغداد أن يحبس عليّ بن دبيس بقلعة تكريت. ونمي إليه الخبر فهرب في نفر قليل، ومضى إلى بني أسد فجمعهم فسار إلى الحلّة، فبرز إليه محمد أخوه فهزمه علي، وملك الحلّة، واست كان السلطان أمره أوّلا فاستفحل وضم إليه جمعاً من غلمانه وغلمان أبيه، وأهل بيته

وعساكرهم، وكثر جمعهم فسار إليه مهلهل فيمن معه في بغداد من العسكر، وضربوا عليه مصافاً وكسرهم، وعادوا منهزمين إلى بغداد. وكان أهلها يتعصّبون لعلي بن دبيس فكانوا يعيطون إذا ركب مهلهل أو بعض أصحابه يا عليّ كله، فكثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب، ويد علي فوق كل يد

في أوضاع الأمراء بالحلة وتصرّف فيها. وصار شحنه بغداد ومن فيها على وجل منه، ووضع الخليفة الحامية على الأسوار، وأرسل إلى علي يحضه على الاستقامة فأجاب بالآمال والطاعة فسكن الناس.

أخذ السلطان الحلة من يد علي وعوده إليها:

كان علي بن دبيس كثير العسف بالرعية والظلم لهم، وارتفعت شكوى الرعية به إلى السلطان مسعود سنة إثنتين وأربعين وخمسمائة فأشكاهم، وأقطع الحلّة سلاركرد فسار إليها من همذان. وجمع عسكراً من بغداد وقصد الحلّة، واحتاط على أهل علي، وأقام بالحلة في مماليكه وأصحابه. ورجعت عنه العساكر؛ ولحق عليّ بن دبيس بالتقشكنجر وكان في اقطاعه باللحف متجنياً على السلطان مسعود فاستنجده عليّ فأنجده، وسار معه إلى واسط، وسار معهما الطرنطاي صاحب واسط فانتزعوا الحلّة من سلاركرد، ورجع إلى بغداد آخر إثنتين وأربعين واستولى عليّ على الحلّة.

نكبة علي بن دبيس:

ثم انتقض على السلطان مسعود سنة أربع وأربعين جماعة من الأمراء: منهم التقشكنجر والطرنطاي وعليّ بن دبيس، وبايعوا ملك شاه ابن السلطان محمود، وساروا به إلى العراق، وراسلوا المقتفي في الخطبة له فامتنع، وجمع العساكر وحصن بغداد. وأرسل إلى السلطان مسعود بالخبر فشغل عنهم بلقاء عفه السلطان سنجر، كان سار إليه بالريّ. ولما علم التقشكنجر بذلك نهب النهروان وقبض على عليّ بن دبيس، وهرب الطرنطاي إلى النعمانية. ثم وصل السلطان مسعود إلى بغداد فرحل التقشكنجر من النهروان، وأطلق عليّ بن دبيس فسار إلى السلطان مسعود فلقيه ببغداد، واستعطفه فرضي عنه.

وفاة علي في دبيس وانقراض بني مزيد:

ثم توفي علي بن دبيس صاحب الحلّة عليلًا بسعد اباد، واتهم طبيبه محمد بن صالح بالإدهان فيه فمات بعده بقليل. ثم مات السلطان مسعود آخر ملوك السلجوقية الأعاظم، وبويع ملك شاه ابن أخيه محمود بعهده. واستبدّ المقتفي على ملوك السلجوقية بعده. وبعث السلطان ملك شاه سلاركرد إلى الحلّة فملكها، ولحق به مسعود بلاك شحنة بغداد، هرب منها عند موت السلطان مسعود، وأظهر لسلاركرد الوفاق. ثم قبض عليه وغرقه، واستبدّ بالحلّة، وبعث المقتفي إليه العساكر مع الوزير عون الدين بن هبيرة فبرز مسعود بلاك للقائهم، فانهزم وعاد إلى الحلة فمنعه أهلها من الدخول، فسار إلى تكريت، وملك ابن هبيرة الحلّة، وبعث العساكر إلى الكوفة وواسط فملكوها. ثم جاءت عساكر السلطان ملك شاه إلى واسط، وخرجت منها عساكر المقتفي إلى واسط فملكها، ثم إلى الحلة كذلك. ثم عاد إلى بغداد آخر ذي القعدة سنة سبع وأربعين وخمسمائة،

ثم قبض الأمراء على مالك شاه سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وبايعوا لأخيه محمد، وطلب الخطبة من المقتفي فمنع منها، فسار السلطان محمد بن محمود إلى العراق سنة إحدى وخمسين. واضطرب الناس ببغداد، واهتم المقتفي بالاحشاد، وجاءته عساكر واسط. وبعث السلطان مهلهل بن أبي العسكر إلى الحلة فملكها، وحاصر السلطان محمد بغداد سنة إثنتين وخمسين وخمسمائة، وامتنعت عليه فرجع وتوفي المقتفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وبويع ابنه المستنجد، واستبدّ بأمره كما كان أبوه. ومنع خطبة السلجوقيّة من بغداد، وكان في نفسه شيء من بني أسد لاجلابهم على بغداد مع مهلهل بن أبي العسكر، أيام حصار السلطان محمد لها فأمر بردن بن قماج بقتالهم واجلائهم، وكانوا منتشرين في البطائح، ولا يقدر عليهم، وجمع عساكره وبعث عن ابن معروف مقدم المنتفق من أرض البصرة فجاءه في جمع كبير، وحاصرهم حتى انحسر الماء عنهم. وأبطأ أمرهم على المستنجد، فبعث إلى بردن يعاتبه وينسبه إلى موافقتهم في التشيع فجهد هو وابن معروف في قتالهم، وسدّ مسالكهم في الماء،

واستسلموا فقتل منهم أربعة الاف، ونودي عليهم بالجلاء من الحلّة فافترقوا في البلاد، ولم يبق منهم

بالعراق من يعرف، وسلمت بطائحهم وبلادهم إلى ابن معروف والمتقي وانقرضت دولة بني مزيد والبقاء لله.

ملوك العجم القائمين بالدعوة العباسية

الخبر عن ملوك العجم القائمين بالدعوة العباسية في ممالك الإسلام والمستدين ين علي الخلفاء ونبدأ منهم أولا بدولة ابن طولون بمصر وبد اية أمرهم ومصائر أحوالهم

قد تقدّم لنا عند ذكر الفتوحات فتح مصر على يد عمرو بن العاص، سنة عشرين من الهجرة في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بإذنه، وولّاه عليها، وافتتح ما وراءها في المغرب إلى طرابلس وودان وغذامس حسبما ذلك مذكور هنالك. وأقام عمرو في ولايتها أيام عمر كلّها. وولّى عثمان على الصعيد عبد الله بن أبي سرح، وأفردها بالولاية، وكان يعدو على عمرو فغضب عمرو، وأبى من الرجوع إلى ولاية مصر، فضمها عثمان لعبد الله بن أبي سرح وولّاه عليها. وكانت في أيامه غزوة الصواري، جاءت مراكب الروم من القسطنطينية في ألف مركب، ونزلوا بسواحل الإسكندرية. وانتقض أهل القرى، ورغب أهل الإسكندرية من عثمان أن يمدّهم بعمرو بن العاص فبعثه، وزحف إليهم في العرب ومعه المقوقس في القبط؟ وخرجوا من البحر ومعهم من انتقض من أهل القرى ففتح الله على المسلمين، وهزموا الروم إلى الإسكندريّة.

وأمضى عمرو في قتلهم، ورد على أهل القرى ما غنم المسلمون منهم، وعذرهم بالاكراه، ورجع إلى المدينة. وأقام عبد الله في ولايتهم وغزا إفريقية وافتتحها. ثم غزا بلد النوبة، ووضع عليهم الجزية المعروفة الباقية على الأيام، وذلك سنة إحدى وثلاثين. ثم كان من بعد ذلك يبعث معاوية بن خديج فيفتح ويثخن إلى أن استملك فتح إفريقية. ووفد على عثمان آخر أيامه عندما اهتاجت الفتنة، وكثر الطعن عليه من جماعة جند مصر يتعلّلون بالشكوى من ابن أبي سرح مع وفد من الجند شاكين من عمّالهم بالأمصار. وعزله عثمان يسترضيهم به فكانت قضية الكتاب المنسوب إلى مروان، وحصارهم عثمان بداره.

وخرج عبد الله من مصر

مددا لعثمان فخالفه محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة إلى مصر، وانتزى بها. ورجع عبد الله من طريقه فمنعه الدخول فسار إلى عسقلان، وأقام بها حتى قتل عثمان. ثم سار إلى الرملة وكانت من مهماته فأقام بها هربا من الفتنة، حتى مات ولم يبايع علياً ولا معاوية. ثم قتل عمرو بن العاص محمد بن أبي حذيفة، وفي كيفية قتله إياه اضطراب. ثم ولى علي على مصر قيس بن سعد بن عبادة، وكان ناصحاً له شديداً على عدّوه، واستماله معاوية في الردّ عليه. وأشاع معاوية خلاف ذلك عنه فعزله عليّ من أجل ذلك، وولى بعد ذلك الأشتر النخعي، وإسمه مالك بن الحارث بن يغوث بن سلمة بن ربيعة بن الحارث بن خزيمة بن سعد بن مالك بن النخع. وسار إليها فمات بالقلزم قريبها منها سنة سبع وثلاثين، فولّى علي مكانه محمد بن أبي بكر، وكان نشأ في حجره.

ثم بعث معاوية إلى عمرو بن العاص، وهو بفلسطين قد اعتزل الناس بعد مقتل عثمان، واستماله، واجتمع معه على قتال علي وولاه مصر فسار إليها بعد انقضاء أمر صفّين وأمر الحكمين. وطلب معاوية الخلافة، وقد اضطرب الامر على محمد ابن أبي بكر، وخرج عليه معاوية بن خديج السّكونيّ مع جماعة من العثمانية بنواحي مصر فكاتب عمرو العثمانية، وسرّح الكتائب إلى مصر، وفي مقدّمتها معاوية بن خديج فهزموا عساكر محمد، وافترق عنه أصحابه وقتل كما هو معروف في أخباره، ودخل عمرو بن العاص الفسطاط، وملك مصر إلى سنة ثلاث وأربعين فتوفي، وملك مكانه ابنه عبد الله. ثم عزله معاوية وولّى أخاه عتبة بن أبي سفيان، ولوفي سنة أربع وأربعين، وولّى مكانه عقبة بن عامر الجهنيّ، ثم عزله سنة سبع وأربعين وولي مكانه معاوية بن خديج.

ثم اقتطع عنه إفريقية سنة خمسين، وولّى عليها عقبة بن نافع ثم جمع مصر وإفريقية لمسلمة بن مخلد الأنصاري، فبعث مسلمة على إفريقية مولاه أبا المهاجر، وأساء عزل عقبة كما هو معروف. ثم مات معاوية، وولى ابنه يزيد، واضطربت الأمور، وبويع عبد الله بن الزبير بمكة وانتشرت دعوته في الممالك الإسلامية، فبعث على مصر عبد الرحمن بن جحدم القرشيّ،

وهو عبد الرحمن بن عقبة بن أياس بن الحارث بن عبد بن أسد بن جحدم الفهريّ، ثم بويع مروان، وانتقض ابن الزبير، وسار مروان إلى

مصر فأخرج منها عبد الرحمن بن جحدم، وولّى عليها عمر بن سعيد الاشدق. ثم بعثه للقاء مصعب بالشام، وولّى مكانه على مصر ابنه عبد العزيز بن مروان. ثم هلك سنة خمس، وكان مروان قد مات فولي مكانه ابنه عبد الله بن عبد الملك، ثم عزله الوليد سن تسع وثمانين، وولّى عليها مرّة بن شريك بن مرة بن الحارث العبسيّ، ومات سنة خمس وتسعين فولى الوليد مكانه عبد الله بن رفاعة سنة تسع وتسعين، وكان قد استخلفه عند موته. ويقال بل ولى قبله أسامة بن زيد التّنوخيّ.

ثم عزل عمر بن عبد العزيز عبد الملك بن رفاعة سنة تسع وتسعين، وولّى مكانه أيوب بن شرحبيل بن أكرم بن ابرهة بن الصبّاح الأصبحي. ثم عزله يزيد بن عبد الملك، وولى مكانه بشد بن صفوان، وأقّره يزيد، ثم عزله هشام بن عبد الملك وولى عبد الملك ابن رفاعة، وتوفي بعد خمس عشرة ليلة، واستخلف أخاه الوليد بن رفاعة. وأقره هشام فأقام سبعة أشهر، ثم عزله وولّى حنظلة بن صفوان في المحرّم سنة أربع وعشرين، و أقرّه هشام. ثم استعفى مروان بن محمد حين ولي فأعفاه، وولّى مكانه حسان بن عتامة بن عبد الرحمن السجيني، وكان بالشام فاستخلف حمير بن نعيم الحصري بمصر. ثم قدم ورفضى ولايتها فولى مكانه حفص بن الوليد لستة عشر يوماً . من ولايته. وبقي حفص شهرين، ثم ولّى مروان الحوثرة بن سهل بن العجلان الباهلي في محّرم سنة ثمان وعشرين. ثم صرف عنها في رجب سنة إحدى وثلاثين، وولي المغيرة بن عبد الله بن مسعود الفزاريّ.

ثم مات في جمادى سنة ست وثلاثين، واستخلف ابنه الوليد. وولّى مروان بن عبد الملك موسى بن نصير فأمر باتخاذ المنابر في الكور، وإنما كانوا يخطبون على العصي. ثم قدم مروان بن محمد إلى مصر، وكان فيها مهلكه كما هو معروف. ثم جاءت الدولة العبّاسيّة فولّى السفاح على مصر عمّه صالح بن عليّ سنة أربع وثلاثين ومائة، وبقيت في ولايته يستخلف عليها فاستخلف أولا محصن بن فاني الكنديّ ثمانية أشهر، ثم أبا عون

عبد الملك بن يزيد مولى مناه ثمانية أشهر. وولّي داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة محرم سنة أربع وسبعين. ثم عزله في محرّم سنة خمس وسبعين لسنة من ولايته، وأعاد إليها موسى بن عيسى. ثم صرفه في ربيع سنة ست وسبعين وولّي ابن عمّه إبراهيم بن صالح، وتوفي لثلاثة أشهر من ولايته، وقام بالأمر بعده ابنه صالح فولّي الرشيد عبد الله بن المسيّب بن زهير الضبي في رمضان سنة ست وسبعين.

ثم عزله بعد الحول، ولي هرثمة بن أعين: ثم أمره بالمسير إلى إفريقية لثلاثة أشهر من ولايته سلخ ثمان وسبعين، وولّي أخاه عبيد الله بن المسّيب. ثم أعاد موسى بن عيسى في رمضان سنة تسع وسبعين فاستخلف ابنه يحيى. ثم صرف موسى في منتصف سنة ثمانين لعشرة أشهر من ولايته، وأعيد عبيد الله بن المهدي. ثم صرفه في رمضان سنة إحدى وثمانين، وأعيد إسماعيل بن صالح بن عليّ من العمومة فاستخلف، ثم صرف في منتصف إثنتين وثمانين وأعيد لعشرة أشهر من ولايته. وولّي الليث بن الفضل من أهل أسبورد في ليها أربع سنين ونصفاً وعزل.

ثم ولي الرشيد من قرابته أحمد بن إسماعيل بن عليّ منتصف سبع وثمانين فبقي عليها سنتين وشهرين. ثم ولّى مكانه عبد الله بن محمد بن الإمام إبراهيم بن صمد ويرف بابن زينب، وصرفه عنها آخر شعبان من سنة تسعين لسنة وشهرين من ولايته. وولى حاتم بن هرثمة بن اعين فقدم في شوال سنة أربع وتسعين، ثم صرفه الأمير منتصف خمس وتسعين لسنة وثلاثة أشهر من ولايته، وولّى جابر بن الأشعث بن يحيى بن النعمان الطائي منتصف خمس وتسعين فأخرجه الجند منها سنة ست وتسعين، لسنة من ولايته. ثم ولى المأمون عليها عباد بن محمد بن حيّان البلخيّ مولي كندة، ويكنى أبا نصر. ثم عزله لسنة ونصف من ولايته في صفر سنة ثمان وتسعين، وولى المطلب بن عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعيّ وقدمها من مكة في منتصف ربيع الأول. ثم صرفه في شوال لثمانية أشهر من ولايته، وولى من عمومته العبّاس بن موسى بن لمجسى فبعث عليها ابنه عبد الله، ومعه الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله تعالى عنه فاقام عليها شهرين ونصفاً، فقتله الجند يوم النحر سنة ثمان وتسعين، وولوا عليهم

المطلب بن عبد الله. ثم جرت بينه وبين السديّ وبين الحكم بن يوسف مولي بني ضبّة من أهل بلخ، من قوم يقال لهم الزّط، وجرت بينه وبين أهل المطّلب حروب، وخرج هاربا إلى مكة بعد سنة وثمانية أشهر من ولايتها.

ووليها السري بإجماع الجند في رمضان سنة مائتين. ثم وثب به الجند بعد ستة أشهر، وولوا سليمان بن غالب بن جبريل بن يحيى بن قرّة العجليّ في ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة.

وولّي عبد الله بن طاهر بن الحسين مولى خزاعة فأقام عشرة. ثم ولّى المأمون عليها أخاه أبا إسحاق الملقب في خلافته بالمعتصم فأقرّ عبسى الجلودي، وبعده عمير بن الوليد التميمي في صفر سنة أربع عشرة. ثم قتل بعد شهرين، واستخلف ابنه محمد بن عمير شهراً، ثم أعاد عيسى الجلودي. ثم جاء أبو إسحاق المعتصم إلى الفسطاط، وعاد إلى الشام، واستخلف عبدويه بن جبلة في المحرم فاتح خمس عشرة فأقام سنة، وولّي عيسى ين منصور بن موسى الخراساني الرافعي مولى بني نصر بن معاوية.

ثم قدم المأمون مصر لسنة من ولايته فسخط على عيسى بن منصور، وعمّر المقياس وجسراً آخر بالفسطاط، وولّي كندر بن عبد الله بن نصر الضفدي، ويكنى أبا ما أسك، ورجع إلى العراق. ومات كندر في ربيع سنة تسع عشرة ومائتين، واستخلف ابنه المظفّر. ولما صارت الخلافة للمعتصم ولى على مصر مولاه اشناس، ويكنّى أبا جعفر في رجب سنة ثمان عشرة فاستخلف عليها موسى بن أبي العبّاس ثابت من بني حنيفة من أهل الشاش في رمضان سنة تسع عشرة ومائتين، واستخلف ابنه المظفّر فأقام مستخلفاً لأشناس اربع سنين ولصفا. ثم عزله بعد سنتين، واستخلف مالك بن كيد بن عبد الله الصّفديّ فقدم في ربيع سنة أربع وعشرين. شم عزله بعد سنتين واستخلف عليّ بن يحيى الارمني، وقدم في ربيع سنة ست وعشرين. ثم عزله بعد سنتين وثمانية أشهر، واستخلف عيسى بن منصور الذي كان مستخلفاً. للمعتصم أيام المأمون، وسخطه المأمون عند قدومه مصر فقدم عيسى في محّرم سنة تسع وعشرين.

ثم مات أشناس بعد الثلاثين، وقد استخلف على مصر إيتاخ مولى المعتصم، وأقيم إيتاخ مكان أشناس فأقرّ الواثق أتياخ على مصر، فأقر إيتاخ عيسى بن منصور في ربيع سنة ست وثلاثين فبقي أربعة أشهر. ثم استخلف إيتاخ هرثمة بن النضر الجبلي فقدم منتصف سنة ثلاث وثلاثين، وأقام سنة، ثم مات سنة أربع وثلاثين

ومائتين ، وقام بأمره ابنه حاتم رضي الله تعالى عنه فاستخلف إيتاخ علي بن يحيى الأرمني في رمضان سنة أربع وثلاثين ومائتين. ثم صرف إيتاخ عن ولاية مصر في محرم سنة خمس وثلاثين بعد وفاة المعتصم.

وولّي المتوكل على مصر ابنه المستنصر فاستخلف عليها إسحاق بن يحيى بن معاذ الختليّ، وقدم في ذي القعدة من سنته. وفي أيامه أخرج ولد علي من مصر إلى العراق. ثم صرف في ذي القعدة من سنة ست وثلاثين، واستخلف المستنصر عليها عبد الرحمن بن يحيى بن منصور بن طلحة وريق، وهو ابن عم طاهر بن الحسين، وقدم في ذي القعدة سنة ست وثلاثين ومائتين. ثم صرفه واستخلف عنبسة بن إسحاق بن عبس بن عبسة من أهل هراة. ويكنى أبا حاتم في صفر سنة ثمان وثلاثين ومائتين. وفي ولايته كبس الروم دمياط

يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين.

واستخلف يزيد بن عبد الله بن دينار من مواليهم، ويكنّى أبا خالد. وفي أيامه منع العلويّون من ركوب الخيل واقتناء العبيد. ثم ولي المستنصر الخلافة في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين فأقرّ يزيد على ولاية مصر. ثم صرف عنها في ربيع سنة ثلاث وخمسين لعشر سنين من ولايته. وولى المعتز مكانه مزاحم بن خاقان بن عزطوج التركي في ربيع سنة أربع وخمسين، وعهد إلى أزجور بن أولغ طرخان التركي فأقام خمسة أشهر، وخرج حاجاً في رمضان سنة أربع وخمسين. وولي أحمد بن طولون، واستفحل بها أمره، وكانت له ولبنيه بها دولة كما نذكر الآن أخبارها.

دولة أحمد بن طولون

الخبر عن دولة أحمد بن طولون بمصر وبنيه ومواليه بني طغج وابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم

قال ابن سعيد، ونقله من كتاب ابن الداية في أخبار بني طولون: كان طولون أبو أحمد من الطغز، غزوهم التتر. حمله نوح بن أسد عامل بخارى إلى المأمون في وظيفته من المال والرقيق والبراذين . وولد له أحمد سنة عشرين ومائتين من جارية إسمها ناسم. ونوفي طولون سنة أربعين

ومائتين، وكفله رفقاء أبيه بدار الملك، حتى ثبتت مرتبته، ونصرف في خدمة السلطان، وانتشر له ذكر عند الاولياء فاق به على أهل طبقته.

وشاع بين الترك صونه ودينه وأمانته على الأسرار والأموال والفروج. وكان يستصغر عقول الأتراك، ويرى أنهم ليسوا بأهل للرتب. وكان يحب الجهاد. وطلب من محمد بن أحمد بن خاقان أن يسأل من عبد الله الوزير أن يكتب لهما بأرزاقهما إلى الثغر، ويقيما هنالك مجاهدين. وسار إلى طرسوس، وأعجبه ما عليه أهل الحق من تغيير المنكر واقامة الحق فأنس، وعكف على طلب الحديث. ثم رجع إلى بغداد، وقد امتلأ علماً وديناً وسياسةً. ولما تنكّر الاتراك للمستعين، وبايعوا المعتزّ، وآل أمر المستعين إلى الخلع والتغريب إلى واسط، وكّلوا به أحمد بن محمد الواسطيّ يومه. وكان حسن العشرة فكه المجالسة. ولمّا اعتزموا على قتله بعثوا إلى أحمد بن طولون أن يمضى ذلك فتفادى منه ، فبعثوا سعيداً الحاجب قسمله ثم قتله، ودفنه ابن طولون، وعظم محلّه بذلك عند أهل الدولة. انتهى كلام ابن سعيد.

وقال ابن عبد الظاهر: وقفت على سيرة للاخشيد قديمة عليها خط الفرغاني، وفيها أن أحمد هو ابن النج من الاتراك، كان طولون صديق أبيه ومن طبقته. فلما مات النج رباه طولون وكفله، فلمّا بلغ من الحداثة مشى مع الحشوية وغزا وتنقلت به الأحوال إلى أن صار معدوداً في الثقات. وولي مصر واستقربها. قال صدر الدين بن عبد الظاهر: ولم أر ذلك لغيره من المؤرخين انتهى.

ولما وقع اضطراب الترك ببغداد، وقتل المستعين وولي المعتز، واستبدّ عليه الأتراك وزعيمهم يومئذ باك باك، وولّاه المعتزّ مصر، ونظر فيمن يستخلفه عليها فوقع اختياره على أحمد بن طولون فبعثه عليها، وسار معه أحمد بن محمد الواسطى، ويعقوب بن إسحق، ودخلها في رمضان سنة أربع وخمسين، وعلى الخوارج بها أحمد ابن المدبّر، وعلى البريد سفير مولى قبيجة فأهدى له ابن المدبر، ثم استوحش منه وكاتب المعتز بأنّ ابن طولون يروم العصيان، وكاتب صاحب البريد بمثل ذلك فسطا بسفير صاحب البريد ومات من غده.

ثم قتل المعتز وولي المهتدي فقتل باك باك، ورتب مكانه يارجوج، وولّاه مصر. وكانت

بينه وبين أحمد بن طولون مودّة أكيدة فاستخلفه على مصر، وأطلق يده على الاسكندرية والصعيد بعد أن كان مقتصراً على مصر فقط. وجعل إليه الخراج فسقطت رتبة ابن المدبّر. ثم أعاده المعتمد فلم ينهض إلى مساماة ابن طولون ولا منازعته. ثم كتب إليه المعتمد بضبط عيسى بن شيخ الشيباني، وكان يتقلّد فلسطين والاردن، وتغلّب على دمشق وطمع في مصر ومنع الحمل. واعترض حمل ابن المدبر، وكان خمسة وسبعين حملاً من الذهب فأخذها فكتب إليه المعتمد يومئذ بولاية أعماله فادّعى العجز، وأنكر مال الحمل ونزع السواد، وأنفذ أناجور من الحضرة في العساكر إلى دمشق سنة سبع وخمسين.

ثم خرج أحمد بن طولون إلى الاسكندرية ومعه أخوه موسى وكان يتجنى عليه، ويرى أنه لم يوف بحقّه. وظهر ذلك منه في خطابه فأوقع به ونفاه، وحبس كاتبه إسحق بن يعقوب، واتهمه بأنه أفضى بسّره إلى أخيه. وخرج أخوه حاجاً . وسار من هنالك إلى العراق، ووصف أخاه بالجميل فحظي بذلك عند الموفّق. واستفحل أمر أحمد، واستكثر من الجند وخافه أناجور بالشام. وكتب الموفّق يغريه بشأنه، وأنه يخشى على الشام منه. ثم كتب الموفّق إلى ابن طولون بالشخوص إلى العراق لتدبير أمر السلطان، وأن يستخلف على مصر فشعر ابن طولون بالمكيدة في ذلك، فبعث كاتبه أحمد بن محمد الواسطي إلى يارجوج وإلى الوزير وحمل إليهما الأموال والهدايا. وكان يارجوج متمكّناً في الدولة فسعى في أمره، وأعفاه من الشخوص وأطلق ولده وحرمه واشتدت وطأة ابن طولون، وخافه أحمد بن المدبّر فكتب إلى أخيه إبراهيم أن يتلطف له في الانصراف عن مصر فورد الكتاب بتقليده خراج دمشق وفلسطين والأردن. وصانع ابن طولون بضياعه التي ملكها، وسار إلى عمله بمصر، وشيّعه ابن طولون ورضي عنه. وذلك سنة ثمان وخمسين ومائتين. وولي الوزير على الخراج من قبله. وتقدم لابن طولون باستحثاثه فتتابع حمل الأموال إلى المعتمد. ثم كتب ابن طولون بأن تكون جباية الخراج له فأسعف بذلك. وأنفذ المعتمد نفيساً الخادم بتقليده خراج مصر وضريبتها وخراج مصر وضريبتها وخراج الشام. وبعث إليه نفيس الخادم، ومعه صالح بن أحمد بن حنبل قاضي الثغور، ومحمد بن أحمد

الجزوعي قاضي واسط شاهدين بإعفائه ما زاد على الرسم من المال والطراز. ومات يارجوج في رمضان سنة تسع وخمسين، وكان صاحب مصر، ومن أقطاعه. ويدعى له قبل ابن طولون فلمّا مات استقل

أحمد بمصر.

فتنة ابن طولون مع الموفق:

لما استأمن الزنج وتغلّبوا على نواحي البصرة، وهزموا العساكر، بعث المعتمد إلى الموفق، وكان المهتدي نفاه إلى مكة فعهد له المعتمد بعد ابنه المفوّض، وقسّم ممالك الإسلام بينهما. وجعل الشرق للموفّق ودفعه لحرب الزنج، وجعل الغرب للمفوّض، واستخلف عليه موسى بن بغا، واستكتب موسى بن عبيد الله بن سليمان بن وهص. وأوح كتاب عهدهما في الكعبة. وسار الموفّق لحرب الزنج، واضطرب الشرق ، وقعد الولاة عن الحمل. وشكا الموفق الحاجة إلى المال. وكان ابن طولون يبعث الأموال إلى المعتمد يصطنعه بذلك، فأنفذ الموفق نحريراً خادم المتوكّل إلى أحمد بن طولون يستحثّه لحمل الأموال والطراز والرقيق والخيل، ودسّ إليه يعتقله. واطلع على الكتب. وقتل بعض القوّاد، وعاقب آخرين. وبعث مع نحرير ألفي ألف ومائتي ألف دينار ورقيقا وطرزاً. وجمع الرسم وبعث معه من أسلمه إلى الثقة أناجور صاحب الشام.

ولما فعل ابن طولون بنحرير ما فعل، كتب الموفّق إلى موسى بن بغا بصرف أحمد

ابن طولون عن مصر، وتقليدها أناجور فكتب إلى أناجور بتقليدها فعجز عن مناهضة أحمد، فسار موسى بن بغا ليسلّم إليه مصر، وبلغ الرقّة. واستحث أحمد في الأموال فتهيّأ أحمد لحربه، وحصّن الجزيرة معقلاً لحربه وذخيرته. وأقام موسى بالرقة عشرة أشهر، واضطرب عليه الجند وشغبوا وطالبوه بالأرزاق، واختفى كاتبه موسى بن عبيد الله بن وهب فرجع وتوفي سنة أربع وستين ومائتين. ثم كتب الموفّق إلى ابن طولون باستقلال ما حمله من المال، وعنّفه وهدّده فأساء ابن طولون جوابه، وأنّ العمل لجعفر بن المعتمد ليس لك فأحفظ ذلك الموفق، وسأل من المعتمد أن يولّي على الثغور من يحفظها، وأن ابن طولون لا يؤمن عليها لقلة اهتمامه بأمرها فبعث محمد بن هارون التغلبيّ عامل الموصل، وركب السفن فألقته الريح بشاطىء دجلة فقتله الخوارج أصحاب مساو الساري.

ولاية أحمل بن طولون علي الثغور:

وكانت أمهات الثغور يومئذ أنْطاكِية وطرسوس والمصيصة وملطية، وكان على أنْطاكِية محمد بن علي بن يحيى الأرمني، وعلى طرسوس سيما الطويل وإليه أمر الثغور. وجاء في بعض أيامه إلى أنْطاكِية فمنعه الأرمني من الدخول فدس إلى أهل البلد بقتله. فقتلوه، وأحفظ ذلك الموفق فولّى على الثغور أرجون بن أولغ طرخان التركي، وأمره بالقبض على سيما الطويل فقام بالثغور، وأساء التصرّف، وحبس الأرزاق عن أهلها. وكانت قلعة لؤلؤة من قلاع طرسوس في نحر العدوّ، وأهمّ أهل طرسوس أمرها فبعثوا إلى حاميتها خمسة آلاف دينار رزقاً من عندهم فأخذها أرجون لنفسه، وضاعت حاميتها وافترقوا. وكتب الموفّق إلى أحمد بن طولون بتقليد الثغور، وأن يبعث عليها من قبله فبعث من قبله طحشى بن بكروان، وحسنت حالهم وطلب منه ملك الروم الهدنة، واستأذن في ذلك ابن طولون فمنعه، وقال: إنما حملهم على ذلك تخريبكم لقلاعهم وحصونهم فيكون في الصلح راحة لهم فحاش لته منه، وأمره برمّ الثغور وأرزاق الغزاة. استيلاء أحمد بن طولون علي الشام:

قد تقدم لنا ولاية أناجور على دمشق سنة سبع وخمسين ومائتين ، وما وقع بينه وبين أحمد بن طولون. ثم توفي أناجور في شعبان سنة أربع وستين، ونصّب ابنه عليّ مكانه. وقام يدبّر أمره أحمد بن بغا وعبيد الله بن يحيى بن وهب. وسار إلى الشام موريا بمشارفة الثغور واستخلف ابنه العبّاس على مصر، وضمّ إليه أحمد بن- محمد الواسطي وعسكر في مينة الأصبع ، وكتب إلى عليّ بن أناجور بإقامة الميرة للعساكر فأجاب الآمال. وسار ابن طولون إلى الرملة، وبها محمد بن أبي رافع من

قبل أناجور، ومدبّر دولته أحمد بن هنالك منذ نفاه المهتدي فأكرمه. ثم سار عن دمشق، واستخلف عليها أحمد بن دوغياش، ورحل إلى حمص وبها أكبر قواد أناجور فشكت الرعية منه فعزله، وولّى يمتا التركي. ثم سار إلى أنْطاكِية، وقد امتنع بها سيما الطويل بعد أن كتب بالطاعة، وأن ينصرف عنه فأبى وحاصرها وشد حصارها.

وضجر أهلها من سيما فداخل بعضهم أحمد بن طولون، ودلّوه على بعض المسارب فدخلها منه في فاتحة خمس وستين، وقتل سيما الطويل وقبض على أمرائه وكاتبه. ثم سار إلى طرسوس فملكها، ودخلها في خلق كثير، وشرع في الدخول إلى بلاد الروم للغزو. وبينما هو يروم ذلك جاءه الخبر بانتقاض ابنه العبّاس الذي استخلفه بمصر فرجع، وبعث عسكراً إلى الرقة وعسكراً إلى حرّان، وكانت لمحمد بن أناشر فأخرجوه عنها وهزموه. وبلغ الخبر إلى أخيه موسى فسار إلى حران وكان شجاعاً. ود، ن مقدم العسكر بحرّان بن جيعونة فأهمه أمرهم فقال له أبو الأغرّ من العرب: أنا آتيك بموسى. واختار عشرين فارسا من الشجعان، وسار إلى معسكر موسى فأكمن بعفهم، ودخل بالباقين بعض الخيام فعقدت، واهتاج العسكر، وهرب أبو الأغرّ واتبعوه فخرج عليهم الكمين فهزموهم وأسر موسى، وجاء به أبو الأغرّ إلى جيعونة، قائد إبن طولون فاعتقله وعاد إلى مصر سنة ست وستين ومائتين.

الخبر عن انتقاض العباس بن أحمد بن طولون علي ابيه:

لما رحل أحمد بن طولون إلى الشام، واستخلف ابنه العبّاس، وكان أحمد بن الواسطي محكماً في الدولة. وكان للعبّاس بطانة يدارسونه الأدب والنحو، وأراد أن يولّي بعضهم الوظائف، ولم يكونوا يصلحون لها فمنع الواسطي من ذلك خشية الخلل في الأعمال فحمل هؤلاء البطانة عليه عند العباس، وأغروه به. وكتب هو إلى أحمد

يشكوهم فاجابه بمداراة الأمور إلى حين وصوله. وكان محمد بن رجاء كاتب أحمد مداخلا لابنه العباس فكان يبعث إليه بكتب الواسطي يتنزّل له فاطّلع على جواب أبيه عن كتبه بالمداراة فازداد خوفاً، وحمل ما كان هنالك من المال والسلاح، وهو ألف ألف دينار. وتسلّف من التجار مائتي ألف أخرى، واحتمل أحمد بن محمد الواسطي وأيمن الأسود مقيّدين، وسار إلى برقة.

ورجع أحمد إلى مصر، وبعث له جماعة فيهم القاضي أبو بكرة بكّار بن قتيبة، والصابوني القاضي، وزياد المرّيّ مولى اشهب فتلطّفوا به بالموعظة حتى لان. ثم منعه بطانته وخوّفوه فقال لبكّار: ناشدتك الله هل تأمنه عليّ ؟ فقال: هو قد حلف، وأنا لا أعلم فمضى على ريبته. ورجع القوم إلى أبيه. وسار هو إلى إفريقية يطلب ملكها، وسهل عليه أصحابه أمر إبراهيم بن أحمد بن الأغلب صاحبها. وكتب إليه بأن المعتمد قلّده إفريقية، وأنه أقره عليها. وانتهى إلى المدينة لبلة فخرج عليه عامل بن الأغلب فقبض عليه، ونهب البلد وقتل أهله، وفضح نساءهم فاستغاثوا بالياس بن منصور كبير نفوسة ورئيس الاباضيّة، وقد كان خاطبه يتهدّده على الطاعة.

وبلغ الخبر إلى ابن الأغلب فبعث العساكر مع خادمه بلاع، وكتب إلى محمد بن قهرب عامل طرابلس بأن يظاهر معه على قتال العبّاس فسار ابن قهرب وناوشه القتال من غير مسارعة. ثم صحبهم الياس في اثني عشر ألفاً من قومه. وجاء بلاغ الخادم من خلفه فأجفل، واستبيح أمواله وذخائره، وقتل أكثر من كان معه، وأفلت بحاشيته. وانطلق أيمن الأسود من القيد، ورجع إلى مصر. وجاء العبّاس إلى برقة مهزوما. وكان قد أطلق أحمد الواسطي بعد أن ضمن حزب برقة إحضاره، فلما رجع أعاده إلى محبسه فهرب من . الحبس، ولحق بالفسطاط. ووجد أحمد بز طولون قد سار إلى الإسكندرية عازماً على الرحيل إلى برقة فهوّن أمره، ومنعه من الرحيل بنفسه. وخرج طبارجي وأحمد الواسطي فجاؤوا به مقيّداً على بغل، وذلك سنة سبع وستين. وقبض على كاتبه محمد بن رجاء، وحبسه لما كان يطلع ابنه العبّاس على كتبه. ثم ضرب ابنه وهو باك عليه وحبسه.

خروج الصوفي والعمري بمصر:

كان أبو عبد الرحمن العمريّ بمصر، وهو عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر، مقيماً بالقاصية من الصعيد، وكان البجاة يغيرون في تلك الأعمال ويعيثون فيها. وجاؤوا يوم عيد فنهبوا وقتلوا فخرج هذا العمري غضبا لله، وأكمن لهم في طريقهم ففتك بهم، وسار في بلادهم حتى أعطوه الجزية، واشتدّت شوكته. وزحف العلويّ للقائه فهزمه العمري، وذلك سنة ستين ومائتين. وكان من خبر هذا العلوي انه ظهر بالصعيد سنة سبع وخمسين ومائتين ، وذكر أنّ إسمه إبراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عليّ بن أبي طالب، ويعرف بالصوفيّ. فملك مدينة أسنا ونهبها، وعاث في تلك الناحية. وبعث إليه ابن طولون جيشاً فهزمهم، وأسر مقدم الجيش فقطعه فأعاد إليه جيشاً آخر، وانهزم إلى الواحات. ثم عاد إلى الصعيد سنة تسع وخمسين ومائتين، وسار إلى الأشمونين. ثم سار للقاء العمري وانهزم إلى أسوان، وعاث غي جهاتها. وبعث إليه ابن طولون العسكر فهرب إلى عيذاب، وعبر البحر إلى مكة فقبض عليه الوالي بمكة، وبعث به إلى ابن طولون فحبسه مدة. ثم أطلقه ومات بالمدينة. ثم بعث ابن طولون العسكر إلى العمري فلقي قائدهم وقال: إني لم أخرج بالفساد، ولا يؤذى مسلم ولا ذمي، وإنما خرجت للجهاد فشاور أميرك في فأبى، وناجزه الحرب فانهزم العسكر، ورجعوا إلى ابن طولون فاخبروه بشأنه فقال: هلا كنتم شاورتموني فيه؟ فقد نصره الله عليكم ببغيكم. ثم وثب عليه بعد مدّة غلامان له فقتلاه وجاءا برأسه إلى أحمد بن طولون فقتلهما.

انتفاض برقة:

وفي سنة إحدى وستين ومائتين وثب أهل برقة بعاملهم محمد بن فرج الفرغاني

فأخرجوه، ونقضوا طاعة ابن طولون فبعث إليهم العساكر مع غلامه لؤلؤ ، وأمره بالملاينة فحاصرهم أياماً وهو يلين لهم حتى طمعوا فيه، ونالوا من عسكره فبعث إلى أحمد بخبره فأمره بالاشتداد فشدّ حصارهم، ونصب عليهم المجانيق فاستأمنوا، ودخل البلد، وقبض على جماعة من أعيانهم فضربهم وقطعهم، ورجع إلى مصر واستعمل عليهم مولى من مواليه، وذلك قبل خلاف العبّاس على أبيه.

انتقاض لؤلؤ علي ابن طولون:

كان ابن طولون قد ولى مولاه لؤلؤاً على حلب وحمص وقنسرين وديار مضر من الجزيرة، وأنزله الرقة، وكان يتصرّف عن أمره. ومتى وقع في مخالفته عاقب ابن سليمان كاتب لؤلؤ فسقط لؤلؤ في المال، وقطع الحمل عن أحمد بن طولون. وخاف الكاتب مغبة ذلك فحمل لؤلؤاً على الخلاف، وأرسل إلى الموفّق بعد أن شرط على المعتمد شروطاً أجابه الموفق إليها. وسار إلى الرقّة وبها ابن صفوان العقيلي فحاربه، وملكها منه، وسلمها إلى أحمد بن مالك بن طوق. وسار إلى الموفّق فوصل إليه بمكانة من حصار صاحب الزنج وأقبل عليه، واستعان به في تلك الحروب وولاّه على الموصل. ثم قبض عليه سنة ثلاث وسبعين ومائتين وصادره على أربعمائة ألف دينار فافتقر وعاد إلى مصر آخر أيام هارون بن خمارويه فقيراً فريداً.

مسير المعتمد إلى ابن طولون وعوده عنه من الشام:

كان ابن طولون يداخل المعتمد في السرّ ويكاتبه، ويشكو إليه المعتمد ما هو فيه من الحجر والتضييق عليه من أخيه الموفّق والموفق بسبب ذلك ينافر ابن طولون وشمعى في إزالته عن مصر. ولما وقع خلاف لؤلؤ على ابن طولون خاطب المعتمد، وخوّفه الموفّق واستدعاه إلى مصر. وأنّ الجيوش عنده لقتال الفرنج فأجابه المعتمد إلى ذلك، وأراد لقاءه بجميع عساكره فمنعه أهل الرأي من أصحابه، وأشاروا عليه بالعدول عن المعتمد جملة، وأنّ أمره يؤول معه إلى أكثر من أمر الموفّق، من أجل بطانته التي

يؤثرها على كل أحد. واتصلت الأخبار بأنّ الموفّق شارف القبض على صاحب الزنج فبعث ابن طولون بعض عساكره إلى الرقة لانتظار المعتمد، واغتنم المعتمد غيبة الموفق وسار في جمادى سنة ثمان وستين ومائتين، ومعه جماعة من قواده فقبض عليهم وقيّدهم.

وقد كان ساعد بن مخلّد وزير الموفّق خاطبه في ذلك عن الموفق فأظهر طاعتهم حين صاروا إلى عمله، وسار معهم إلى أوّل عمل أحمد بن طولون فلم يرحل معهم حين رحلوا. ثم جلس معهم بين يدي المعتمد وعذلهم في المسير إلى ابن طولون، ودخلوهم تحت حكمه وحجره. ثم قام بهم عند المعتمد ليناظرهم في خلوة فلما دخلوا خيمته قبض عليهم. ثم رجع إلى المعتمد فعذله في الخروج عن دار خلافته، وفراق أخيه وهو في قتال عدوّه. ثم رجع بالمعتمد والذين معه حتى أدخلهم سر من رأى. وبلغ الخبر إلى ابن طولون فقطع خطبة الموفق ومحا إسمه من الطرز فتقدم الموفق إلى المعتمد بلعن ابن طولون في دار العامّة فأمر بلعنه على المنابر، وعزله عن مصر وفوّض إليه من باب الشاتية إلى أفريقيا، وبعث إلى مكة بلعنه في المواسم فوقعت بين أصحاب ابن طولون وسلبوا، وأمر جعفر المصريّين وقرأوا الكتاب في المسجد بلعن ابن طولون.

اضطراب الثغور ووصول أحمد بن طولون إليها ووفاته:

كان عامل أحمد بن طولون على الثغور طلخشى بن بلذدان، وإسمه خلف، وكان نازلا بطرسوس. وكان ما زيار الخادم مولى فتح بن خاقان معه بطرسوس، وارتاب به طلخشي فحبسه فوثب جماعة من أهل طرسوس، واستقدموا مازيار من يده وولوه. وهرب خلف، وتركوا الدعاء لابن طولون من مصر، وانتهى إلى أذنة وكاتب مازيار واستماله فامتنع، واعتصم بطرسوس فرجع ابن طولون إلى حمص ثم إلى دمشق فأقام بها. ثم رجع وحاصره في فصل الشتاء بعد أن بعث إليه يدعوه وانساح على معسكر أحمد وخيمه، وكادوا يهلكون فتأخر ابن طولون إلى أذنة، وخرج أهل طرسوس فنهبوا العسكر. وطال مقام أحمد بأذنة في طلب البرد.

ثم ثار إلى المصيصة فأقام بها ومرض هناك. ثم تماسك إلى أنْطاكِية فاشتد وجعه ونهاه الطبيب عن كثرة الغذاء فتناوله سراً فكثر عليه الاختلاف، لأن أصل علته هيضة من لبن الجواميس. وثقل عليه الركوب فحملوه على العجلة فبلغ الفرمار، وركب من ساحل الفسطاط إلى داره، وحضره طبيبه فسهّل عليه الأمر، وأشار بالحمية فلم يداوم عليها. وكثر الإسهال، وحميت كبده من سوء. الفكر فساءت أفعاله. وضرب بكار بن قتيبة القاضي، وأقامه للناس في الميدان، وخرق سواده وأوقع بابن هرثمة، وأخذ ماله وحبسه. وقتل سعيد بن نوفل مضروباً بالسياط.

ثم رجع أولياءه وغلمانه وعهد إلي ابنه أبي الجيش خمارويه، وأوصاهم بانظاره وحسن النظر فسكنوا إلى ذلك لخوفهم من ابنه أبي العبّاس المعتقل. ثم مات سنة ست وسبعين ومائتين لست وعشرين سنة من إمارته. وكان حازماً سائساً، وبنى جامعه بمصر؛ وأنفق فيه مائة وعشرين ألف دينار. وبنى قلعة يافا، وكان يميل إلى مذهب الشافعىّ رضي الله تعالى عنه. وخفف من المال عشرة آلاف دينار، ومن الموالي سبعة آلاف،

ومن الغلمان أربعة آلاف ومن الخيل المرتبطة مائة، ومن الدواب لركابه مائتين وثلاثين. وكان خراج مصر لأيامه مع ما ينضاف إليها من ضياع الأمراء لحضرة السلطان أربعة آلاف ألف دينار، وثلاثمائة ألف دينار وعلى المارستان وأوقافه ستين ألف دينار، وعلى حصن الجزيرة، والجزيرة– وهي المسماة لهذا العهد بقلعة الروضة– ثمانين ألف دينار. وخربت بعد موته، وجدّدها الصالح نجم الدين بن أيوب. ثم خربت ثانية، ولم يبق منها إلا أطلال دائرة ، وكان يتصدق في كل شهر بألف دينار، ويجري على المسجونين خمسمائة في ينار في كل شهر وكانت نفقة مطابخه وعلوفته ألف دينار في كل يوم.

ولاية خمارويه بن أحمد بن طولون:

ولما توفي أحمد بن طولون اجتمع أهل الدولة وخواص الأولياء وكبيرهم أحمد بن محمد الواسطي والغالب على الدولة الحسن بن مهاجر، فاتفقوا على بيعة ابنه أبي الجيش خمارويه، وأحضروا ابنه العبّاس من محبسه وعزّاه الواسطي وهم يبكون. ثم قال: بايع لأخيك فأبى فقام طبارجي وسعد الآيس من الموالي، وسحبوه إلى حجرة في القصر فاعتقلوه بها واخرج من الغد ميتاً وأخرجوا أحمد إلى مدفنه، وصلى عليه أبنه ابو الجيش، وواراه ورجع إلى القصر مقيماً لأمر سلطانه.

مسير خمارويه إلى الشام وواقعته مع ابن الموفق:

ولما توفي أحمد بن طولون كان إسحاق بن كنداج عاملاً على الجزيرة والموصل، وابن أبي الساج على الكوفة، وقد ملك الرحبة من يد أحمد بن مالك فطمعا في ملك الشام، واستأذنا الموفق فأذن لهما ووعدهما بالمدد. وسار إسحق إلى الرقّة والثغور والعواصم فملكها من يد ابن دعاس عامل بن طولون. واستولى إسحق على حمص وحلب وأنْطاكِية، ثم على دمشق. وبعث خمارويه العساكر إلى الشام فملكوا دمشق

وهرب العامل الذي انتقض بها ثم سار العسكر إلى شيزر فأقام عليها قبالة إسحق وابن أبي الساج، وهما ينتظران المدد من العراق. ثم هجم الشتاء فتفرّق عسكر خمارويه في دور شيزر، ووصل العسكر من العراق مع أبي العبّاس أحمد بن الموفق الذي صارت إليه الخلافة، ولقّب المعتضد فكبسوا عسكر خمارويه في دور شيزر، وفتكوا فيهم. ونجا الفل إلى دمشق، والمعتضد في اتباعهم فارتحلوا عنها، وملكها المعتضد في شعبان سنة إحدى وسبعين ومائتين.

ولحق عساكر خمارويه بالرملة فأقاموا بها، وكتبوا إلى خمارويه بالخبر، وسار المعتضد نحوهم من دمشق. وبلغه وصول خمارويه، وكثرة عساكره فهم بالعود، ومعه أصحاب خمارويه الذين خالفوا عليه، ولحقوا به. وكان ابن كنداج وابن أبي الساج متوحشين من المعتضد لسوء معاملته لهما. والتقى العسكر أَن على الماء الذي عليه الطواحين بالرملة فولّى خمارويه منهزماً مع عصابة معه ليس لهم دربة بالحرب. ومضى إلى مصر بعد أن أكمن مولاه سعداً الايس في عسكر. وجاء المعتضد فملك خيام خمارويه وسواده، وهو يظنّ الظفر فخرج سعدً الآيس من كمينه، وقصد الخيام وظنّ المعتضد أن خمارويه قد رجع فركب وانهزم لا يلوي على شيء. وجاء إلى دمشق فمنعوه الدخول فمضى إلى طرسوس، ولما افتقد سعد الآيس خمارويه نصّب أخاه ابا العشائر لقيادة العساكر، ووضع العطاء، ووصلت البشائر إلى مصر فسرّ خمارويه بالظفر، وخجل من الهزيمة، واكثر الصدقة واكرم الأسرى واطلقهم. وسارت عساكره إلى الشام فارتجعوه كله من أصحابه فأخرجوهم، ولحقوا بالعراق. وغزا بالصائفة هذه السنة مازيار صاحب الثغر، وغنم وعاد، ثم غزا كذلك سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

فتنة ابن كنداج وابن أبي الساج والخطبة لابن طولون بالجزيرة:

كان ابن أبي الساج عاملا على قّنسرين، وإسحق على الجزيرة والموصل فتنافسوا في الأعمال، واستظهر ابن أبي الساج بخمارويه، وخطب له بأعماله، وبعث ابنه رهينة إليه فسار في عساكره بعد أن بعث

إليه الأموال وانتهى إلى السنّ، وعبر ابن أبي الساج الفرات ولقي إسحق بن كنداج على الرقّة فهزمه، وجاز خمارويه من بعده فعبر

الفرات إلى الرافقيّة. ونجا إسحاق إلى ماردين، وحصره ابن أبي الساج. ثم خرج وسار إلى الموصل، فصده ابن أبي الساج عنها، وهزمه فعاد إلى ماردين. واستولى ابن أبي الساج على الجزيرة والموصل، وخطب في أعمالها لخمارويه، ثم لنفسه بعده. وبعث العساكر مع غلامه فتح لجباية نواحي الموصل فأوقع بالشراة اليعقوبيّة، ومكر بهم. وعلم أصحابهم بما فعل معهم فجاؤوا إليه، وهزموه واستلحموا أصحابه. ونجا ابن أبي الساج في فل قليل.

ثم انتفض ابن أبي الساج على خمارويه سنة خمس وسبعين ومائتين، وذلك أن إسحق بن كنداج سار إلى خمارويه بمصر، وصار في جملته فانتقض ابن أبي الساج. وسار خمارويه إليه فلقيه على دمشق في المحرم فانهزم ابن أبي الساج، واستبيح معسكره. وكان وضع بحمص خزائنه فبعث خمارويه عسكراً إلى حمص فمنعوه من دخولها، واستولوا على خزائنه. ومضى ابن أبي الساج إلى حلب، ثم إلى الرقة، وخماوريه في اتباعه. ثم فارق الرقّة إلى الموصل، وعبر خمارويه الفرات واحتل مدينة بلد، وأقام بها وسار ابن أبي الساج إلى الحديثة.

وبعث خمارويه عساكره وقواده مع إسحق بن كنداج في طلب ابن أبي الساج فعبر دجلة، واقام بتكريت وإسحاق في عشرين الفاً، وابن أبي الساج في ألفين، وأقاموا يترامون في العوتين. ثم جمع ابن كنداج السفن ليمدّ الجسر للعبور فخالفهم ابن أبي الساج إلى الموصل ونزل بظاهرها فرحلوا في أتباعه فسار لقتالهم، فانهزم إسحق إلى الرقة، وتبعه ابن أبي الساج. وكتب إلى الموفق يستأذنه في عبور الفرات إلى الشام، وأعمال خمارويه فأجابه بالتربص وانتظار المدد. ولما انهزم إسحاق سار إلى خمارويه، وبعث معه العسكر، ورجع فنزل على حد الفرات من أرض الشام،. وابن أبي الساج قبالته على حدود الرقّة فعبرت طائفة من عسكر ابن كنداج لم يشعروا بهم، واوقعوا بجمع من عسكر ابن أبي الساج فلما رأى أن لا مانع لهم من العبور، سار إلى الرقّة إلى بغداد، وقدم على الموفق سنة ست وسبعين ومائتين فأقام عنده إلى أن ولاه أذربيجان في سنته واستولى ابن كنداج على ديار ربيعة وديار مضر، وأقام الخطبة فيها لخمارويه.

عود طرسوس إلى ايالة خمارويه:

قد كنا قدّمنا أن مازيار الخادم ثار بطرسوس سنة سبعين ومائتين، وحاصره أحمد بن طولون

فامتنع عليه فلمّا ولي خمارويه، وفرغ من شواغله أنفذ إلى مازيار سنة سبع وسبعين ومائتين ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف، واصطنعه فرجع إلى طاعته وخطب له بالثغور. ثم دخل بالصائفة سنة ثمان وسبعين ومائتين وحاصروا أسكند فأصابه منها حجر منجنيق رثه، ورجع إلى طرسوس فمات بها. وقام بأمر طرسوس ابن عجيف. وكتب إلى خمارويه فأقره على ولايتها. ثم عزله واستعمل مكانه محمد ابن عمه موسى بن طولون. وكان من خبره أنّ اباه موسى لما ملك أحمد اخوه مصر تبّسط عليه بدلالة القرابة وذوي الارحام فلم يحتمله له أحمد ورده عليه، وكسر جاهه فانحرف موسى وسخط دولته.

ثم خاطبه في بعض مجالسه بما لا يحتمله السلطان فضربه، ونفاه إلى طرسوس. وبعث إليه بمال يتزوّده فأبى من قبوله، وسار إلى العراق، ورجع إلى طرسوس فأقام بها إلى ان مات، وترك ابنه محمداً. وولّاه خمارويه وبعث إلى اميرهم راغب فأكرمه خمارويه وأنس به، وطالت إقامته عنده، وشاع بطرسوس أن خمارويه حبسه فاستعظم الناس ذلك، وثاروا بأميرهم محمد بن موسى وسجنوه رهينة في راغب. وبلغ الخبر إلى خمارويه فسرّحه إلى طرسوس فلمّا وصلها أطلقوا اميرهم محمد بن موسى، وقد سخطهم فسار عنهم إلى بيت المقدس. وعاد ابن عجيف إلى ولايته بدعوه خمارويه وغزا سنة ثمانين ومائتين بالطائفة، ودخل معه بدر الحمامي فظفروا وغنموا ورجعوا. ثم دخل بالطائفة سنة إحدى وثمانين ومائتين من طرسوس طغج بن جف الفرغاني من قبل خمارويه في عساكره طرابزون وفتح مكودية.

صهر المعتضد مع خمارويه:

ولما ولي المعتضد الخلافة بعث إلى خمارويه خاطباً قطر الندى إبنته، وكانت أكمل نساء عصرها في الجمال والآداب. وكان متولي خطبتها أمينه الخصيّ ابن عبد الله بن الجصاص فزوّجه خمارويه بها، وبعثها مع ابن الجصاص، وبعث معها من الهدايا

ما لا يوصف. وقدمت سنة تسع وسبعين ومائتين فدخل بها، وتمتع بجمالها وآدابها، وتمكّن سلطانه في مصر والشام والجزيرة إلى أن هلك.

مقتل خمارويه وولاية ابنه جيش:

كان خمارويه قد سار سنة اثنين وثمانين ومائتين إلى دمشق فأقام بها أياماً، وسعى إليه بعض أهل بيته بأن جواريه يتخذون الخصيان يفترشوهنّ، واراد استعلام ذلك من بعضهن فكتب إلى نائبه بمصر أن يقّرر بعضهن فلما وصله الكتاب، قرّر بعض الجواري وضربهنّ. وخاف الخصيان، ورجع خمارويه من الشام، وبات في مخدعه فأتاه بعضهم وذبحه على فراشه في ذي الحجة سنة إثنتين وثمانين. وهرب الذين تولّوا ذلك فاجتمع القواد صبيحة ذلك اليوم، وأجلسوا ابنه جيش بن خمارويه على كرسي سلطانه، وأفيض العطاء فيهم، وسيق الخدم الذين تولّوا قتل خمارويه فقتل منهم نيف وعشرون.

مقتل جيش بن خمارويه وولاية أخيه هارون:

ولما ولي جيش كان صبياً غرّاً فعك ف على لذّاته، وقرّب الأحداث والسفّلة، وتنكر لكبار الدولة، وبسط فيهم القول ؛ وصرّح لهم بالوعيد فأجمعوا على خلعه. وكان طغج ابن جف مولى أبيه من كبار الدولة، وكان عاملاً لهم على دمشق فانتقض وخلع طاعته. وسار آخرون من القوّاد إلى بغداد، منهم إسحق بن كنداج وخاقان المفلحي، وبدر بن جف أبو طغج، وقدموا على المعتضد فخلع عليهم، وأقام سائر القواد بمصر على انتقاضهم وقتل قائداً منهم. ثم وثبوا بجيش فقتلوه ونهبوا داره، ونهبوا مصر وحرقوه، وبايعوا لأخيه هارون وذلك لتسعة اشهر من ولايته.

فتنة طرسوس وانتفاضها:

وقد تقدم لنا أن راغباً مولى الموفّق نزل طرسوس للجهاد فأقام بها، ثم غلب عليها بعد ابن عجيف. ولما ولي هارون بن خمارويه سنة ثلاث وثمانين ترك الدعاء له،

ودعا لبدر مولى المعتضد، وقطع طرسوس والثغور من عمالة بني طولون. ثم بعث هارون بن خمارويه إلى المعتضد أن يقاطعه على أعماله بمصر والشام بأربعمائة ألف وخمسين ألف دينار، ويسلّم قنسرين والعواصم، وهي الثغور لمعتضد فأجابه إلى ذلك. وسار من آمد، وكان قد ملكها من يد محمد بن أحمد بن الشيخ فاستخلف ابنه المكتفي عليها. وسار سنة ست وثمانين ومائتين فتسلّم قنّسرين والثغور من يد أصحاب هارون، وجعلها مع الجزيرة في ولاية ابنه المكتفي.

ولاية طغج بن جف علي دمشق:

ولما ولي هارون بعد أخيه جيش على ما ولي عليه من اختلاف القوّاد وقوّة أيديهم، خشي أهل الدولة من افتراق الكلمة ففوّضوا أمرها إلى أسب جعفر بن أبان. كان مقدّماً عند أحمد وخمارويه فأصلح ما استطاع، وبقي يرتّق الفتق، ويجبر الصدع. ثم نظر إلى الجند الذين كانوا خالفوا بدمشق مع طغج بن جف فبعث إليهم بدراً الحمامي والحسين بن أحمد المارداني فأصلح أمور الشام وأفردا طغج بن جف بولاية دمشق، واستعملا في

سائر الأعمال، ورجعا إلى مصر، والأمور مضطربة والقوّاد طوائف لا ينقاد منهم أحد إلى أن وقع ما نذكر.

زحف القرامطة إلى دمشق:

قد تقدّم لنا ابتداء أمر القرامطة، وما كان منهم بالعراق والشام، وأنّ ذكرويه بن مهداوية داعية القرامطة لما هزم بسواد الكوفة، وأفنى أصحابه القتل لحق ببني القليص بن كلب بن وبرة في السماوة فبايعوه، ولقبوه الشيخ، وسمّوه يحيى، وكنّوه أبا القاسم. وزعم أنه محمد بن عبد الله بن المكتوم بن إسمعيل الإمام فلقبوه المدّثر، وزعم أنه المشار إليه في القرآن. ولقب غلاماً من أهله المطوّق. وسار من حمص إلى حماة ومعرة النعمان إلى بعلبك ثم إلى سلميّه فقتل جميع من فيها حتى النساء والصبيان والبهائم. ونهب سائر القرى من كل النواحي. وعجز طغج بن جف وسائر

جيشه وصاحبه هارون عن دفاعهم.

وتوجّ أهل الشام ومصر إلى المكتفي مستغيثين فسار إلى أهل الشام سنة تسعين ومائتين، ومرّ بالموصل، وقدّم بين يديه أبا الأغرّ من بني حمدان في عشرة آلاف رجل. ونزل قريباً من حلب، وكبسه القرمطي صاحب الشامة فقتل منهم جماعة، ونجا أبو الأغر إلى حلب في فلّ من أصحابه. وحاصره القرمطي، ثم أفرج عنه، وانتهى المكتفي إلى الرقة. وبعث محمد بن سليمان الكاتب في العساكر، ومعه الحسين من بني حمدان، وبنو شيبان فناهضه في المحرّم سنة إحدى وتسعين ومائتين على حماة، وانهزم القرامطة. وأخذ صاحب الشامة أسيراً فبعث به إلى الرقة، وبين يديه المدّثر والمطوّق وتقدّم المكتفي إلى بغداد، ولحقه محمد بن سليمان بهم فأمر المكتفي بضربهم وقطعهم، وضرب أعناقهم وحسم دائهم، حتى ظهر منهم من ظهر بالبحرين.

استيلاء المكتفي علي الشام ومصر وقتل هارون وشيبان ابني خمارويه وانقراض دولة بني طولون:

ونبدأ أولا بخبر محمد بن سليمان المتولّي بتحويل دولة بني طولون، كان أصله من ديار مضر من الرقّة اصطنعه أحمد بن طولون وخدمه في مصر. ثم تنكّر له وعامله في

جاهه وأقاربه بما أحفظه، وخشي على نفسه فلحق ببغداد، ولقي بها مبّرة وتكرمة. واستخدمه الخلفاء وجعلوه كاتباً للجيش فما زال يغريهم بملك مصر إلى أن ولي هارون بن خمارويه، وفشلت دولة بني طولون بالشام. وعاث القرامطة في نواحيه؟ وعجز هارون عن مدافعتهم، ووصل صريخ أهل الشام إلى المكتفي فقام لدفع ضررهم عن المسلمين، ودفع محمد بن سليمان لذلك وهو يومئذ من أعظم قوّاده فسار في العساكر في مقدمته. ثم أمره المكتفي باتباع القرامطة. وأقام بالرقّة فسار حتى لقيهم وقاتلهم حتى هزمهم واستلحمهم، ودفع عن الشام ضررهم، ورجع بالقرمطي صاحب الشامة وأصحابه أسرى إلى المكتفي بالرقّة فرجع إلى بغداد، وقتلهم هنالك، وشفى نفسه ونفس المسلمين منهم.

وكان محمد بن سليمان لما تخلّف عن المكتفي عند وصوله إلى بغداد فأمره بالعود، وبعث معه جماعة من القوّاد وأمدّه بالأموال وبعث دميانة غلام مازيار في الأسطول وأمره بالمسير إلى سواحل مصر ودخول نهر

النيل، والقطع عن أهل مصر ففعل وضيق عليهم. وسار محمد بن سليمان والعساكر، واستولى على الشام وما وراءه فلما قارب مصر كاتب القوّاد يستميلهم فجاء إليه بدر الحمامي، وكان رئيسهم فكسر ذلك من شوكتهم. وتتابع إليه القواد مستأمنين فبرز هارون لقتالهم فيمن معه من العساكر. وأقام قبالتهم، واضطرب عسكره في بعض الأيام من فتنة وقعت بينهم.

واقتتلوا فركب هارون ليسكنهم فأصابته حربة من بعض المغاربة، كان فيها حتفه فقام عمه شيبان بن أحمد بن طولون بعده بالأمر، وبذل الأموال للجند من غير حسبان ولا تقدير، ثم أباح نهب ما بقي منه يصطنعهم بذلك فنهبوه في ساعة واحدة، وتشوف إلى جمع المال فعجز عنه واضطرب، وفسد تدبيره، وتسايل إلى محمد بن سليمان جنده، وفاوض اعيان دولته في أمره فاتفقوا على الاستئمان إلى محمد بن سليمان فبعث إليه مستأمناً فسار إليه. ثم تبعه قواده وأصحابه فركب محمد إلى مصر، واستولى عليها، وقيد بني طولون وحبسهم، وكانوا سبعة عشر رجلا. وكتب بالفتح فأمره المكتفي بأشخاص بني طولون جميعاً من مصر والشام إلى بغداد فبعث بهم. ثم أمر بإحراق القطائع التي بناها أحمد بن طولون على شرقي مصر، وكانت ميلا في ميل فأحرقت ونهب الفسطاط.

ولاية عيسي النوشزي علي مصر وثورة الخليجي:

ولما اعتزم محمد بن سليمان على الرجوع إلى بغداد وكان المكتفي قد ولاه على مصر فولى المكتفي عيسى بن محمد النوشزي، وقدم في منتصف سنة اثنتين وتسعين. ثم ثار بنواحي مصر إبراهيم الخليجي، وكان من قواد بني طولون، وتخلف عن محمد بن سليمان. وكتب إلى المكتفي عيسى النوشزي بالخبر. وكثرت جموع الخليجي، وزحف إلى مصر فخرج النوشزي هاربا إلى الإسكندرية وملك الخليجي مصر، وبعث المكتفي العساكر مع فاتك مولى أبيه المعتضد وبدر الحمامي، وعلى مقدمتهم أحمد بن كيغلغ في جماعة من القواد، ولقيهم الخليجي على العريش في صفر سنة ثلاث وتسعين فهزمهم. ثم تراجعوا وزحفوا إليه وكانت بينهم حروب فني فيها

أكثر أصحاب الخليجي، وانهزم الباقون فظفر عسكر بغداد، ونجا الخليجي إلى الفسطاط واختفى به. ودخل قواد المكتفي المدينة وأخذوا الخليجي وحبسوه.

وكالت المكتفي عندما بلغته هزيمة ابن كيغلغ، وسار ابن كيغلغ في ربيع،- وبرز المكتفي من ورائهم يسير إلى مصر- فجاءه كتاب فاتك بالخبر، والحبس الخليجي فكتب المكتفي بحمله ومن معه إلى بغداد. وبرز من تكريت فبعث فاتك بهم، وحبسوا ببغداد. ورجع عيسى النوشري إلى مصر في منتصف ثلاث وتسعين فلم يزل واليا عليها إلى أن توفي في شعبان سنة سبع وتسعين لخمس سنين من ولايته وشهرين ، وقام بأمره ابنه محمد. وولى المقتدر على مصر أبا منصور تكين الخزري فقدمها آخر شوال من سنة سبع وتسعين، وأقام واليا عليها.

واستفحلت دولة العلويين بالمغرب. وجهز عبيد الله المهدي العساكر مع ابنه أبي القاسم سنة إحدى وثلاثمائة، فملك برقة في ذي الحجّة آخرها. ثم سار إلى مصر وملك الإسكندرية والفيوم، وبلغ الخبر إلى المقتدر فقلد ابنه أبا العبّاس مصر والمغرب، وعمره يومئذ أربع سنين. وهو الذي ولي الخلافة بعد ذلك ولقب الراضي ولما قلّده مصر استخلف له عليها مؤنساً الخادم، وبعثه في العساكر إلى مصر، وحاربهم فهزمهم. ورجعوا إلى المغرب فأعاد عبيد الله العساكر سنة اثنين مع قائده حامسة الكتامي. وجاء في الأسطول فملك الإسكندرية، وسار منها إلى مصر. وجاء مؤنس الخادم في العساكر فقاتله وهزمه. ثم كانت بينهم وقعات، وانهزم أصحاب المهدي آخراً في منتصف إثنتين وثلاثمائة وقتل منهم نحواً من سبعة آلاف، ورجعوا إلى المغرب فقتل المهدي حامسة وعاد مؤنس إلى بغداد.

ولاية ذكاء الأعور:

لم يزل تكين الخزري واليا على مصر استخلافاً إلى أن صرف آخر إثنتين وثلاثمائة، فولّى المقتدر مكانه أبا الحسن ذكاء الأعور، وقدم منتصف صفر من سنة ثلاث فلم يزل واليا عليها إلى أن توفي سبع لأربع سنين من ولايته.

ولاية تكين الخزري ثانية:

لما صرف المقتدر ذكاء ولّى مكانه أبا منصور تكين الخزري ولاية ثانية، فقدم في شعبان سنة سبع، وكان عبيد الله المهدي قد جهّز العساكر مع ابنه أبي القاسم، ووصل إلى الإسكندرية في ربيع من سنة سبع وملكها. ثم سار إلى مصر، وملك الجزيرة والأشمونين من الصعيد وما إليه، وكتب أهل مكة بطاعته. وبعث المقتدر من بغداد مؤنساً الخادم في العساكر فواقع ابا القاسم عدة وقعات، وجاء الأسطول من إفريقيا إلى الإسكندرية في ثمانين مركباً مدداً لأبي القاسم، وعليه سليمان بن الخادم، ويعقوب الكتامي فسار إليهم في أسطول طرسوس في خمسة وعشرين مركباً، وفيها النفط والمدد، وعليها أبو اليمن فالتقت العساكر في الأساطيل في مرسى رشيد. فظفر أسطول طرسوس بأسطول إفريقيا، واشر كثير منهم. وقتل بعضهم، وأطلق البعض. وأسر سليمان الخادم فهلك في محبسه بمصر، وأسر يعقوب الكتامي وحمل إلى بغداد فهرب منها إلى أفريقيا. واتصل الحرب بين أبي القاسم ومؤنس، وكان الظفر لمؤنس، ووقع الغلاء والوباء في عسكر أبي القاسم ففني كثير منهم بالموت. ووقع الموتان في الخيل فعاد العسكر إلى المغرب، واتبعهم عساكر مصر حتى أبعدوا فرجعوا عنهم. ووصل أبو القاسم إلى القيروان منتصف السنة. ورجع مؤنس إلى بغداد، وقدم تكين إلى مصر كما مرّ، ولم يزل والياً عليها إلى أن صرف في ربيع من سنة تسع.

ولاية أحمد بن كيغلغ:

ولّاه المقتدر بعد هلال بن بدر فقدم في جمادى، وصرف لخمسة أشهر من ولايته. وأعيد تكين المرّة الثالثة فقدم في عاشوراء سنة ثلاث عشرة، وأقام والياً عليها تسع سنين إلى أن توفي في منتصف ربيع الأوّل سنة إحدى وعشرين. وفي أيامه جدّد المقتدر عهده لابنه أبي العباس على بلاد المغرب ومصر والشام

واستخلف له مؤنساً، وذلك سنة ثمان عشرة. وقال ابن الأثير: وفي سنة إحدى وعشرين توفي تكين الخزري بمصر فولي عليها مكانه ابنه محمد، وبعث له القاهر بالخلع، وثار به الجند فظفر بهم انتهى.

ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية:

ولّاه القاهر في شوّال سنة إحدى وعشرين بعد أن كان ولّى محمد بن طغج، وهو عامل دمشق، وصرفه لشهر من ولايته قبل أن يتسلم العمل، وردّه إلى أحمد بن كيغلغ كما قلناه. فقدم مصر في رجب سنة إثنتين وعشرين وثلاثمائة. ثم عزل آخر رمضان من سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وولي الراضي الخليفة بأن يدعى على المنبر باسمه ويزاد في ألقابه الأخشيد فقام بولاية مصر أحسن قيام ثم انتزع الشام من يده كما يذكر.

استيلاء ابن رائق علي الشام من يد الأخشيد:

كان محمد بن رائق أمير الأمراء ببغداد، وقد مر ذكره. ثم نازعه مولاه تحكم وولى مكانه سنة ست وعشرين وثلاثمائة. وهرب ابن رائق ثم استتر ببغداد، واستولى عليها؟ ورجع الخليفة من تكريت بعد أن كان قدم تحكم. ثم كتب إليه واستردّه، وقد عقد الصلح مع ناصر الدولة بن حمدان من قبل أن يسمع بخبر ابن رائق. ثم عادوا جميعاً وراسلهم ابن رائق مع أبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد في الصلح فأجيب وقلّده الراضي طريق الفرات وديار مضر التي هي حران والرّها وما جاورهما وجند قّنسرين والعواصم فسار إليها واستقر بها. ثم طمحت نفسه سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة إلى ملك الشام فسار إلى مدينة حمص فملكها، وكان على دمشق بدر بن عبد الله مولى الأخشيد ويلقّب بتدبير فملكها ابن رائق من يده، وسار إلى الرملة يريد مصر. وبرز الأخشيد من مصر فالتقوا بالعريش، وأكمن له

الأخشيد؟ ثم التقيا فانهزم الأخشيد أولاً، وملك أصحاب ابن رائق سواده، ونزلوا في خيامهم. ثم خرج عليهم كمين الأخشيد فانهزموا ونجا ابن رائق إلى دمشق في فل من أصحابه، فبعث إليه الأخشيد أخاه أبا نصير بن طغج في العسكر فبرز إليهم ابن رائق وهزمهم، وقتل أبو نصر في المعركة فبعث ابن رائق شلوه إلى مصر مع ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكتب إليه بالعزاء والاعتذار، وأن مزاحماً في فدائه فخلع عليه وردّه إلى أبيه. وتمّ الصلح بينهما على أن تكون الشام لابن رائق، ومصر للأخشيد، والتخم بينهما للرملة. وحمل الأخشيد وبقي في عمالة ابن رائق إلى أن قتل تحكم والبريدي. وعاد ابن رائق من الشام إلى بغداد فاستدعاه المتقي وصار أمير الأمراء بها، فاستخلف على الشام أبا الحسن عليّ بن أحمد بن مقاتل. ولما وصل إلى بغداد قاتله كورتكين القائم بالدولة فظفر به وحبسه وقاتل عامّه أصحابه من الديلم. وزحف إليهم البريدي من واسط سنة ثلاثين وثلاثمائة فانهزم المتقي وابن رائق وسار إلى الموصل. وكان المتقي قد استنجد ناصر الدولة بن حمدان فبعث إليه أخاه سيف الدولة ولقيه المتقي بتكريت، ورجع معه إلى الموصل وقتل ناصر الدولة بن حمدان محمد بن رائق، وولي إمارة الأمراء للمتقي. فلما سمع الأخشيد بمقتل ابن رائق سار إلى دمشق، ثم استولى يوسف بعد ذلك عليها سنة إثنتين وثلاثين وثلاثمائة. وولّي ناصر الدولة بن حمدان في ربيع سنة اثنتين وثلاثين وثاثمائة على أعمال ابن رائق كلّها: وهي طريق الفرات وديار مفر وجند قنسرين، والعواصم وحمص أبا بكر محمد عليّ بن مقاتل، وأنفده إليها من الموصل في جماعة من القوّاد. ثم ولّى بعده في رجب ابن عمه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان على تلك الأعمال ؛ وامتنع أهل الكوفة من طاعته فظفر بهم وملكها. وسار إلى حلب، وكان المتقي قد سار إلى الموصل سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة مغاضباً لأمير الأمراء تورون فأقام بالموصل عند بني حمدان. ثم سار إلى الرقة فأقام بها، وكتب إلى الأخشيد يشكو إليه ويستقدمه فأتاهما النصر. ومرّ بحلب فخرج عنها الحسين بن سعيد بن حمدان وتخلف عنه أبو بكر بن مقاتل للقاء الأخشيد فأكرمه، واستعمله على خراج مصر. وولّى على حلب يأنس المؤنسي. وسار الأخشيد من حلب إلى الرقة في محرم سنة ثلاث

وثلاثين وثلاثمائة وأهدى له ولوزيره الحسين بن مقله وحاشيته، وأشار عليه بالمسير إلى مصر

والشام ليقوم بخدمته فأبى فخوّفه من تورون وأن يلزم الرقّة. وكان قد أنفذ رسله إلى تورون في الصلح وجاؤه بالإجابة فلم يعرج على شيء من إشارته. وسار إلى بغداد، وانصرف الأخشيد

إلى مصر وكان سيف الدولة بالرقّة معهم فسار إلى حلب وملكها، ثم سار إلى حمص. وبعث الأخشيد عساكره إليها مع كافور مولاه فلقيهم سيف الدولة إلى قنسرين، والتقيا هنالك وتحاربا. ثم افترقا على منعة وعاد الأخشيد إلى دمشق، وسيف الدولة إلى حلب؟ وذلك سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. وسارت الروم إلى حلب وقاتلهم سيف الدولة فظفر بهم.

وفاة الأخشيد وولاية ابنه أنوجور

واستبداد كافور عليه واستيلاء سيف الدولة على دمشق:

ثم توفي الإخشيد أبو بكر بن طغج بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقيل خمس، وولي مكانه أبو القاسم أنوجور وكان صغيراً فاستبدّ عليه كافور، وسار من دمشق إلى مصر فخالفه سيف الدولة فسار إلى حلب، وزحف أنوجور في العساكر إليه فعبر سيف الدولة إلى الجزيرة، وحاصر أنوجور حلب أياماً. ثم وقع الصلح بينهما، وعاد سيف الدولة إلى حلب وأنوجور إلى مصر، ومضى كافور إلى دمشق، وولى عليها بدراً الأخشيدي المعروف بتدبير فرجع إلى مصر فأقام بدربها سنة، ثم عزل عنها وولى أبو المظفّر طغج وقبض على تدبير.

وفاة أنوجور ووفاة أخيه علي واستبداد كافور عليه:

ثم علت سن أبي القاسم أنوجور ورام الاستبداد بأمره وإزالة كافور فشعر به وقتله فيما قيل مسموماً سنة ونصّب أخاه علياً للأمر في كفالته، وتحت استبداده إلى أن هلك.

وفاة علي بن الأخشيد وولاية كافور:

ثم توفي علي بن الأخشيد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة. فأعلن كافور بالاستبداد بالأمر دون بني الأخشيد، وركب بالمظلّة. وكتب له المطيع بعهده على مصر والشام والحرمين وكناه العالي بالله فيم يقبل الكنية، واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفرات. وكان من أعاظم الملوك جواداً ممدوحاً سيوساً كثير الخشية لله والخوف منه. وكان يداري المعزّ صاحب المغرب ويهاديه، وصاحب بغداد وصاحب اليمن، وكان يجلس للمظالم في كل سبت إلى أن هلك.

وفاة كافور وولاية أحمد بن علي بن الأخشيد:

ثم توفي كافور منتصف سبع وخمسين وثلاثمائة لعشره سنين وثلاثة أشهر من استبداده، منها سنتان وأربعه أشهر مستقلاً من قبل المطيع، وكان أسود شديد السواد، واشتراه الأخشيد بثمانية عشر ديناراً. ولما هلك اجتمع أهل الدولة وولّوا أحمد بن علي بن الأخشيد وكنيته أبو الفوارس، وقام بتدبير أمره الحسن إ بن عمه عبد الله بن طغج، وعلى العساكر شمول مولى جدّه، وعلى الأموال جعفر بن الفضل، واستوزر كاتبه جابر الرياحي. ثم أطلق ابن الفرات بشفاعة ابن مسلم الشريف، وفوّض أمر مصر إلى ابن الرياحي.

مسير جوهر إلى مصر وانقراض دولة بني طغج:

ولما فرغ المعز لدين الله من شواغل المغرب بعث قائده جوهر الصّقلي الكاتب إلى مصر، وجهّزه في العساكر، وأزاح عللها. وسار جوهر من القيروان إلى مصر ومرّ ببرقة، وبها أفلح مولى المعز فلقيه وترجل له فملك الإسكندرية، ثم الجيزة. ثم أجاز إلى مصر وحاصرها، وبها أحمد بن علي بن الأخشيد وأهل دولته. ثم افتتحها سنة

ثمان وخمسين وقتل أبا الفوارس، وبعث بضائعهم وأموالهم إلى القيروان صحبة الوفد من مشيخة مصر وقضاتها وعلمائها. وانقرضت دولة بني طغج، وأذّن سنة تسع وخمسين في جامع ابن طولون بحيّ علي خير العمل. وتحوّلت الدعوة بمصر للعلوية واختطّ جوهر مدينة القاهرة في موضع العسكر، وسير جعفر بن فلاح الكتامي إلى الشام فغلب القرامطة عليه كما تقدّم ذلك في أخبارهم.

الخبر عن دولة بني ملا ان بديار بكر بعد بني حمدان ومبادىء أمورهم وتصاريف أحوالهم:

كان حق هذه الدولة أن نصل ذكرها بدولة بني حمدان كما فعلنا في دولة بني المقلّد بالموصل، وبني صالح بن مرداس بحلب ؛ لأنّ هذه الدول الثلاث إنما نشأت وتفرعت عن دولتهم ؛ إلا أن بني مروان هؤلاء ليسوا من العرب، وإنما هم من الأكراد فأخّرنا دولتهم حتى ننسقها مع العجم. ثم أخرّناها عن دولة بني طولون، لأنّ دولة بني طولون متقدّمة عنها في الزمن بكثير. فلنشرع الآن في الخبر عن دولة بني مر وان. وقد كان تقدم لنا خبر باد الكردي وإسمه الحسين بن دوشك، وكنيته أبو عبد الله، وقيل كنيته أبو شجاع، وإنه خال أبي عليّ بن مروان الكردي وأنه تغلّب على الموصل وعلى ديار بكر، ونازع فيها الديلم. ثم غلبوه عليها وأقام بجبال الأكراد. ثم مات عضد الدولة وشرف الدولة. ثم جاء أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسن إلى الموصل فملكاها. ثم حدثت الفتنة بينهما وبين الديلم، وطمع باد في ملك الموصل، وهو بديار بكر فسار إلى الموصل فغلبه ابنا ناصر الدولة، وقتل في المعركة، وقد مرّ الخبر عن ذلك كله. فلما قتل خلص ابن اخته أبو علي بن مروان من المعركة، ولحق بحصن كيفا، وبه أهل باد، وذخيرته، وهو من أمنع المعاقل فتحيل في دخوله بأن خاله أرسله، واستولى عليه، وتزوج امرأة خاله. ثم سار في ديار بكر فملك جميع ما كان لخاله باد. وزحف إليه إبنا حمدان وهو يحاصر ميّافارقين فهزمهما. ثم رجعا إليه وهو يحاصر آمد فهزمهما ثانياً، وانقرض أمرهما من الموصل، وملك أبو علي بن مروان ديار بكر وضبطها، واستطال عليه أهل ميّافارقين وكان شيخها أبو الأصغر

فتركهم يوم العيد حتى أصحروا وكبسهم بالصحراء، وأخذ أبا الأصغر فألقاه من السور،

ونهب الأكراد عامّة البلد، وأغلق أبو علي الأبواب دونهم، ومنعهم من الدخول فذهبوا كل مذهب، وذلك كله سنة ثمانين وثلاثمائة.

مقتل أبي علي بن مروان وولاية أخيه أبي منصور:

كان أبو علي بن مروان قد تزوّج بنت سعد الدولة بن سيف الدولة، وزفّت إليه من حلب وأراد البناء بها بآمد فخاف شيخها ان يفعل به وبهم ما فعل في ميّافارقين فحذر أصحابه منه، واشار عليهم ان ينثروا الدنانير والدراهم اذا دخل، ويقصدوا بها وجهه فيضربوه فكان كذلك. ثم أغفله وضرب رأسه، واختلط أصحابه فرمى برأسه إليهم وكر الأكراد راجعين إلى ميافارقين فاستراب بهم مستحفظا ان يملكوها عليه، ومنعهم من الدخول. ثم وصل مهد الدولة ابو منصور بن مروان اخو أبي علي إلى ميافارقين فامكنه المستحفظ من الدخول فملكه، ولم يكن له فيه إلا السكّة والخطبة، ونازعه اخوه ابو نصر فأقام بها مضيّقاً عليه فغلبه أبو منصور، وبعثه إلى قلعة اسعرد فأقام بها مضيّقاً عليه. وأمّا آمد فتغلّب عليها عبد الله شيخهم اياماً، وزوّج ابنته من ابن دمنة الذي تولّى قتل أبي علي بن مروان فقتله ابن دمنة، وملك آمد، وبنى لنفسه قصراً ملاصقاً للسور. واصلح أمره مع مهد الدولة بالطاعة. وهادى ملك الروم، وصاحب مصر وغيرهما من الملوك، وانتشر ذكره.

مقتل مهد الدولة بن مروان وولاية أخيه أبي نصر:

ثم إن مهد الدولة أقام بميّافارقين، وكان قائده شروة متحكماً في دولته. وكان له مولى قد ولّاه الشرطة. وكان مهد الدولة يبغضه، ويهمّ بقتله مراراً، ثم يتركه من أجل شروة فاستفسد مولاه شروة على مهد الدولة لحضوره. فلما حضر عنده قتله، وذلك سنة إثنتين واربعمائة. ثم خرج على أصحابه وقرابته يقبض عليهم كأنه بأمر مهد الدولة. ثم مضى إلى ميافارقين ففتحوا له يظنونه مهد الدولة فملكها، وكتب إلى أصحاب

القلاع يستدعيهم على لسان مهد الدولة، وفيهم خواجا ابو القاسم صاحب ارزن الروم، فسار إلى ميّافارقين، ولم يسلم القلعة لأحد. وسمع في طريقه بقتل مهد الدولة فرجع من الطريق إلى أرزن الروم، واحضّر أبا نصر بن مروان من اسعرد، وجاء به إلى أبيهم مروان. وكان قد اضر، ولزم قبر ابنه أبي علي بارزن هو وزوجته فأحضره خواجا عنده، واستحلفه عند أبيه وقبر أخيه، وملك أرزن. وبعث شروة من ميّافارقين إلى اسعرد عن أبي نصر بن مروان ففاته إلى أرزن، فأيّقن بانتقاض أمره. ثم ملك أبو نصر سائر ديار بكر، ولقّب نصير الدولة، ودامت أيامه. وأحسن السيرة، وقصده العلماء من سائر الآفاق وكثروا عنده. وكان ممن قصده ابو عبد الله الكازروني، وعنه انتشر مذهب الشافعيّ بديار بكر، وقصده الشعراء ومدحوه وأجزل جوائزهم. وأقامت الثغور معه آمنة، والرعية في احسن ملكة إلى أن توفي.

استيلاء نصير الدولة بن مروان علي الرها:

كانت مدينة الرّها بيد عطير، وكاتبوا ابا نصر بن مروان أن يملكوه فبعث نائبه بأمد ويسمى زنك فملكها، واستشفع عطير بصالح بن مرداس صاحب حلب إلى ابن مروا فأعطاه نصف البلد، ودخل إلى نصير الدولة بميّافارقين فأكرمه ومضى إلى الرها فأقام مع زنك. وحضر بعض الأيام مع زنك في صنيع، وحضر ابن النائب الذي قتله زنك على الأخذ بثأره فاتبعه لما خرج، ونادى بالثأر، واستنفر أهل السوق فقتلوه في ثلاثة نفر. وكمن له بنو نمير خارج البلد، وبعثوا من يغير منهم عليها فخرج زنك في العسكر ولما جاوز الكمين خرجوا عليه وقاتلوه، وأصابه حجر فمات من ذلك فاتح ثمان عشرة، وخلصت الرّها لنصير الدولة. ثم شفع صالح بن مرداس في ابن عطير وابن شبل فردّ إليهما البلد، إلى أن باعه ابن عطير من الروم كما يأتي.

حصار بدران بن مقلد نصيبين:

كانت نصيبين لنصير الدولة بن نصر بن مروان فسار إليها بدران بن المقلّد في جموع

بني عقيل، وحاصرها فظهر على العساكر الذين بها، وأمدّهم نصير الدولة بعسكر آخر فبعث بدران من اعتراضهم في طريقهم، وهزمهم فاحتفل ابن مروان في الإحتشاد، وبعث العساكر إلى نصيبين فخرجوا عليه فهزموه أوّلاً ثم كرّ عليهم ففتك فيهم، وأقام يقاتلهم حتى سمع بأنّ اخاه قرواش وصل إلى الموصل فخشي منه وارتحل عنها.

دخول الغز إلى ديار بكر:

هؤلاء الغزّ من طوائف الترك، وهم الشعب الذين منهم السلجوقية، وقد تقدّم لنا كيف أجازوا إلى خراسان لما قبض محمد بن سبكتكين على أرسلان بن سلجق منهم فحبسه، وما ظهر من فسادهم في خراسان، وكيف أوقع بهم مسعود بن سبكتكين من بعد أبيه محمود ففروا في البرية يريدون أذربيجان واللحاق بمن تقدّم منهم هنالك، ويسمون العراقية بعد أن عاثوا في همذان وقزوين وأرمينية. وعاث الآخرون في أذربيجان، وقتل وهشوذان صاحب تبريز منهم جماعه، ثم عاثوا في الأكراد واستباحوهم. ثم جاءهم الخبر بأن نيال إبراهيم أخا السلطان طغرلبك سار إلى الرفيّ فأجفلوا منها سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، ووصلوا أذربيجان واتصلت الأخبار بأن نيال في أثرهم فأجفلوا ثانياً خوفاً منه، لأنهم كانوا له ولإخوته رعّية.

ولما أجفلوا سلك بهم الدليل في الجبال على الزّوزن، وأسهلوا إلى جزيرة ابن عمر فسار بعضهم إلى ديار بكر، ونهبوا قزوين ويازدي والحسنية، وبقي آخرون بالجانب الشرفي من الجزيرة، وسار آخرون إلى الموصل. وكان سليمان بن نصير الدولة قيماً بها فراسلهم في الصلح على أن يسير معهم إلى الشام فقبلوا. ثم صنع سليمان صنيعاً ودعا إليه ابن غزعلي، وقبض عليه وحبسه. وأجفل الغز في كل ناحية، واتبعهم عساكر نصير الدولة، وقرواش والأكراد البشنويّة. ثم قصدت العرب العراق للمشتى،

وعاد الغزّ إلى جزيرة أبن عمر فحصروها، وخّربوا ديار بكر نهباً وقتلا. وصانعهم نصير الدولة بإطلاق منصور بن غزعلي الذي حبسه سليمان فلم يكف إطلاقه من فسادهم، وساروا إلى نصيبين وسنجار والخابور، ودخل قرواش الموصل كما نبهنا، واتبعه طائفة منهم فكان من خبرة معهم ما قدّمناه في أخباره.

مسير الروم إلى بلد ابن مروان ثم فتح الرها:

ولما كانت الدعوة العلويّة قد انتشرت في الشام والجزيرة، وكان سبب ذلك أنّ وثاباً النميريّ صاحب حّران والرقّة يخطب لهم فلمّا ولي الوزيري للعلويّين على الشام بعث إلى ابن مروان بالتهديد، وأنه يسير إلى بلاده فاستمدّ ابن مروان قرواش صاحب الموصل، وشبيب بن وثاب صاحب الرقّة، ودعاهما إلى الموافقة، وقطع الدعوة العلويّة فأجابوه، وخطبوا للقائم وقطعوا الخطبة للمستنصر، وذلك سنة ثلاثين وأربعمئة فقام الوزيري في ركائبه وتهدّدهم وأعاد ابن وثّاب خطبة العلوية بحّران في ذي الحجة آخر السنة.

مقتل سليمان بن نصير الدولة:

كان نصير الدولة قد ولّى ابنه سليمان،(ويكّنى أبا حرب) الأمور، وكان يحاوره في الجزيرة بشرموشك بن المحلي زعيم الأكراد في حصون له هنالك منيعة، ووقعت بينهما منافرة. ثم استماله سليمان ومكر به. وكان الأمير أبو طاهر البثنّوي صاحب قلعة فنك وغيرها، وهو ابن أخت نصير الدولة، وكان صديقاً لسليمان فكان مما استماله به موشك أن زوّجه بابنة أبي طاهر فاطمأن موشك إلى سليمان، وسار إلى غزو الروم بأرمينية. وأمدّه نصير الدولة بن مروان بالعساكر والهدايا، وقد كان خطب له من قبل ذلك، وأطاعه فشفع عنده في موشك فقتله سليمان، وقال لطغرلبك أنه مات. وشكر له ابو طاهر حيث كان صهره واتخذها ذريعة إلى قتله فخافه سليمان، وتبرّأ إليه مما وقع فأظهر القبول، ولي الإجتماع، ونزل من حصنه فنك لذلك. وخرج سليمان

إليه في قلّة من أصحابه فقتله عبيد الله وأدرك من ثار أبيه. وبلغ الخبر إلى نصير الدولة فبادر بابنه نصير، وبعث معه العساكر لحماية الجزيرة وسمع قريش بن بدران صاحب الموصل فطمع في ملك جزيرة ابن عمر فسار إليها، واستمال الأكراد الحسنية والبثنوية، واجتمعوا على قتال نصير بن مروان فأحسن المدافعة عن بلده، وقاتلهم وجرح قريش جراحاً عديدة، ورجع إلى الموصل وأقام نصير بن مروان بالجزيرة والأكراد على خلافه.

مسير طغرلبك إلى ديار بكر:

ولما ان صرف طغرلبك من الموصل وملكها، وفرّ قريش عنها. ثم عاود الطاعة وذلك سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، فسار طغرلبك بعدها إلى ديار بكر، وحاصر جزيرة ابن عمر. وكان ابن مروان في خدمته وهداياه مترادفة عليه في مسيره إلى الموصل وعوده. فبعث إليه بالمال مفاداة عن الجزيرة، ويذكر ما هو بصدده من الجهاد وحماية الثغر فأفرج عنه طغرلبك، وسار إلى سنجار كما ذكرناه في أخبار قريش.

وفاة نصير الدولة بن مروان وولاية ابنه نصر:

وفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة توفي نصير الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر، وكان لقبه القادر بالله. ومات لإثنتين وخمسين سنة من ولايته. وكان قد عظم استيلاؤه، وتوفرت أمواله، وحسّن في عمارة الثغور وضبطها اثره. وكان يهادي السلطان طغرلبك بالهدايا العظيمة، ومنها حبل الياقوت الذي كان لبني بويه، اشتراه من أبي منصور بن جلال الدولة، وأرسل معه مائة ألف دينار فحسنت حاله عنده، وكان يناغي عظماء الملوك في الترف فيشتري الجارية بخمسمائة دينار

وأكثر. واجتمع عنده منهن للافتراش والاستخدام أزيد من ألف واقتنى من الأواني والآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار. وجمع في عصمته بنات الملوك، وأرسل طباخين إلى الديار المصرية، وأنفق عليهم جملة حتى تعلموا الطبخ هنالك. ووفد عليه أبو القاسم بن المغربي من أهل الدولة العلويّة بمصر، وفخر الدولة بن جهير من الدولة العبّاسيّة فاقبل عليهما واستوزرهما. ووفد عليه الشعراء فوصلهم، وقصده العلماء فحمدوا عنده مقامهم ولما توفي في كان الظفر فيها لنصر واستقر بميّافارقين، ومضى أخوه سعيد إلى آمد فملكها، واستقّر الحال بينهما على ذلك.

وفاة نصير الدولة وولاية ابنه منصور:

ثم توفي نظام الدين نصر بن نصير الدولة في ذي الحجة سنة إثنتين وسبعين وأربعمائة، وولي ابنه منصور، ودبّر دولته ابن الأنباري، ولم يزل في ملكه إلى أن قدم ابن جهير، وملك البلاد من يده.

مسير ابن جهير إلى ديار بكر:

كان فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير من أهل الموصل، واستخدم لجارية قرواش، ثم لأخيه بركة، وسار عنه بالعوائد إلى ملك الروم. ثم استخدم لقريش بن بدران، وأراد حبسه فاستجار ببعض بني عقيل، ومضى إلى حلب فوزر لمعزّ الدولة أبي ثمال بن صالح. ثم مضى إلى عطّية ولحق منها بنصير الدولة بن مروان، واستوزره وأصلح حال دولته. ولما توفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة دبّر أمر ابنه نصر القائم بعده. ثم هرب إلى بغداد سنة أربع وخمسين وأربعمائة، استدعى منها للوزارة فوزر بعد محمد بن منصور بن دؤاد. ثم تداول العزل والولاة مرات هو وابنه عميد الملك، واستخدم لنظام الملك والسلطان طغرلبك. وكان شفع عند الخليفة فلما

عزل ابنه آخرا بعث عنه السلطان ونظام الملك، وعن ابنه وجميع أقاربه، وسار إليه بأصفهان ولقاه مبرة وتكريما. وبعثه في العساكر لفتح ديار بكر، وأخذها من يد بني مروان، وأعطاه الآلات، وأذن له أن يخطب لنفسه بعد السلطان، وينقش إسمه على السكة فسار لذلك سنة ست وسبعين وأربعمائة.

استيلاء ابن جهير علي أمد:

قد ذكرنا مسير فخر الدولة بن جهير في العساكر إلى ديار بكر، ثم أمده السلطان سنة سبع وسبعين وأربعمائة بأرتق بن أكسك في العساكر. واستنجد نصر بن مروان شرف الدولة مسلم بن قريش على أن يعطيه آمد فأنجده، وسار لمظاهرته فأقصر فخر الدولة بن جهير عن حربهم عصبة للعرب. وخالفه أرتق، وسار في الترك إليهم وهزمهم، ولحق مسلم بآمد وحاصره بها فبذل المال لأرتق. وخلص من أمره، ولحق بالرقّة وسار ابن جهير إلى ميافارقين فرجع عنه منصور بن مزيد، وابنه صدقة ومن معهما من العرب. وسار فخر الدولة المعروف بالقرم فنزل عليها، وشدّد حصارها، ونزل يوماً بعض الحامية من السور، وأخلى مكانه فوقف فيه بعض العامّة، ونادى بشعار السلطان، واتبعه سائر الحامية بالسور. وبعثوا إلى زعيم الرؤساء ابن جهير فركب إليهم، وملك البلد . وذلك سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. ونصب أهل البلد بيوت النصارى الذين كانوا يستخدمون لبني مروان في الجبايات. وانتقموا منهم، والله أعلم.

استيلاء ابن جهير علي ميافارقين وجزيرة افي عمر وانقراض دولة بني مروان:

كان فخر الدولة بن جهير لما بعث ابنه إلى آمد سار هو إلى ميّافارقين، وأقام على حصارها منذ سنة سبع وسبعين وأربعمائة. وجاءه سعد الدولة وكوهرايين مدداً، واشتد الحصار، وأنثلم السور في تعض الأيام فنادى أهلها بشعار ملك شاه. ودخل فخر

الدولة، وملك البلد، واستولى على أموال بني مروان وذخائرهم، وبعثها إلى السلطان ملك شاه مع ابنه زعيم الرؤساء فوصل أصفهان في شوّال سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. وسار فخر الدولة وكوهرايين إلى بغداد، وكان قد– بحث عسكراً لحصار جزيرة ابن عمر فحصروها، وثار بها أهل بيت من أعيانها يعرفون ببني رهان، وفتحوا باباً صغيراً للبلد كان منفذاً للرجّالة، وأدخلوا العسكر منه، وملكوه بدعوة السلطان ملك شاه. وانقرضت دولة بني مروان، ولحق منصور بن نظام الدين نصر بن نصير الدولة بالجزيرة، وأقام في ايالة الغزّ. ثم قبض عليه جكرمش وحبسه بدار يهودي فمات بها سنة تسع وثمانين وأربعمائة، والبقاء لله وحده.

دولة بني الصفار

الخبر عق دولة بني الصفار ملوك سجستان المتغلبين علي خراسان ومبادىء أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان أهل هذه الدولة قوماً اجتمعو بنواحي سجستان، ونصّبوا لقتال الخوارج الشّراة بتلك الناحية عندما اضطربت الدولة ببغداد لقتل المتوكّل، وسمّو أنفسهم المتطّوعة. وكان اجتماعهم على صالح بن نصير الكناني، ويقال له صالح المتطّوعة، وصحبه جماعة منهم: درهم بن الحسن، ويعقوب بن الليث الصفّار، وغلبوا على سجستان وملكوها. ثم سار إليهم طاهر بن عبد الله أمير خراسان، وغلبهم عليها وأخرجهم منها. ثم هلك صالح اثر ذلك، وقام بامره في المتطّوعة درهم بن الحسن فكثر أتباعه. وكان يعقوب بن الليث قائده، وكان درهم مضعّفاً فتحيّل صاحب خراسان عليه حتى ظفر به، وبعثه إلى بغداد فحبس بها، واجتمع المتطّوعة على يعقوب بن الليث قائده، وكان درهم

يكاتب المعتزّ يسأله ولايتها، وأن يقلّده حرب الخوارج فكتب له بذلك. وأحسن الغناء في حرب الشراة، وتجاوزه إلى سائر أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم سار من سجستان إلى خراسان سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وعلي الأنبار ابن أوس فجمع لمحاربة يعقوب، وسار إليهم في التعبية فاقتتلوا، وانهزم ابن اوس ، وملك يعقوب قراة وبوشنج، وعظم أمره، وهابه صاحب خراسان وغيرها من الأطراف.

استيلاء يعقوب الصفار علي كرمان ثم علي فارس وعودها:

كان على فارس علي بن الحسن بن شبل، وكتب إلى المعتز يطلب كرمان، ويذكر عجز ابن طاهر عنها. وكان قد أبطأ عن حرب الخوارج فكتب له المعتز بولاية كرمان، وكتب ليعقوب الصفار أيضاً بولايتها بقصد التضريب بينهما لتتمحّص طاعتهما أو طاعة أحدهما. فارسل علي بن الحسين من فارس على كرمان طوق بن المفلّس من أصحابه فسبق إليها يعقوب وملكها. وجاء يعقوب فأقام قريباً منها شهرين يترقب خروج طوق إليه، ثم ارتحل إلى سجستان؟ ووضع طوق أوزار الحرب، وأقبل على اللهو، واتصل ذلك بيعقوب في طريقه فكّر راجعاً، وأغذّ السير، ودخل كرمان، وحبس طوقا. وبلغ الخبر إلى عليّ بن الحسين، وهو شيراز فجمع عسكره ونزل مضيّق شيراز.

وأقبل يعقوب حتى نزل قبالته، والمضيق متوعر بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما فاقتحم يعقوب النهر بأصحابه، وأجاز إلى علي بن الحسين وأصحابه فانهزموا. وأخذ عليّ بن الحسين أسيراً، واستولى على سواده، ودخل شيراز وملكها، وجبى الخراج، وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين. وقيل قد وقع بينهما بعد عبور النهر حروب شديدة، وانهزم آخرها علي، وكان عسكره نحواً من خمسة عشر ألفاً من الموالي والأكراد فرجعوا منهزمين إلى شيراز آخر يومهم، وازدحموا في الأبواب، وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف. ثم افترقوا في نواحي فارس، وانتهبوا الأموال. ولما دخل يعقوب شيراز، وملك فارس امتحن علياً وأخذ منه ألف بدرة ومن الفرش والسلاح والآلة ما لا يحصى، وكتب للخليفة بطاعته، وأهدى هدية جليلة منها عشرة بازات بيض، وباز أبلق صيني، ومائة نافجة من إلى مسك، وغير ذلك من الطرف، ورجع إلى سجستان ومعه علي، وطوق في اعتقاله، ولما فارق فارس بعث المعتز عماله إليها.

ولاية يعقوب الصفار علي بلخ وهراة:

ولما انصرف يعقوب عن فارس، ولّى عليها المعتز من قبله والخلفاء بعده، وليها

الحارث بن سيما فوثب به محمد بن واصل بن إبراهيم التميمي من رجال العرب، وأحمد بن الليث من الأكراد الذين بنواحيها فقتلاه، واستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين ومائتين، وأظهر دعوة المعتمد. وبعث عليها المعتمد الحسين بن الفياض فسار إليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين ومائتين، وكتب إليه المعتمد بالنكير على ذلك. وبعث إليه الموفّق بولاية بلخ طخارستان فملكها، وخرّب المباني التي بناها داود بن العبّاس بظاهر بلخ، وتسمّى باساديانج. ثم سار إلى كابل، واستولى عليها، وقبض على رتبيل، وبعث بالأصنام التي أخذها من كابل، وملك البلاد إلى المعتمد. وأهدى إليه هدية جليلة المقدار، وعاد إلى بست معتزماً على العود إلى سجستان فاحفظه بعض قوّاده بالرحيل قبله فغضب، وأقام منه إلى سجستان. ثم سار إلى خراسان، وملك هراة. ثم إلى بوشنج فملكها، وقبض على عاملها الحسين بن علي بن طاهر الكبير، وكان كبير بيتهم. وشفع له فيه محمد بن طاهر صاحب خراسان فأبى من إسعافه، وبقي في قلبه وولّى على هراة وبوشنج وباذغيس ورجع إلى سجستان.

استيلاء الصفار علي خراسان وانقراض أمر بني طاهر:

كان بسجستان عبد الله السجزيّ ينازع يعقوب بن الليث، فلمّا قوي يعقوب واستفحل سار عبد الله إلى خراسان، وطمع في ملكها، وحاصر محمد بن طاهر في كرسيّ ولايته نيسابور. ثم تردّد الفقهاء بينهم في الصلح حتى تمّ بينهما، وولّاه محمد الطبسين وقهستان. ثم بعث يعقوب إلى محمد في طلبه فأجاره، وأحفظ ذلك يعقوب فسار إلى محمد بنيسابور، فخام محمد عن لقائه. ونزل يعقوب بظاهر نيسابور، وخرج إليه قرابة محمد وعمومته وأهل بيته، ودخل نيسابور واستعمل عليها وذلك سنة تسع وخمسين ومائتين، وكتب إلى المعتمد بأنّ أهل خراسان استدعوه لعجز ابن طاهر وتفريطه في أمره. وغلبه العلويّ على طبرستان فكتب إليه المعتمد بالنكير والاقتصار على ما بيده، وإلاّ سلك به سبيل المخالفين. وقيل في ملكه نيسابور غير

ذلك، وهو أن محمد بن طاهر لما أصاب دولته العجز والإدبار كاتب بعض قرابته يعقوب بن الليث الصفّار. واستدعوه فكتب يعقوب إلى محمد بن طاهر بمجيئه إلى ناحيته موريا بقصد الحسن بن زيد في طبرستان. وأنّ المعتمد أمره بذلك، وأنه لا يعرض لشيء من أمر خراسان. وبعث بعض قوّاده عيناً عليه، وعنّفه على الإهمال والعجز، وقبض على جميع أهل بيته نحواً من مائة وستين رجلا. وحملهم جميعاً إلى سجستان، وذلك لإحدى عشرة سنة من ولاية محمد. واستولى يعقوب على خراسان، وهرب منازعه عبد الله السجزيّ إلى الحسين بن يزيد صاحب طبرستان، وقد كان ملكها من لدن سنة إحدى وخمسين ومائتين فأجاره الحسين. وسار إليه يعقوب سنة ستين وحاربه فانهزم الحسين إلى أرض الديلم، واعتصم بجبال طبرستان. وملك يعقوب سارية وآمد، ورجع في طلب السّنجريّ إلى الريّ، وتهدد العامل على دفعه إليه فبعث به وقتله يعقوب.

استيلاء الصفار علي فارس:

قد تقدم لنا تغلّب محمد بن واصل على فارس سنة ست وخمسين ومائتين، ومسير الصفّار إليه سنة سبع وثلاثمائة، ورجوعه عنها، وأنه أعاضه عنها ببلخ وطخارستان. ثم إن المعتمد أضاف فارس إلى موسى بن بغا مع الأهواز والبصرة والبحرين واليمامة، وما بيده من الأعمال، فولّى موسى على فارس من قبله عبد الرحمن بن مفلح وبعثه إلى الأهواز، وأمدّه بطاشتمر . وزحفوا إلى ابن واصل، وسار لحرب موسى بن بغا بواسط فولى على الأهواز مكانه أبا الساج وأمره بمحاربة الزنج فبعث صهره عبد الرحمن لذلك، فلقيه عليّ بن أياز قائد الزنج، وهزمه وقتل. وملك الزنج الأهواز وعاثوا فيها، وأديل من أبي الساج بابراهيم بن سيما وسار لحرب ابن واصل واضطرابت الناحية على موسى بن بغا فاستعفى من ولايتها، وأعفاه المعتمد. وطمع يعقوب الصفار في ملك فارس فسار من سجستان ممداً، ورجع ابن واصل من الأهواز إليه، وترك محاربة ابن سيما، وأغذّ السير ليفجأه على بغتة ففطن له الصفّار، وسار إليهم وقد أعيوا وتعبوا من شدة السير والعطش. ولما تراءى الجمعان، تخاذل أصحاب ابن واصل وانهزموا من غير قتال، وغنم الصفّار في معسكره، وما كانوا أصابوا لابن

مفلح. واستولى على بلاد فارس، ورتّب بها العمّال، وأوقع بأهل ذمّ لاعانتهم ابن واصل، وطمع في الاستيلاء على الأهواز وغيرها.

حروب الصفار مع الموفق:

ولما ملك الصفّار خراسان من يد ابن طاهر، وقبض عليه، وملك فارس من يد ابن واصل. وكان المعتمد نهاه عن تلك فلم ينته، صرّح المعتمد بأنه لم يولّه ولا فعل ما فعل بإذنه، وأحضر حاجّ خراسان وطبرستان والري، وخاطبهم بذلك فسار الصفّار إلى الأهواز سنة اثنتين أصحابه الذين أسروا بخراسان فأبى إلا العزم على الوصول إلى الخليفة ولقائه. وبعث حاجبه درهماً يطلب ولاية طبرستان وخراسان وجرجان والريّ وجارس والشرطة ببغداد، فولاّه المعتمد ذلك كله مضافاً إلى سجستان وكرمان. وأعاد حاجبه بذلك، ومعه عمرو بن سيما فكتب يقول لا بدّ من الحضور بباب المعتمد، وارتحل من عسكر مكرم جائياً. وخرج أبو الساج من الأهواز لتلقّيه لدخول الأهواز في أعماله فأكرمه، ووصله. وسار إلى بغداد ونهض المعتمد من بغداد فعسكر بالزعفرانيّة، ووافاه مسرور البلخّيى من مكانه من مواجهه الزنج. وجاء يعقوب إلى واسط فملكها، ثم سار منها إلى دير العاقول.

وبعث المعتمد أخاه الموفق لمحاربته، وعلى ميمنته موسى بن بغا، وعلى ميسرته موسى البلخي فقاتله منتصف رجب، وانهزمت ميسرة الموفّق، وقتل فيها إبراهيم بن سيما وغيره من القوّاد. ثم تزاحفوا واشتدّت الحرب، وجاء للموفّق محمد بن أوس والدواني مدداً من المعتمد. وفشل أصحاب الصفّار، ولما رأوا مدد الخليفة انهزموا وخرج الصفّار، واتبعهم أصحاب الموفق، وغنموا من عسكره نحواً من

عشرة آلاف من الظهر ومن الأموال والمسك ما يؤود حمله.

وكان محمد بن طاهر معتقلاً في العسكر منذ قبض عليه بخراسان فتخلّص ذلك اليوم. وجاء إلى الموفّق وخلع عليه، وولّاه الشرطة ببغداد. وسار الصفار إلى خوزستان فنزل جند يسابور، وراسله صاحب الزنج على الرجوع، ويعده المساعدة فكتب له: { قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون} [الكافرون:1]. وكان ابن واصل قد خالف الصفار إلى فارس وملكها فكتب إليه المعتمد بولايتها، وبعث إليه الصفار جيشاً مع عمر بن السري من قواده فأخرجه عنها، وولّى على الأهواز محمد بن عبيد الله بن هزارمرد الكردي. ثم رجع المعتمد إلى سامرّا والموفّق إلى واسط، واعتزم الموفّق على اتباع الصفار فقعد به المرض عن ذلك. وعاد إلى بغداد ومعه مسرور البلخي، وأقطعه ما لأبي الساج من الضياع والمنازل، وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولاية الشرطة ببغداد.

انتقاض الخجستاني بخراسان علي يعقوب الصفار وقيامه بدعوة بني طاهر:

كان من أصحاب محمد بن طاهر ورجالاته أحمد بن عبد الله بن خجستان، وكان متوليّاً على وهي من جبال سراة وأعمال باذغيس. فلما استولى الصفّار على نيسابور وخراسان انضم أحمد هذا إلى أبيه علي بن الليث، وكان شركب الحمّال قد تغلّب على مرو ونواحيها سنة تسع وخمسين ومائتين، وتغلّب على نيسابور سنة ثلاث وستين ومائتين وأخرج منها الحسين بن طاهر. وكان لشركب ثلاثة من الولد إبراهيم وهوأكبرهم، وأبوحفص يعمر، وأبو طلحة منصور. وكان إبراهيم قد أبلى في واقعة المغار مع الحسن بن زيد بجرجان فقدمه الصفار، وحسده أحمد الخجستاني فخوفه عادية الصفّار، وزين له الهرب. وكان يعمر أخوه محاصرا لبعض بلاد بلخ فاتفق إبراهيم وأحمد الخجستاني في الخروج إلى يعمر، وسبقه إبراهيم إلى الموعد ولم يلقه فسار إلى سرخس.

ولما عاد الصفّار إلى سجستان سنة إحدى وستين ومائتين، ولّى

على هراة أخاه عمرو بن الليث فاستخلف عليها طاهر بن حفص الباذغيسيّ. وجاء الخجستاني إلى علي بن الليث، وزيّن له أن يقيم بخراسان نائباً عنه في أموره وأقطاعه، فطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له. فلمّا ارتحلوا عن خراسان جمع أحمد الخجستاني وأخرج علي بن الليث من بلده سنة إحدى وستين ومائتين، وفلك تونس وأعاد دعوة بني طاهر، وملك نيسابور سنة إثنتين وستين. واستقدم رافع بن هرثمة من رجالات بني طاهر فجعله صاحب جيشه، وسار إلى هراة فملكها من يد طاهر بن حفص. وقتله ثم قتل يعمر بن شركب، واستولى على بلاد خراسان، ومحا منها دعوة يعقوب بن الليث. ثم جاء الحسن بن طاهر أخو محمد بأصفهان ليخطب له فأبى فخطب له أبو طلحة بن شركب بنيسابور. وانتقض الخجستاني، واضطربت خراسان فتنة. وزحف إليها الحسن بن زيد فقاتلوه وهزموه. ثم ملك نيسابور من يد عمرو بن الليث، وترك الخطبة لمحمد بن طاهر، وخطب للمعتمد ولنفسه من بعده كما هو مشروح في أخبار الخجستانيّ.

استيلاء الصفار علي الأهواز:

قد تقدّم لنا استيلاء الصفّار على فارس بعد خراسان. ثم سار منها إلى الأهواز، وكان أحمد بن لسوقة قائد مسرور البلخي على الأهواز قد نزل تستر فرحل عنها، ونزل يعقوب جنديسابور، وفّرت عساكر السلطان من تلك النواحي. وبعث يعقوب بالخضر بن العين إلى الأهواز، وعليّ بن أبان والزنج يحاصرونها فتأخروا عنها إلى نهر السّدرة. ودخل الخضر الأهواز وملكها بدعوة الصفّار. وكان عسكره وعسكر الزنج يغير بعضهم على بعض. ثم أوقع الزنج بعسكره، ولحق الخضر بعسكر مكرم،

واستخرج ابن أبان ما كان في الأهواز، ورجع إلى نهر السّدرة. وبعث يعقوب الإمداد إلى الخضر، وأمره بالكفّ عن قتال الزنج والمقام بالأهواز فواح الزنج، وشحن الأهواز بالأقوات وأقام.

وفاة يعقوب الصفّار وولاية عمرو أخيه:

ثم توفي يعقوب الصفار في شوال سنة خمس وستين بعد أن افتتح الزنج، وقتل ملكها، وأسلم أهلها على يده. وكانت مملكة واسعة الحدود. وافتتح زابلستان، وهي غزنة وأعمالها. وكان المعتمد قد استماله وولاه على سجستان والسّند. ثم تغلّب على كرمان وخراسان وفارس، وولّاه المعتمد على جميعها. ولما مات قام مكانه أخوه عمرو بن الليث، وكتب إلى المعتمد بطاعته فولّاه الموفّق من قبل أعمال أخيه، وهي خراسان وأصفهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد. وبعث إليه بالخلع، فولّى عمرو بن الليث على الشرطة ببغداد وسر من رأى من قبله عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر. وخلع عليه الموفّق وعمرو بن الليث. وولّى على أصفهان من قبله أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف. وولى على طريق مكة والحرمين محمد بن أبي الساح.

مسير عمرو بن الليث إلم خراسان لقتال الخجستاني:

قد تقدّم ذكر الخجستاني وتغلبه على نيسابور وهراة بدعوة بني طاهر سنة إثنتين وستين ومائتين، فلما توفي يعقوب سار عمرو إلى خراسان سنة خمس ومائتين وستين، واستولى على هراة. وسار الخجستاني بنيسابور فقاتله فانهزم عمرو، ورجع إلى هراة. وكان الفقهاء بنيسابور يشيعون لعمرو لولاية الخليفة إياه فاوقع الخجستاني الفتنة بينهم بالميل إلى بعضهم، وتكرمتهم عن بعض ليشغلهم بها. ثم سار إلى هراة سنة سبع

وستين ومائتين، وحاصر عمرو بن الليث فلم يظفر بشيء فتركه وخالفه إلى سجستان. ووثب أهل نيسابور بنائبه عليهم، وأمدّهم عمرو بن الليث بجنده فقبضوا على نائب الخجستاني،.أقاموا بها.

ورجع الخجستاني من سجستان فأخرجهم وملكها. وكان أبو منصور طلحة بن شركب محاصرا لبلخ من قبل ابن طاهر. وكاتبه عمرو بن الليث واستقدمه، وأعطاه أموالاً واستخلفه على خراسان، ورجع إلى سجستان. وبقي أبو طلحة بخراسان، والخجستاني يقاتله إلى أن قتل الخجستاني سنة ثمان وستين ومائتين، قتله بعض مواليه كما مر في أخباره مع رافع بخراسان.

كان رافع بن هرثمة من قوّاد بني طاهر بخراسان فلما ملكها يعقوب سار إليه، واستقّر في منزله بتامين من قرى باذغيس. فلما قتل الخجستاني اجتمع الجيش على رافع، وهو بهراة فأقّروه عليهم. وكان أبو طلحة بن شركب قد سار من جرجان إلى نيسابور فسار إليه رافع وحاصرها. وخرج عنها أبو طلحة إلى مرو، وخطب بها وبهراة لمحمد بن طاهر، وولّى على هراة من قبله. ثم زحف إليه عمرو بن الليث فغلبه عليها، وولّى عليها محمد بن سهيل بن هاشم. ورجع وبعث أبو طلحة إلى إسماعيل بن أحمد يستنجده فأنجده بعسكر سار بهم إلى مرو، وأخرج منها محمد بن سهل، وخطب لعمرو بن الليث، وذلك في شعبان سنة إحدى وسبعين ومائتين. ثم عزل المعتمد عمرو بن الليث عن سائر أعمال خراسان وقلّدها الموفق محمد بن طاهر، وهو مقيم ببغداد، فاستخلف محمد عليها رافع بن هرثمة وأقّر نصر بن محمد أحمد الساماني على ما وراء النهر، فسار رافع إلى إسماعيل يستنجده على أبي طلحة فجاءه في أربعة آلاف مدداً. واستقدم رافع أيضا عليّ بن الحسين المرورذي، وساروا جميعاً إلى أبي طلحة وهو بمرو سنة إثنتين وسبعين ومائتين، وغلبوه عليها ولحق بهراة، وعاد إسماعيل إلى خوارزم فجبى أموالها ورجع إلى نيسابور.

حروب عمرو مع عساكر المعتمد ومع الموفق:

ولما عزل المعتمد عمرو بن الليث عن خراسان أمر بلعنه على المنابر، وأعلم حاجّ خراسان بذلك، وقلّد محمد بن طاهر أعمالها فاستخلف عليها

رافع بن الليث، وكتب المعتمد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بعزله عن أصفهان والريّ. وبعث

إليه العساكر لقتاله سنة إحدى وسبعين ومائتين فزحف إليه عمرو في خمسة عشر ألفاً من المقاتلة فهزمه أحمد بن عبد العزيز والعساكر واستباحوا معسكره، ودفعوه عن أصفهان والري.

وكان المعتمد لما عزله ولعنه بعث صاعد بن مخلد في العساكر إلى فارس لقتال عمرو بن الليث وإخراجه من فارس، فسار لذلك ولم يظفر. ورجع سنة اثنتين وسبعين.

ثم سار الموفق سنة أربع وسبعين إلى فارس لحرب عمرو بن الليث فسير عمرو قائده عباس بن إسحاق إلى شيراز، وابنه محمد بن عمرو إلى ازجان، وبعث على مقدمته أبا طلحة بن شركب صاحب جيشه، فاستأمن أبو طلحة إلى الموفق. وفت ذلك في عضد عمرو، وخام عن لقائه. وسار الموفق إلى شيراز، وارتاب بأبي طلحة فقبض عليه. وملك الموفق فارس، وعاد عمرو إلى كرمان فسار الموفق في طلبه، فلحق بسجستان على المفازة. وتوفي ابنه محمد بن عمرو بها. وامتنعت كرمان وسجستان على الموفق فعاد إلى بغداد.

وارتاب عمرو بن الليث بأخيه علي فحبسه بكرمان، وحبس معه ابنه المعدل والليث فهربوا من محبسهم، ولحقوا برافع بن الليث عندما ملك طبرستان وجرجان من محمد بن زيد العلوى سنة سبع وسبعين فأقاموا عنده وهلك علي بن الليث وبقي ولد عنده. ثم رضي المعتمد عن عمرو بن الليث، وولاه الشرطة ببغداد، وكتب إسمه على الاعلام والترسة سنة ست وسبعين. واستخلف في الشرطة عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر. ثم سخطه لسنة، ومحا إسمه من الاعلام.

ولاية عمرو بن الليث علي خراسان ثانيا ومقتل رافع بن الليث:

ثم سخط المعتمد رافع بن الليث لامتناعه من تخلية قرى السلطان بالريّ، بعد أن أمره بذلك، فكتب إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف يأمره بمحاربة رافع وإخراجه عن الريّ. وكتب إلى عمرو بن الليث بولاية خراسان. وحارب أحمد بن عبد العزيز سنة ثمانين ومائتين فقاتله أخويه عمر وبكرا إبني عبد العزيز فهزمهما إلى اصفهان، وأقام بالري باقي سنته. ثم سار إلى

أصفهان فملكها سنة إحدى وثمانين، وعاد إلى جرجان. ووافى عمرو بن الليث خراسان والياً عليها بجموعه.

وتورط رافع بن الليث، ورجع إلى مصالحة محمد بن زيد، على أن يعيد إليه طبرستان فصالح محمد بن زيد، وخطب له بطبرستان سنة إثنتين وثمانين ومائتين، على أن يمدّه بأربعة آلاف من الديلم.

وسار عن طبرستان إلى نيسابور سنة ثلاث وثمانين ومائتين فحاربه عمرو وهزمه إلى ابيورد، وأخذ منه المعدل والليث ابني أخيه. ثم أراد رافع المسير إلى هراة فأخذ عليه عمرو الطريق لسرخس، وسرّب رافع في المضايق، ونكب عن جمهور الطريق فدخل نيسابور، وحاصره فيها عمرو بن الليث. ثم برز للقائه، واستأمن بعض قوّاد رافع إلى عمرو فانهزم رافع وأصحابه، وبعث إلى محمد بن وهب يستمدّه كما شرط له. وكان عمرو قد حذّر محمد بن زيد من امداده فاقصر عن ذلك، وتفرق عن رافع أصحابه وغلمانه. وكانوا أربعة آلاف غلام. وفارقه محمد بن هارون إلى أحمد بن إسماعيل بن سمّان ببخارى، وخرج رافع منهزماً إلى خوارزم في فل من العسكر، وحمل بقية المال والالة، وذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائتين. فلما رآه صاحب خوارزم أبو سعيد الفرغاني في قلة من العسكر غدر به وقتله في أول شوال، وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث بنيسابور فأنفذه عمرو إلى بغداد فكتب إليه المعتضد بولاية الري مضافة إلى خراسان، وأنفذ له الألوية والخلع سنة أربع وثمانين ومائتين.

استيلاء بني سامان علي خراسان وهزيمة عمرو بن الليث وحبسه ثم مقتله:

لما بعث عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة إلى المعتضد، طلب ولاية ما وراء النهر فولاّه وبعث إليه بالخلع واللواء فسّرح عمرو الجيوش من نيسابور، مع قائده محمد بن بشير وغيره من قوّاده لمحاربة إسماعيل بن أحمد، وانتهوا إلى آمد فعبر إسماعيل جيحون، وهزمهم وقتل محمد بن بشير وغيره من قوّاده. ورجع الفلّ إلى عمرو بنيسابور. وعاد إسماعيل إلى بخارى وتحفز للسير إلى إسماعيل، وسار إلى بلخ، وبعث إليه

إسماعيل أنك قد حزت الدنيا العريضة فاتركني في هذا الثغر فأبى. وعبر إسماعيل، وأخذ عليه الجهات فصار محصوراً. وندم وطلب المحاجزة فأبى إسماعيل، وقاتله فانهزم عمرو ونكب عن طريق العسكر إلى مضيق ينفرد فيه. وتوارى في أجمة فوحلت به دابته، ولم يتفطن له أصحابه فأخذ أسيراً، وبعث به إسماعيل إلى المعتضد بعد أن خيّره فاختار المسير إليه، ووصل إلى بغداد سنة ثمان وثمانين ومائتين وأدخل على جمل وحبس. وبعث المعتضد إلى إسماعيل بولايته خراسان إلى أن توفي المعتضد. وجاء المكتفي إلى بغداد. وكان في نفسه اصطناعه. وكره ذلك الوزير القاسم بن عبيد الله فوضع عليه من قتله سنة تسع وثمانين ومائتين.

ولاية طاهر بن محمد بن عمرو علي سجستان وكرمان ثم علم فارس:

ولما أسر عمرو سار إلى محبسه، قام مكانه بسجستان وكرمان حافده طاهر بن محمد بن عمرو، وهو الذي مات أبوه محمد بمفازة سجستان عندما هرب عمرو أمام الموفّق من فارس. ثم سار طاهر إلى فارس، وسار إليها في الجيوش سنة ثمان وثمانين ومائتين. واعترضه بدر فعاد طاهر إلى سجستان، وملك بدر فارس وجبى أموالها. ثم بعث طاهر بن محمد سنة تسع وثمانين ومائتين يطلب المقاطعة على فارس بمال يحمله. وكان المعتضد قد توفي فعقد له المكتفي عليها. وتشاغل طاهر بالصيد واللهو، ومضى إلى سجستان فغلب على الأمر بفارس الليث ابن عمه علي بن الليث، وسيكرى مولى جدّه عمرو، وكان معهما أبو فارس قائد طاهر فلحق بالخليفة المكتفي، وكتب طاهر رده بما جباه من المال، وبحتسب له من جملته فلم يجب إلى ذلك.

استيلاء الليث علي فارس ثم مقتله واستيلاء سيكري:

ولما تغلّب سيكري على فارس لحق الليث بن علي بطاهر ابن عمه، وزحف طاهر إلى فارس فهزمه السيكري وأسره، وبعث به وبأخيه يعقوب إلى المقتدر سنة سبع وتسعين

ومائتين. وضمن فارس بالحمل الذي كان قّرره فولاّه على فارس. ثم زحف إليه الليث بن علي بن الليث فملك فارس الليث للقائهم. وجاءه الخبر بأنّ الحسين بن حمدان سار من قمّ مداداً لمؤنس فركب لأعتراضه، وتاه الدليل عن الطريق فأصبح على معسكر مؤنس فثاروا، واقتتلوا وانهزم عسكر الليث وأخذ أسيراً،. وأشار أصحاب مؤنس بأن بقبض على سيكري معه، ويملك بلاد فارس، ويقّره الخليفة فوعدهم بذلك، ودسّ إلى سيكري بأن يهرب إلى شيراز. وأصبح يلوم أصحابه على ظهور الخبر من جهتهم، وعاد بالليث إلى بغداد، واستولى سيكري على فارس، واستبدّ كاتبه عبد الرحمن بن جعفر على أموره فسعى فيه أصحابه عند سيكري حتى قبض عليه، وحملوه على العصيان فمنع الحمل، فكتب هو من محبسه إلى الوزير ابن الفرات يعرفّه بامرهم. وكتب ابن الفرات إلى مؤنس، وهو بواسط يأمره بالعود إلى فارس، ويعاتبه حيث لم يقبض على سيكري فسار مؤنس إلى الاهواز، وراسله سيكري وهاداه. وعلم ابن الفرات بميل مؤنس إليه فأنفذ وصيفاً وجماعة من القواد، ومعهم محمد بن جعفر، وامرهم بالتعويل عليه في فتح فارس. وكتب إلى مؤنس باستصحاب الليث إلى بغداد ففعل، وسار محمد بن جعفر إلى فارس ودافع سيكري على شيراز فهزمه، وحاصره بها وحاربه ثانية فهزمه، ونهب أمواله ودخل سيكري مفازة خراسان فظفرت به جيوش خراسان واسروه، وبعثوا به إلى بغداد، وولّي على فارس فتح خادم الأفشين.

انقراض ملك بني الليث من سجستان وكرمان:

وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين توفي فتح صاحب فارس فولّى المقتدر مكانه عبد الله بن إبراهيم المسمعي، واضاف إليه كرمان من اعمال بني الليث. وسار أحمد بن إسماعيل

ابن سامان إلى الريّ فبعث منها جيوشه إلى سجستان سنة ثمان وتسعين ومائتين مع جماعة من قواده، وعليهم الحسن بن علي المروروذيّ. وكانت سجستان لما أسر طاهر سنة سبع وتسعين زومائتين ولي بها بعده الليث بن علي بن الليث. فلما أسر الليث كما تقدّم ولي بعده اخوه المعدّل بن علي بن الليث. فلما بلغه مسير هذه العساكر إليه من قبل أحمد بن إسماعيل، بعث اخاه ابا علي بن الليث محمد بن علي بن الليث إلى بست والرخّج ليجبيهما، ويبعث منهما إلى سجستان بالميرة فسار إليه أحمد بن إسماعيل بن سامان، وعلى سجستان أبو صالح منصور ابن عمه إسحاق بن أحمد بن إسماعيل بن سامان، وعلى إلى سجستان في المفازة، فبعث إليه جيشاً فاخذه، وكتب الأمير أحمد إلى المقتدر بالخبر وبالفتح فأمره بحمل سيكري والليث فبعث إلى بغداد وحبسهما.

ثورة أهل سجستان بأصحاب ابن سامان ودعوتهم إلى بني عمرو

ابن الليث بن الصفار ثم عودهم إلى طاعة أحمد بن إسماعيل بن سامان:

كان محمد بن هرمز، ويعرف بالمولى الصندليّ خارجياً، وهو من أهل سجستان. خرج ايام بني سامان وأقام ببخارى، وسخط بعض الأعيان بها فسار إلى سجستان، واستمال جماعة من الخوارج رئيسهم ابن الحفّار فخرجوا، وقبضوا على منصور بن إسحاق عاملهم من بني سامان وحبسوه، وولّوا عليهم عمرو بن يعقوب بن محمد بن الليث وخطبوا له فبعث أحمد بن إسماعيل الجيوش ثانياً مع الحسين بن علي سنة ثلاثمائة، وحاصرها ستة أشهر. ومات الصندلي فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفّار وابن الحفّار إلى الحسين بن علي، وخرج منصور بن إسحاق من محبسه. واستعمل أحمد بن اسماعيل على سجستان سيجور الدواني، ورجع الحسيني بالجيوش إلى الأمير أحمد، ومعه يعقوب وابن الحفّار في ذي الحجة سنة ثلاثمائة.

استيلاء خلف بن أحمد بن علي على سجستان ثم انتفاضهم عليه:

كان خلف بن أصمد من ذرية عمرو بن الليث الصفّار، وهو بسطة برسمه بانوا، ولما فشل أمر بني سامان استولى على سجستان، وكان من أهل العلم ويجالسهم. ثم حج سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، واستخلف على أعماله طاهر بن الحسين من أصحابه، فلما علد، من الحج انتقض عليه طاهر بن الحسين فسار خلف إلى بخارى مستجيشا بالأمير منصور بن سامان، فبعث معه العساكر، وملك سجستان، وكثرت أمواله وجنوده. وقطع ما كان يحمله إلى بخارى فسارت العساكر إليه، ومقدّمهم وحاصروا خلف ابن أحمد في حصن أوّآل من أمنع الحصون وأعلاها. ولما اشتدّ به الحصار، وفنيت الأموال والآلاتي كتب إلى نوح بن منصور صاحب بخارى بأن يستأمنه، ويرجع إلى دفع الحمل فكتب نوح بن منصور إلى أبي الحسن بن سيمجور عامله على خراسان، وقد عزل بالمسير إلى حصار خلف، فسار من قهستان إلى سجستان، وحاصر خلف، وكانت بينهما مودّة فأشار عليه سيمجور بتسليم حصن أوّال للحسن لتتفرق الجيوش عنه إلى بخارى، ويرجع هو إلى شأنه مع صاحبه فقبل خلف مشورته.. ودخل سيمجور إلى حصن أرك. وخطب فيه للامير نوح. ثم سلمه للحسن بن طاهر وانصرف إلى بخارى وكان هذا أوّل وهن دخل علي بني سامان من سوء طاعة أصحابهم.

استيلاء خلف بن أحمد علي كرمان ثم انتزاع الديلم لها:

ولما استفحل أمر خلف بسجستان حدّث نفسه بملك كرمان، وكانت في أيدي بني بويه وملكهم يومئذ عضد الدولة فلمّا وسق أمرهم، ووقع الخلف بين صمصام الدولة وبهاء الدولة ابني عضد الدولة، جهّز العساكر إلى كرمان وعليهم عمرو ابنه وقائدهم يومئذ تمرتاش من الديلم. فلما قاربها عمرو هرب تمرتاش إلى بردشير، وحمل ما أمكنه، وغنم عمرو الباقي، وملك كرمان، وجبى الأموال. وكان صمصام الدولة صاحب فارس فبعث العساكر إلى تمرتاش مع أبي جعفر، وأمره بالقبض عليه لاتهامه بالميل إلى أخيه بهاء الدولة فسار وقبض عليه، وحمله إلى شيراز. وسار بالعساكر إلى عمرو بن خلف فقاتله عمرو بدار زين. وانهزم الديلم وعادوا على طريق جيرفت، وبعث صمصام الدولة عسكراً آخر مع العباس بن أحمد من أصحابه فلقوا عمرو بن خلف بالسيرجان في المحرّم سنة إثنتين وثمانين وثلاثمائة فهزموه. وعاد إلى أبيه بسجستان مهزوماً ووبّخه ثم قتله.

ثم غزل صمصام الدولة العبّاس عن كرمان فأشاع خلف بأن أستاذ هرمز سمّه، واستنفر الناس لغزو كرمان، وبعثهم مع ابنه طاهر فانتهوا إلى برماشير، وملكوها من الديلم. ولحق الديلم بجيرفت، واجتمعوا بها، وبعثوا بها إلى بردشير حامية من العسكر، وهو أصل بلاد كرمان ومصرها فحصرها طاهر ثلاثة أشهر، وضيّق على أهلها، وكتبوا إلى أستاذ هرمز يستمدونه قبل أن يغلبهم عليها طاهر فخاطر بنفسه، وركب إليهم المضايق والأوعار حتى دخلها. وعاد طاهر إلى سجستان، واستنفر الناس لغزو الديلم بجيرفت، واجتمعوا بها وبعثوا إلى بردشير حامية من العسكر، وهو أصل بلاد كرمان، وذلك سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

استيلاء طاهر بن خلف علي كرمان وعوده عنها ومقتله:

كان طاهر بن خلف من العقوق لأبيه على عظيم وانتقض عليه، وجرت بينهما وقائع كان الظفر بها لخلف ففارق طاهر سجستان وسار إلى كرمان وبها الديلم عسكر بهاء الدولة فصعد إلى جبالها، واحتمى بقوم هنالك كانوا عصاة، ونزل على جيرفت فملكها ولقيه الديلم فهزمهم، واستولى على الكثير مما بأيديهم فبعث بهاء الدولة عسكراً مع أبي جعفر بن أستاذ هرمز فغلب طاهرا على كرمان فعاد إلى سجستان وقاتل أباه فهزمه وملك البلاد. وامتنع أبوه خلف ببعض حصونه وكان الناس قد سئموا منه لسوء سيرته فرجع إلى مخادعة ابنه فتواعدا اللقاء تحت القلعة وأكمن له بالقرب كميناً فلما لقيه خرج الكمين واستمكن منه أبوه خلف فقتله أبوه.

استيلاء محمود في سبكتكين علي سجستان ومحو آثار بني الصفار منها:

كان خلف بن أحمد قد بعث ابنه طاهراً إلى قهستان فملكها ثم إلى بوشنج كذلك. وكانت هي وهراة لبغراجق عمّ محمود، وكان محمود مشتغلاً بالفتنة مع قوّاد بني سامان، فلما فرغ منها استأذنه عمّه في إخراج طاهر بن خلف فأذن له. وسار إليه سنة تسعين وثلاثمائة ولقيه بنواحي بوسنج فهزمه، ولج في طلبه فكّر عليه طاهر، وقتله فساء ذلك محموداً ، وجمع عساكره وسار إلى خلف بن أحمد، وحاصره بحصن اصبهيل ، وضيّق عليه حتى بذل له أموالاً جليلة، وأعطاه الرهن عليها فأفرج عنه. ثم عهد خلف بملكه إلى ابنه، وعكف على العبادة والعلم خوفاً من محمود بن سبكتكين، فلما استولى طاهر على الملك عقّ أباه وكان من أمره ما تقدّم.

ولما قتل طاهر تغيرت نيات عساكره، وساءت فيه ظنونهم. واستدعوا محمود بن سبكتكين وملكوه مدينتهم. وقعد خلف في حصنه وهو حصن الطاق له سبعة أسوار محكمة، وعليها

خندق عتيق له جسر يرفع ويحط عند الحاجة فحاصره محمود سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وطمّ الخندق بالأعواد والتراب في يوم واحد، وزحف لقتاله بالخيول. وتقدّم عظيمها فاقتلع باب الحصن بنابه وألقاه، وملك محمود السور الأوّل. ودفع عنه أصحاب خلف إلى السور الثاني، ثم إلى الثالث كذلك فخرج خلف واستأمن، وحضر عنده محمود وخيره في المقام حيث شاء من البلاد فاختار الجوزجان، وأقام بها أربع سنين. ثم نقل عنه الخوض في الفتنة، وأنه راسل أيلكخان يغريه بمحمود فنقله إلى جردين، وحبسه هنالك إلى أن هلك سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وورثه ابنه أبو حفص. ولما ملك محمود سجستان، واستنزل خلف من حصن بالطاق ولّي على سجستان أحمد الفتحي من قواد أبيه. ثم انتقض أهل سجستان فسار إليهم محمود سنة ثلاث وتسعين في ذي الحجة، وحصرهم في حصن أول واقتحمه عليهم عنوة، وقتل أكثرهم وسبى باقيهم حتى خلت سجستان منهم، وصفا ملكها له فاقطعها أخاه نصرا مضافة إلى نيسابور، وانقرض ملك بني بالصفار وذويهم من سجستان والبقاء لله وحده.

دولة بني سامان

الخبر عن دولة بني سامان ملوك ما وراء النهر المقيمين بها الدولة العباسية و أولية ذلك ومصادره

أصل بني سامان هؤلاء من العجم ؛ كان جدهم أسد بن سامان من أهل خراسان وبيوتها وينتسبون في الفرس إلى بهرام حشيش الذي ولاّه كسرى أنوشروان مرزبان أذربيجان. وبهرام حشيش من أهل الريّ ونسبهم إليه هكذا: أسد بن سامان خذاه بن جثمان بن طغان بن نوشردين بن بهرام نجرين بن بهرام حشيش. ولا وثوق لنا بضبط هذه الأسماء. وكان لأسد أربعة من الولد: نوح وأحمد ويحيى والياس، وأصل دولتهم، هذه فيما وراء النهر أنّ المأمون لما وليَ خراسان اصطنع بني أسد هؤلاء، وعرف لهم حق سلفهم واستعملهم. فلمّا انصرف إلى العراق ولّى على خراسان غسّان بن عبّاد من قرابة الفضل بن طاهر، مكان إبنه إسحق، ومحمد بن الياس. ثم مات